هل يحبك الله عز وجل؟

سؤال يجيب عليه

صفوت زكي



مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٠٢٧٨٧٧٥٧٤

tokoboko_5@yahoo.com

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب: هل يحبك الله ﷻ؟

إعـــــداد: صفوت زكي

رقم الإيداع:

الطبعة الأولى ٢٠١٢



مكتبة جزيرة الورد

القاهــرة : ٤ ميـــدان حليـم خلـف بنـك فيصـل

ش ٢٦ يوليو ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٠٢٧٨٧٧٥٧٤

tokoboko_5@yahoo.com



(١) أخرجه الحاكم وصححه الألباني (٧٠٩٥) في صحيح الجامع من حديث أنس.

إهداء

*** أولاً: إلى نفسي - ولا تعجب -:** فهي أولى بذلك من غيرها فقد قال الله تعالى: {وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡ} [البقرة: ٢٢٣]، ولما كانت النفس أولى بالبدء من غيرها بالدعاء كما قال نوح ﷺ:{رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا} [نوح: ٢٨]، وكما قال إبراهيم ﷺ:{رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ} [إبراهيم: ٤٠]، وكما قال موسي ﷺ:{ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ } [الأعراف: ١٥١].

وكان رسول الله ﷺ يبدأ نفسه بالدعاء[١]، فإن كانت النفس أولى بالبدء بالدعاء فهي كذلك أولى بالبدء بالإهداء ولذلك فعلت.

*** ثانياً: إلى من هم أصلي:**

إلى والديّ داعياً الله ﷻ لهما بما أمرني:{رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا} [الإسراء: ٢٤]، وأسأله تعالى أن يعاملهما بالإحسان لا بالميزان وبالفضل لا بالعدل وبالتجاوز لا بالمؤاخذة وبما هو أهله لا بما هما أهله إنه سبحانه أهل التقوى وأهل المغفرة.

*** ثالثاً: إلى من هم فرعي وإلى شريكة دربي ... إلى أولادي وزوجتي:** داعياً الله تعالى بدعاء خليله إبراهيم ﷺ:{ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ} [البقرة: ١٢٨]، وأدعو الله أن يجعلهم نبتاً كريماً في أرض طيبة فإن البلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه وأسأله تعالى أن يبارك لهم وأن يبارك فيهم وأن يبارك عليهم وأن يطهر منهم الروح والجسد وأن ينجيهم من كل ما فسد، وأن يدفع عنهم العين والحقد والحسد، وأن يرحمهم يوم لا ينفع والد ولا ولد.

*** رابعاً: إلى كل من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله مخلصًا:**

داعيا الله تبارك وتعالى أن يزيد صلاح الصالحين وأن يهدي العصاة ويتوب على المذنبين.

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني (٤٧٢٣) ص.ج.

رجاء:

ورجائي كله من الله ﷻ

أرجو ألا يكون الدافع لقراءة كتابي هذا هو البحث عن خطأ أو زلل فإني بشر أخطئ وأزل وأكبو ولم أدّع كما لم يدّع غيري أن كتابي هذا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فتلك خاصة كتاب الله وحده ليس إلا.

ولكن جرّد النية قارئي واجعلها خالصة لوجه الله تعالى فإن قابلك ما بين السطور الذي ترى أنه يستحق التصحيح أو التعليق أو المحاورة فإنا نرحب بذلك بل ونحبه ونتمناه فإنّا مازلنا نتعلم وسنظل كذلك حتى الموت وإن أخطأت فحسبي في ذلك أني مُقر بخطئي وأرجو العفو من الله...

وإن زللت فحسبي في ذلك أني لست بدعاً من البشر...

وإن كبوت فحسبي في ذلك إخلاص العمل لوجه الله تعالى...

لذلك أرجو قارئي ألا تبخل عليّ بالنصيحة، مادامت خالصة لوجه الله جل وعلا

لعلنا نتدارك ذلك فيما هو آت إن شاء الله، فإنك بالضرورة تعلم قول النبي ﷺ الدال على الخير كفاعله[١].

* * *

(١) مسند أبي يعلي وصححه الألباني (٣٣٩٩) ص.ج.

مقدمة

{ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ } [الفاتحة: ٢].

{ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ} [الأنعام: ١].

{ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ} [الأعراف: ٤٣].

{ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدًا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا} [الإسراء: ١١١].

{ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ} [الكهف: ١].

{ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ } [المؤمنون: ٢٨].

{ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓ} [النمل: ٥٩].

{ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ} [النمل: ٩٣].

{ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ } [سبأ: ١].

{ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ } [فاطر: ١].

{ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ } [فاطر: ٣٤].

{ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ } [الروم: ١٨].

{لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ } [القصص: ٧٠].

{فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ} [الجاثية: ٣٦].

الحمد لله مقلب القلوب.

الحمد لله علام الغيوب.

الحمد لله ستير العيوب.

الحمد لله غفار الذنوب.

الحمد لله الذي ليس كحبه حب.

الحمد لله الذي ليس كقربه قرب.

الحمد لله الذي لا يتعاظم على عفوه ذنب.

الحمد لله الذي لا يكون مع فرجه كرب.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له.

أحب المتقين... وأحب المحسنين... وأحب المتوكلين.

أحب التوابين... وأحب المتطهرين... وأحب الصابرين.

وأعطاهم بالحب ما لم يعط سواهم.

وأرشدهم إلى الطريق المستقيم وهداهم.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

- أعطاه الله ما بعد الحب فهو خليله.

فمن أراد حب الإله فالنبي سبيله.

قال تعالى: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [آل عمران: ٣١].

فاللهم صل عليه عدد ما ظهر من ملكك وما بطن، وصل عليه عدد ما دق قلب أو سكن.

وأعطه سؤله وإيانا... إذ يقول: **(اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك)**.

وأعطه سؤله وإيانا... إذ يقول: **(اللهم اجعل حبك أحب إليّ من نفسي وأهلي ومن الماء البارد على الظمأ)**.

وأعطه سؤله وإيانا... إذ يقول: **(اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني حبه عندك)**.

وأعطه سؤله وإيانا... إذ يقول: **(اللهم ما رزقتني مما أحب فأجعله**

قوة لي فيما تحب، وما زويت عني مما أحب فاجعله فراغاً فيما تحب).

أما بعد،،،

فمن عظيم فضل الله ﷻ عليّ أن هداني لهذه الكلمات وهو سبحانه أهل ألا يضيع قولاً قيل فيه بالحب وكلمات قيلت فيه رجاء القرب. هذه الكلمات التي نبحث فيها للإجابة عن سؤال طرحناه.

هذا السؤال هو... " **هل يحبك الله؟** "

سؤال الإجابة عليه بنعم، تعني أنك قد فزت بأعظم النعم.

والإجابة عليه بـ لا، تعني الهم والغم والنقم.

وإني لأرجو بهذه الكلمات رحمة الله وأخشى عقابه.

وإني لأرجو عظيم فضله بعد انقضاء الأجل وجميل إحسانه بعد انقطاع العمل.

ونوراً من لدنه يضئ ظلمة القبر.

وظلاً من لدنه يهون موقف الحشر.

فإني موقن بقول القائل:

وما من كاتب إلا سيبلي ::: ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شيءٍ ::: يسرك في القيامة أن تراه

فاجعله ياربنا عملاً صالحاً... واجعله برحمتك لوجهك خالصاً... ولا تجعل فيه لغيرك شيء.

ربنا وتجاوز عما فيه من خطأ أو زلل أو نسيان.

ربنا واجعلنا ممن يقول فيعمل وممن يعمل فيخلص وممن يخلص فتتقبل منهم بفضلك العظيم.

ربنا واجعلنا من السعداء يوم القيامة بما كتبناه.

ربنا واجعلنا من السعداء يوم القيامة بما قرأناه.

ربنا وحبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا.
وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من عبادك الراشدين.
ربنا وحبب إلينا ما تحب حتى نكون ممن تحب.
وكره إلينا ما تكره حتى لا نكون ممن تكره.
ربنا وحبب إلينا لقاءك ويسر علينا قضاءك.
واملأ قلوبنا يقينا بحكمتك كما ملأتها يقينا بقدرتك.
حتى لا نحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت.
اللهم واجعلنا سلماً لأوليائك حرباً على أعدائك.
نحب بحبك من أحبك ونعادي بعداوتك من خالفك.
اللهم واجعلنا من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساؤوا استغفروا.
اللهم وتقبل توبتنا... واغسل حوبتنا... وأجب دعوتنا.
وثبت حجتنا... واقض حاجتنا... وأحسن خاتمتنا.
إنك ولي ذلك والقادر عليه وأنت الرحمن الرحيم،،،

كتبـه

صفوت زكي

دار السلام - كفر سعد - دمياط

في ٢٠١٢/٣/١٢

م: ٠١٢٢١٧٨٩٦٥٠

Safwatzaki2012@gmail.com

* * *

الفصل الأول

حب الله ﷻ مفاهيم ومعاييـــر

ماذا يعني حب الله ﷻ!

الحب سر من أسرار الله تعالى أودعه قلوب أناس هداهم واصطفاهم ومنعه آخرين فأضلهم وأشقاهم، فلا يعلم حقيقته على التمام والكمال إلا الله ﷻ فهو الذي يعلم مستقره ومستودعه ومنه منبعه وإليه مرجعه.

ومن ثم فلن نكثر القول في معاني الحب وذلك لأن كل محب ربما يكون لديه معنى للحب لا يقنع إلا به ولا يرضى إلا عنه وكلٌ لديه فيما يقنع به ويرضى عنه حجة وبرهان.

لكنا نعرض لبعض من هذه المعاني وذلك أن كلاً منها قد يطرق معنى ربما لم يطرقه الآخر عسى أن نهتدي بفضل الله تعالى إلى معنى لحبه يرضاه منّا ويرضى به عنّا، وتلك نفحة من المعاني دونما تعليق منّا لأن ذلك قد يحتاج إلى كتاب وحده.

فهذا محب يقول:

المحبة هي الميل الدائم بالقلب الهائم.

وإيثار المحبوب على جميع المصحوب.

وموافقة الحبيب في المشهد والمغيب.

ومحو المحب بصفاته وإثبات المحبوب بذاته.

ومواطأة القلب لمراد الرب.

وترك الحرمة مع إقامة الخدمة.

- ويقول آخر:

المحبة استقلال الكثير من نفسك.

واستكثار القليل من محبوبك.

- ويقول آخر:

المحبة أن يكون كلك بالمحبوب مشغولاً وذُلّك له مبذولاً.

- ويقول آخر:

المحبة ما لا يزيد بالبر وما لا ينقص بالجفاء.

- ويقول آخر:

المحبة معانقة الطاعة ومباينة المخالفة.

- ويقول آخر:

المحبة هي دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب.

- ويقول آخر:

المحبة أن تهب كلك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شئ.

- ويقول آخر:

المحبة أن يمحى من القلب ما سوى المحبوب.

- ويقول آخر:

المحبة هي إقامة العتاب على الدوام.

- ويقول آخر:

المحبة أغصان تغرس في القلب فتثمر على قدر العقول.

- ويقول آخر:

المحبة أن تغار على المحبوب أن يحبه أحد مثلك.

- ويقول آخر:

المحبة ميلك إلى محبوبك بكليتك ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سراً وجهراً ثم علمك بتقصيرك في محبته.

وغير ذلك كثير كثير...... فربما تجد معاني للحب بعدد المحبين.

لكن الحب عندي:

" أن تنال مرادك ممن أحببت بالذي يريده منك "

فإن أحببت الله ﷻ حباً حقيقياً كان مرادك نفس مراد الله منك، وهذا ما عبر عنه أحد الصالحين بقوله:

" اللهم إنك قد أمرتنا بعدم اتباع الهوى... أما وقد أصبحت طاعتك هوى نفسي فاغفر لي "

وربما قال ذلك لكونه قد سها عن قول النبي ﷺ:**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت بهـ**[١].

وذلك أن الرسول ﷺ قد بلغ في الحب مبلغاً لم يبلغه سواه فلم تعد عبادة الله ﷻ هواه وحسب وإنما أصبحت رضا نفسه وطمأنينة قلبه وقرة عينيه وزيادة، فهو القائل:**وجعلت قرة عيني في الصلاةـ**[٢]، وهو القائل:**أرحنا بها يا بلالـ**[٣].

فإن يكن مرادك وهوى نفسك وقرة عينيك وطمأنينة قلبك هو نفس مراد الله تعالى منك...

فذلك هو الحب عندي.

وذلك أنه إذا تمكن حب الله ﷻ من القلب صار صاحبه وكأنه خلق آخر غير الذي كان... أصبح قلبه فارغاً من كل ما هو فان، خالياً من المخلوقات متصلاً بالخالق سبحانه وتعالى.

فالمحب بالله يسمع... والمحب بالله يبصر

والمحب بالله يبطش... والمحب بالله يمشي

والمحب يحب من المخلوقات ما يحبه الله... ويبغض منها ما يبغضه

---

(١) رواه الإمام النووي في الأربعين النووية وقال: حديث حسن صحيح.
(٢) أخرجه النسائي وصححه الألباني (٣١٢٤) في صحيح الجامع.
(٣) أخرجه أبو داود وصححه الألباني (٧٨٩٢) في صحيح الجامع.

الله.

يوالي منها ما والاه الله... ويعادي منها ما عاداه الله.

يخاف الله فيها ولا يخافها في الله.

يرجو الله فيها ولا يرجوها في الله...

وذلك هو الحب عندي

كذلك إذا تمكنت محبة الله تبارك وتعالى من قلب العبد تجد العبد ذاهلاً عن نفسه... متصلاً بذكر ربه... قائماً بأداء حقوقه... ناظراً إليه بقلبه وقد انكشفت له بالمحبة حجب وفتحت له بالمحبة أبواب.

فإن تكلم فبالله وإن نطق فعن الله وإن تحرك فبأمر الله ولأمر الله وإن سكن فمع الله...

فالمحب دائما بالله ولله ومع الله

.... وذلك هو الحب عندي.

كذلك فإن المحبة إذا تمكنت من القلب كانت شغله وشاغله فلا مال ولا أهل ولا جاه... فهو قد استغنى عن كل ذلك بالله... وذلك كقول القائل يناجي ربه ﷻ:

والله ما طلعت شمس ولا غربت ::: إلا وحبك مقرون بأنفاسي
ولا جلست إلى قوم أحدثهم ::: إلا وأنت حديثي بين جلاسي
ولست أخشى – إلهي – فيك لائمة ::: ولا أبالي بوسواس وخناس
سلكت كل سبيل في رضاك ولو ::: سعياً على الوجه أو مشياً على الراس
ولا أبالي بحمق الناس أو سفه ::: فإن جندك دون الناس حراسي
ما لي والناس وحبك غايتي ::: ديني لنفسي ودين الناس للناس

وذلك هو الحب عندي

* * *

ماذا يحب الناس؟

من يتأمل واقع الناس يجد فيه العجب العجاب. فمذاهب الحب فيهم متباينة تبايناً لا يكاد يحصى ومختلفة اختلافاً لا يكاد يعد. فقديماً قيل للناس فيما يعشقون مذاهب.

حتى إن الشئ الواحد لتختلف فيه دواعي الحب من شخص إلى آخر ومن زمن إلى آخر ومن مكان إلى آخر. فقد يتفق الناس على حب الشئ الواحد ولكنهم قد يختلفون في أسباب هذا الحب.

وإذا ما تأملنا واقع الناس نجد أنه من الأشياء التي تشغل قلوبهم في هذا الزمان... وفي كل زمان وتستأثر بحبهم كله أو بحبهم جله - إلا من رحم الله تعالى - أمور عدة لعل أهمها:

*** أولاً: المال:**

فكثير من الناس غالب حبهم وملء قلوبهم وجل تفكيرهم وكل تدبيرهم وشغلهم وشاغلهم إنما هو المال.

لا يدعون سبيلاً يوصل إليه إلا سلكوه، ولا باباً إلا طرقوه، لا يبالي أحدهم في ذلك بحلال أو حرام ولا يأبه بما يلاقي لأجله من مشقة وآلام... وعن أولئك قال رسول الله ﷺ :**يأتي على الناس زمان ما يبالي الرجل من أين أصاب المال من حلال أو حرام؟**ـــ[١].

وأظن هذا الزمان قد غشي الناس - إلا قليلاً ممن رحم الله - فترى الرجل من أولئك قد مال إلى المال ميلة لا يود منها خلاصاً، وذلك أن حب المال طغى على كل حب في قلبه.

فأعماه عما سواه... وأصمه وأنساه

فأصبح كل غايته من الدنيا... وهو كذلك كل رجاه

(١) أخرجه النسائي وصححه الألباني (٨٠٠٣) في صحيح الجامع.

ومن حاله هكذا كثير.

أولئك عبدة الدرهم والدينار... تعسوا وانتكسوا ومأواهم النار أولئك الذين قال الله تعالى حكاية عنهم:

{وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا} [الفجر: ٢٠]، وقال تعالى:{وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ} [العاديات: ٨].

وقال عنهم النبي ﷺ:**لو كان لابن آدم واديان من مال لا بتغي ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب**(١).

وحقيقة الأمر:

أن المال ليس شراً أو سوءاً في ذاته، إنما العبرة من أين اكتسابه، وفيم إنفاقه؟ وما يمثل في قلب صاحبه؟ وهل هو وسيلة إلى رضى الله ﷻ أم أنه غاية لذاته؟

فهناك من سبل الخير في الدنيا والآخرة ما لا يكون إلا بالمال ولذلك قال رسول الله ﷺ :**إن الله قال إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة**(٢).

حتى أن نصف أركان الإسلام لا يكون واجباً إلا بوجود المال فلا تجب الزكاة إلا في وجود المال ولا يجب الحج إلا في وجود المال وأحد كفارات إفطار الصائم في رمضان هو الإطعام. والإطعام لا يكون إلا في وجود مال... ناهيك عن دور المال في كل نواحي الدين والدعوة إلى الله ﷻ.

لذلك قال رسول الله ﷺ :**نعم المال الصالح في يد العبد الصالح**(٣).

وقال:**إن الله تعالي يحب الغني التقي السخي**(٤) - وإن كان حقيقة

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الطبراني وصححه الألباني (١٧٨١) ص.ج.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

الغني هو الاستغناء.

حتى أن الأمر يصل إلى ما هو أكبر من ذلك فيقول سعيد بن المسبب رضي الله عنه: **(لا خير فيمن لا يحب المال ليصل به رحمه ويؤدي به أمانته ويستغني به عن الناس).**

حتى أن الله ﷻ سماه في كتابه العزيز خيراً فقال تعالى:{ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ } [البقرة: ٢١٥].

بل إن الله سبحانه وتعالى قد أقر حب المال فقال تعالى:{لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ } [آل عمران: ٩٢].. ولكن كل يؤخذ بحقه فلا تفريط ولا إفراط فانتبهوا يا أولي الألباب.

*** ثانياً: النساء:**

من الناس من غلب عليه حب النساء فقدمه على كل حب فلا يقنع فيه بحلال ولا يشبع منه بحرام.

يبيع الدنيا بلذة فانية... ويستبدل الحور العين بغانية.

وما من شك في أن النساء فتنة، وأي فتنة.

فكم أخذت بعقول رجال فأذهبته.

وكم أخذت بنواصي شباب فضيعته.

وكلٌ يتحمل في ذلك من الإثم ما يتحمل... رجالاً ونساء.

كلٌ بقدر ما ضيع وكلٌ بقدر ما فرط وكلٌ بقدر ما تعدى.

وما من شك أن النساء شهوة لا تدانيها شهوة - عند الأكثرين - ولذلك جعلها الله تعالي في مقدمة الشهوات التي زُين للناس حبها قال تعالي:{ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ } [آل عمران: ١٤].

ولكن حقيقة الأمر أن النساء لسن شراً كلهن.

بل هن كما قال رسول الله ﷺ :**إنما النساء شقائق الرجال**[١].

فالمرأة هي الأم والبنت وهي الأخت والزوجة ودخول الجنة - بإذن الله - مقرون ومرهون بالإحسان إليهن واتقاء الله فيهن.

وهن كذلك من خير متاع الدنيا أو هن خيره - إذا صلحن - فقد قال رسول الله ﷺ :**الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة**[٢].

بل إن المرأة هى من ضمن ما حُبب إلي النبي ﷺ من الدنيا فهو القائل: **حُبب إليّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة**[٣].

ولذلك أوصي ﷺ بالنساء في خطبة الوداع فقال:**استوصوا بالنساء خيراً**[٤].

ولما لا وهو خير الناس لأهله فهو القائل:**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى**[٥].

وقال ﷺ : **خيركم خيركم للنساء**[٦].

ومن ثم فقد جعل النبي ﷺ حسن الخلق والإحسان إلي النساء من علامات كمال الإيمان والتفاضل في الخيرية علي التتابع فقال:**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم**[٧].

ولكن كلٌ يؤخذ بحقه فلا تفريط ولا إفراط.

(١) رواه الترمذي وأبو داود وصححه الألباني (٢٣٣٣) ص.ج.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه الحاكم والنسائي وصححه الألباني (٣١٢٤) ص.ج.
(٤) متفق عليه.
(٥) رواه الترمذي وصححه الألباني (٣٣١٤) ص.ج.
(٦) رواه الحاكم وصححه الألباني (٣٣١٦) ص.ج.
(٧) رواه الترمذي وصححه الألباني (١٢٣٢) ص.ج.

فانتبهوا يا أولي الألباب

ثالثاً: اتباع الهوي:

لا بأس أن تهوي النفس أشياء وتميل إليها مادامت هذه الأشياء محكومة بشرع الله ومنهاجه وسنة رسولهﷺ، لكن من الناس من استبد به هواه فأينما ولاه تولي وأينما وجهه توجه... يحكمه هواه فيأمره وينهاه وهو لا يملك من أمر نفسه الشيء اليسير، فهو كالمغيب خلف ملذاته وشهواته يسير، يبيع الآخرة بعرض من الدنيا قليل، وكأنه فاقد العقل أو أقلها ذو عقل عليل.

فاتباع الهوي لا يأتي بخير أبداً... لا يأتي إلا بالضلال والفساد قال تعالي:{وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ} [المؤمنون: ٧١].

وقال تعالي:{أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} [الجاثية: ٢٣].

وقال تعالي:{وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا} [الكهف: ٢٨].

فالهوي لا يصلح أن يكون متبوعاً بحال من الأحوال وإنما صلاحه أن يكون تابعاً لشريعة الله ﷻ تقوّمه وتهذبه وتنقي صاحبه وتؤدبه، قال رسول الله ﷺ :**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت بهـــ** (١).

فإن كان هوي النفس هو المال فلا بأس ولكن من حِله وفي حِله وبقدره، وإن كانت النفس تهوي النساء فلا بأس ولكن من حِله وفي حِله وبقدره، فإن الله تعالي قد جعل لكل ما تهوي الأنفس مخرجاً حسناً في شريعته، وذلك من سابغ نعمته وبالغ حكمته وواسع رحمته، فإياك واتباع الهوي فإنه ظلم وضلال، ثم العاقبة في الآخرة سوء المآل.

---

(١) رواه الإمام النووي في الأربعين النووية وقال: حديث حسن صحيح.

قال تعالي:{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [القصص: ٥٠].

وإياك إياك أن تكون من هؤلاء الذين أسرهم هواهم في قيوده وصاروا بمحض إرادتهم من خدمه وعبيده، يؤثرون الدنيا بفانيها علي حب الله ورسوله، فأولئك الذين توعدهم الله ﷻ بالضلال وعدم الهداية، فكما ضلوا في بادئ الأمر فهم ضالون حتى النهاية.

قال تعالي:{ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } [التوبة: ٢٤].

وقال تعالي:{ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ} [إبراهيم: ٣].

وقال تعالي:{ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } [النحل: ١٠٧].

بل إن من سوي بين حبه لله وبين اتباع هواه فقد اتخذ لله تعالي نداً في الحب وما ينبغي ذلك لمؤمن.

قال تعالي:{ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ۗ} [البقرة: ١٦٥].

فإنها لمصيبة كبرى أن يكون في القلب حب يطغي علي حب الله ورسوله، بل وإنها لمصيبة أن يكون في القلب حب مع حب الله ورسوله.

وإنما الحب الحق ما كان لله وفي الله وبالله، فالقلوب لا تتسع لحب الله تعالي والدنيا جميعاً، فإنما هي أوعية ولكل وعاء حد امتلاء.

فطوبي لمن كانت قلوبهم ملأي بحب الله، خالية من كل حب سواه.

فانتبهوا يا أولي الألباب

* * *

ماذا يجب أن يحب الناس!

لما كان الناس مختلفين فيما يحبون وفيما يكرهون، فكان المكروه عند قوم محبوباً لدي آخرين، وذلك باختلاف طبائعهم وصفاتهم وغاياتهم، حتى إن الشيء الواحد ليمدح من أناس وكأنه خير مطلق، ويذم من آخرين وكأنه شر مطلق، وكلا الفريقين لديه مبرر لمعتقده قانع به وراضٍ عنه.

لذلك لزم الأمر أن يرجع الفطن من الناس فيما يحب وفيما يكره إلي مقياس واحد لا يختلف عليه سلف ولا خلف، ولا يمرق عنه مارق ولا يفارق عنه مفارق إلا من أخلد إلي الأرض واتبع هواه.

هذا المقياس يعني أن نلجأ إلي صاحب العلم المطلق والحكمة البالغة يعني أن نلجأ إلي الله تعالي الذي يُستغني به ولا يُستغني عنه فنحب ما أحبه الله جل وعلا وإن كان كرهاً لنا أو لم يكن على وفق هوانا أو لم نتبين الحكمة منه أو حسبنا الشر فيه.

ونكره ما كره الله جل وعلا وإن كان محبوباً لنا أو كان علي وفق هوانا أو لم نتبين الحكمة منه أو حسبنا الخير فيه، وذلك لأن الله تعالي أعلم... وأن الله تعالي أحكم.

وتأمل قوله تعالي:{كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة:٢١٦].

وقال تعالي:{فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} [النساء: ١٩].

وقال تعالي:{وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ} [آل عمران: ١٧٩].

فليس الخير دائماً فيما نحب وليس الشر دائماً فيما نكره، فرب أمرٍ

تتقيه جر أمراً ترتضيه وذلك لظهور المكروه منه وستر المحبوب فيه، ورب أمر ترتضيه جر أمراً تتقيه وذلك لظهور المحبوب منه وستر المكروه فيه.

وحسبنا في ذلك ما أيده الواقع من شر في كثير مما نحب ومن خير في كثير مما نكره، فقبول الأمر يجب ألا يكون مرهوناً بمعرفة الحكمة منه أو ظاهر الخير فيه، وإنما قبوله يجب أن يكون لليقين بعلم الآمر وحكمته جل وعلا.

وتأمل حال موسي عليه السلام مع العبد الصالح لتعلم ذلك جيداً.

فسبحان من جعل في خرق السفينة نجاة للمساكين.

وسبحان من جعل في قتل الغلام نجاة أبويه في الدنيا وفي الدين.

وسبحان من جعل في إقامة الجدار عقاباً لقوم لئام وثواباً لذرية قوم صالحين.

ثم تأمل عتاب الله ﷻ لفريق من أصحاب نبيه ﷺ لما أخذوا بظاهر الأمر، قال تعالي:{كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ } [الأنفال: ٥].

فالبرغم من أن الخروج كان بالحق وبأمر الحق سبحانه وتعالي، لكنه لمّا لم تظهر الحكمة منه لفريق من المؤمنين كرهوا هذا الخروج، ليس الأمر كذلك وحسب بل هم بعد ذلك يجادلون، قال تعالي:{يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ } [الأنفال: ٦].

وكان الأولي بهم أن يقبلوا الأمر ويُقبلوا عليه إقبال المحب الموقن بحكمة الحكيم سبحانه... وبعلم العليم جل شأنه، فتطيب نفوسهم بقبول قضاء الله وقدره أياً كان هذا القضاء وأياً كان هذا القدر.

وربما يكون هذا هو المعني الذي قصد إليه عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه عندما سمع أحد الصحابة رضي الله عنه يقول: " **أحب المرض تخفيفاً**

لذنبي، وأحب الفقر رقةً لقلبي، وأحب الموت شوقاً للقاء ربي ".

حقاً إنه كلام طيب خاصة وأنه نطق به لسان صادق عن قلب خاشع، وليست مجرد كلمات تفلتت من لسان لا يدرك لما يقول معني ولا يفهم لما ينطق مغزي، ولكن الأطيب من هذه الكلمات ما قاله عليّ ﷺ، فقد قال:

أحب المرض حينما أمرض لأن الله تعالي أراد ذلك.

وأحب العافية حينما أعافي لأن الله تعالي أراد ذلك.

أحب الفقر حينما أكون فقيراً لأن الله تعالي أراد ذلك.

وأحب الغني حينما أكون غنياً لأن الله تعالي أراد ذلك.

أحب الحياة مادمت حياً لأن الله تعالي أراد ذلك.

وأحب الموت حينما يقضي الله تعالي لأنه أراد ذلك.

وحب عليّ ﷺ للمرض والفقر والموت ليس لذات الأشياء هذه، فإنها أبداً لا تحب، فكما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها " **كلنا يكره الموت** "، وأنا أقول وكلنا يكره المرض ويكره الفقر، ولكنه يعني حب الرضا والتسليم لليقين بحكمة العليم الحكيم، وهذا ليس شأن علي وحسب ولكن جل أو كل أقرانه من الصحب الأخيار فإنهم قد رضوا عن الله تعالي في كل أحوالهم فرضي الله عنهم وأرضاهم.

وما من شك أنهم إنما تعلموا هذه الحكمة من النبي ﷺ لما علموه وسمعوه يّسلم الأمر كله لصاحب الأمر، فهو القائل: " **اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني ما كانت الوفاة خيراً لي** ".

وهو القائل: " **اللهم إني أبرأ إليك من حولي وقوتي وألجأ إلي حولك وقوتك** ".

وهو القائل: " **اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب** "

.[١]

ومن ثم فالمحب لا يكون محباً في وقت دون وقت ولا يكون محباً في شأن دون شأن ولا محباً في حال دون حال، ولكنه محب في كل وقت... محب في كل شأن... محب علي كل حال.

فإن كنت تحب الله تعالي لذاته فأحبب كل عطاياه.

فهو الذي يبتلي ويعافي... وهو الذي يعطي ويمنع.

وهو الذي يميت ويحيي... وهو الذي يقبض ويبسط.

فالمحب يحب ما يحبه محبوبه ويبغض ما يبغضه ويوالي من يواليه ويعادي من يعاديه ويرضى لرضاه ويسخط لسخطه ويأمر بأمره وينهى بنهيه... فهو موافق لمحبوبه في كل حال.

فهو يحب من يحبهم الله تعالى من المحسنين والمتقين ومن الصابرين والمتوكلين ومن التوابين والمتطهرين وكل من اهتدى بهداهم، ويبغض من يبغضهم الله تعالى من الكافرين والخائنين ومن المفسدين والمتكبرين ومن الظالمين والمعتدين وكل من ضل سواهم، وهو حال حبه وحال كرهه إنما يكون ذلك لله وليس لذات الأشخاص، فهو يحب المحسن لا لإحسانه إليه ولا لمّنه وتفضله عليه ولكن بحب الله تعالى له... وكذا كل من أحبه الله، ويكره الظالم لا لظلم وقع منه عليه ولا لما أصابه من جرّاء يديه ولكن بكره الله تعالى له... وكذا كل من كرهه الله، فالمحب يحب في الله ما أحبه الله ولو خالف هواه، ويبغض في الله ما أبغضه الله ولو وافق هواه.

* * *

(١) رواه ابن حبان.

الحب والكره في الله تعالى هل يجتمعان!

هل من الممكن أن يكون في القلب الواحد حب وكره لشخص واحد في ذات الوقت! وكيف ذلك والحب والكره نقيضان، والنقيضان لا يجتمعان في مكان واحد فالحب والكره{هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ} [الفرقان:٥٣].

لكن المعنى الذي أقصد إليه هو:

هل من الممكن أن تكون هناك خصال في الإنسان يُحب لأجلها وخصال أخرى يُكره لأجلها؟

والإجابة نعم، فالمرء قد تجتمع فيه خصال من الخير وأخرى من الشر، وقد تجتمع فيه أسباب الولاية وأسباب العداوة، وقد تجتمع فيه أسباب الحب وأسباب البغض، فالحب والكره إنما يكون للصفات وليس للذات أو هكذا يجب أن يكون.

فقد يكون المرء محبوبا من وجه ومكروها من وجه آخرفكل طاعة يكون عندها محبوبا وكل معصية يكون عندها مكروها فلا ضير أن تكره الشجاع حال شحه وبخله وإن أحببته شجاعاً، ولا ضير أن تحب الجبان حال سخائه وعطائه وإن كرهته جباناً، ولكن أن تحب إنساناً فتحب كل ما يأتي وكل ما يدع هكذا مطلقاً سواء كان خيراً أو شراً.

فكلا الأمرين سواء بسواء... جهل وحمق وغباء.

وآه من الحمق كم أهلك أناساً فكّره إليهم الحق وحبب إليهم الباطل وزين إليهم الشر وقبح إليهم الخير.

فالحماقة داء دونه علم كل طبيب... وبلاء دونه حلم كل لبيب.

وأحسن من قال:

لكـــــل داء دواء يســـــتطب بـــــه ::: إلا الحماقـــة أعيـــت مـــن يـــداويها

وآه من الجهل هو الآخر... فكم أعمى أبصارا وهتك أستارا... وكم أصم آذانا وأشقى أبدانا.

فكما أن العلم يرفع بيتاً لا عماد له... فإن الجهل يهدم بيت العز والكرم، حتى إن الله ﷻ أمر بالإعراض عن الجاهلين فذلك أنجى وأسلم قال تعالى:{ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ } [الأعراف: ١٩٩].

وامتدح قوماً بتجنبهم الجاهلين فذلك خير وأصوب قال تعالى:{ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ } [القصص: ٥٥].

" سلمنا الله من الجهل وأهله... وأنعم علينا بعلم ينفعنا بفضله "

* * *

هل تحب الله ﷻ؟

سؤال قد يبدو سهلاً يسيراً حتى إنه قد يجاب عليه قبل الانتهاء منه. سؤال إذا سألته لبر أو لفاجر، لصالح أو لطالح، لظالم لنفسه أو لسابق بالخيرات، لمن هو قريب من الله ﷻ أكمل قرب أو لمن هو بعيد عن الله كل البعد. كان جواب الجميع واحداً وهو نعم نحبه.

وذلك الجواب لا نكذب فيه أحداً ولا نرده على أحد حتى وإن كان من أصحاب الزلات والغفلات.

فإن كان المحب لمن يحب مطيعاً فليس دائما العاصي لمن يعصي كارهاً وإن كانت الطاعة هي أعظم براهين الحب ودلائله، فالعصيان قد يكون أحياناً لضعف أو لجهل أو لخطأ أو لنسيان، فلو أن كل عاصٍ كاره ولو أن كل مخطئ بعيد بخطاياه عن الحب لكان كل الناس كارهاً إلا المعصوم ﷺ. فهو الذي قال:**كل ابن ادم خطاء** [(١)]. فهل كل ابن آدم غيرمحب لله تعالى؟ بالطبع لا.

فلقد جيء برجل إلى النبي ﷺ ليقام عليه الحد في شرب الخمر وكان قد أُتي به قبل ذلك مرات فقال أحد الصحابة قولاً ينكر عليه فعلته وأنه لطالما أتي به في مثل هذا الموقف فقال النبي ﷺ :**لا تلعنوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله** [(٢)].

سبحان الله، يحب الله ورسوله ويشرب الخمر!

نعم فقول الرسول ﷺ صدق فهو الصادق المصدوق

فالرجل لم يعص الله ﷻ تجبراً وتكبراً وعناداً أو استخفافاً بما حرم الله تعالى وما حد من حدود أو رداً للأمر على الآمر سبحانه، ولكن ربما

(١) أخرجه الترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني (٤٥١٥) صحيح الجامع.
(٢) رواه البخاري.

لأنـه كـان حـديث عهد بإسـلام طويـل عهد بخمـر فضـعفت نفسـه مـرة أو مـرتين لكـن قلبـه مفعم ونفسـه مـلأى بحـب الله ورسـوله، وربمـا بلـغ بهـذا الحب أن تاب فتاب الله عليه ثم أحبه فإنه تعالى يحب التوابين.

وقولنا هذا ليس تبريراً لعصيان العصاه ولكن نـذكرهم وأنفسنا أنـه مـا بينهم وبين حب الله ﷻ إلا باباً واحداً ما طرقه طارق إلا وفتح له - ألا وهو: التوبة إلى الله ﷻ.

وكما أنه ليست كل معصية عن كره فليست كذلك كل طاعة عن حب فالإنسان قد يطيع لأن الطاعة وافقت هواه كصوم البخيل علـى نفسـه فمـا صام زهدا ولا طاعة وإنما صـام بخـلاً وتقتيـراً علـى نفسـه فصـام معصـية ولم يصم طاعة، وكمن أعفـى لحيتـه ومـا هو بصـاحب سُـنة وإنمـا أعفاهـا خداعاً ومكراً بالناس فظاهرها فيه سنة وباطنها من قبلـه فيـه دنيـا يصـيبها ومـآرب أخـرى الله بهـا أعلـم، وكالـذي ينفـق مالـه رئـاء النـاس طمعـاً فـي استحسان الناس، وكالذي يفعل الخير فيما يبدو للنـاس حبـاً فـي ثنـاء النـاس وامتداحهم لفعله وليس لوجه الله خالصاً.

بل وقد يترك المعصية تارك لأنـه لم يعد لـه إليهـا سبيل كتـارك الزنـا لضعف أو لمرض وما هو بتارك، وكتارك السرقة لكبر في السن أو لنفـاد حيله وما هو بتارك.

ومـن ثـم فحـب الله ﷻ يسـتطيع أن يّدعيـه أي إنسـان ولـو لـم يقـم علـى دعواه دليل ولا يحق لأحد تكذيبه، فربما خفى من أمـر العاصـي فـي أعـين النـاس توبـة جعلتـه مـن الله أقـرب وربمـا خفـى مـن أمـر الطـائع فـي أعـين النـاس كبـر جعلـه عـن الله أبعـد، وذلـك أن القلـب الـذي هـو مـوطن الحـب وعليه مداره لم يستأثر بتمام علمـه إلا الله ﷻ... فـلا الحفظـة الكـاتبون ولا الأهل المقربون ولا الشيطان الرجيم... يعلمون مـا فـي القلـب و لايسـتطيع أحـد إلـى ذلـك سـبيلا، فـالحفظـة مـن الملائكـة يعلمـون مـا تفعلـون ولكـن لا يعلمـون مـا تكنـون والأهـل المقربـون يعلمـون مـا تعلنـون ولا يعلمـون مـا

تكتمون وحتى الشياطين وإن كانوا يروّنا من حيث لا نراهم فإنهم إنما يرون قوالب وفقط أما القلوب فقد ضلوا عنها فلا يستطيعون سبيلا.

لكن الله تعالى يعلم ما كان من أمر هذا القلب وما هو كائن وما سيكون. وذلك من بدء دقاته وحتى السكون. قال تعالى:{أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك: ١٤].

وقال تعالى:{ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ } [القصص: ٦٩].

وقال تعالى:{ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ } [غافر: ١٩].

وقال تعالى:{هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ} [النجم: ٣٢].

وقال تعالى:{ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ} [الرعد:٨-١٠].

وقال تعالى:{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [آل عمران: ٥ - ٦].

وقال تعالى:{وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} [الأنعام: ٥٩].

وقال رسول الله ﷺ :**إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء** [(١)].

إذاً فليس لأحدٍ بالغاً من العلم ما بلغ أن ينكر على أحدٍ حبه لله تعالى وذلك أنه لا يعلم حقيقة ما في القلب إلا الله، فهو سبحانه الذي سواه، ويعلم ظاهره، وخفاياه، ويعلم سره ونجواه.

(١) أخرجه الترمذي وصححه الألباني (١٦٨٥) صحيح الجامع.

لكنا مع كل ما أسلفنا فإنّا على يقين من أن لهذا الحب دلائل وآيات... وشواهد وعلامات... ترى فيما يأتي المرء وفيما يدع فقد أحسن من قال:

لا تخدعن فللحبيب دلائل ::: ولديه من تحف الحبيب وسائل
منها تنعمه بمر بلائه ::: وسروره في كل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة ::: والفقر إكرام وبر عاجل

وشواهد الحب ودلائله وإن كانت كثيرة لكن مرجعها في الغالب إلى خمس شواهد جمعها الله تعالى في آيتين:

*** الشاهد الأول: اتباع النبي ﷺ :**

وهذا الشاهد آية وحده وهو في آية وحده. قال تعالى:{ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ} [آل عمران: ٣١].

*** الشاهد الثاني: أذلة على المؤمنين:**

أي: رحماء بهم مشفقون عليهم وهم في حال ذلهم للمؤمنين في علو فلم يقل الله تعالى أذلة للمؤمنين ولكن قال:**{أذلة على المؤمنين}.**

*** الشاهد الثالث: أعزة على الكافرين:**

أي يكونون عليهم كالأسد على فريسته موقنين أنهم في منعة من الله ﷻ وأن الله تعالى كافيهم إلا ما شاء.

*** الشاهد الرابع: الجهاد في سبيل الله تعالى:**

وذلك بالنفس والمال وكلمة حق تقال لا يبخلون بشيء من ذلك ولا يأمرون الناس بالبخل.

*** الشاهد الخامس: لا يخافون في الله لومة لائم:**

أياً كان هذا الخوف وأياً كان هذا اللائم فالله تعالى أحق أن يُخشى.

والشواهد الأربعة الأخيرة جمعها الله تعالى في آية واحدة.

قال تعالى: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ } [المائدة: ٥٤].

ومع هذا كله يقول أحد الصالحين: إذا قيل لك هل تحب الله؟ فاسكت فإن قلت: لا فقد كفرت وإن قلت: نعم فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت.

فقد قال تعالى: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ } [الصف: ٢ - ٣]..

نعوذ بالله من الكفر والمقت

* * *

لماذا تحب الله ﷻ!

اتفق الجميع على حبهم لله تعالى لكن ما من شك أنهم قد يختلفون في أسباب هذا الحب ودواعيه، فإذا ما سألت الناس لماذا يحبون الله فمنهم من يجد أن أكمل جواب وأبلغ صواب هو الصمت وربما يكون لديه الحق فيما آثر.

فليس كل لسان ذا بيان وقد يخطئ المرء من حيث أراد الصواب.

ومنهم من يجتهد في اختيار الكلمات التي يعبر بها عن أسباب حبه لله أيما اجتهاد... ولعله يصل إلى ما يرجو، فهل فكرت يوماً ما أن تسأل نفسك هذا السؤال. لماذا تحب الله؟

وهل اجتهدت لتبحث له عن جواب تقنع به وترضى عنه؟

أم أنك تجد أن الجواب هو الكون كله بما فيه من بعيد وقريب فلا يحتاج إلى بحث أو تنقيب، أم أنك لم تجهد نفسك بمثل هذا السؤال لقناعة منك ويقين أنه لا أحد يستطيع الجواب الأوفى عليه... فكل جواب قد يستدرك عليه، أم أنه لم يخطر لك على بال لأن الأمر ليس محل سؤال، ربما يكون لكل اختيار من هذه الاختيارات منطقه الذي يركن إليه صاحبه وحجته التي يستند إليها.

لكن على كل حال:

* من الناس من يرى أنه لحب الله ﷻ سبب واحد... وواحد فقط كما أن الله إله واحد، فإذا ما سئل لماذا يحب الله؟ قال أحبه لأنه هو الله.

وإنه لسبب دونه كل الأسباب. سبب قد أوجز صاحبه فأعجز وجمع صاحبه فمنع وربما لم يترك لغيره شيئاً يقال، اللهم إلا الطواف حول ما قال.

* ومن الناس من يرى أنه لحب الله ﷻ سببان. وذلك على رأي قول

القائلة وهي تناجي ربها وتقول:

أحبك حبين حب الهوى ::: وحب لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى ::: فشغلي بذكرك عمن سواكا
وأما الذي أنت أهل له ::: فكشفك لي الحجب حتى أراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ::: ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

ولكن يقيني:

أن أسباب حب الله ﷻ لا تُعد ولا تحصى فكل سبب للحب نعلمه أو لا نعلمه هو في الله تعالى على أكمل وأجمل وأجل ما يكون، ولمّا كنّا لا نستطيع لهذه الأسباب عداً ولا حصراً، فقد آثرت الحديث عن ثلاثة أسباب منها اعترافاً منّي بضعفي وإيماناً منّي بعجزي ويقيناً مني بتقصيري.... فاغفر اللهم وارحم... إنك أنت الأعز الأكرم.

أما السبب الأول عندي:

فهو حب الفطرة لا لسبب إلا لأن القلوب النقية والنفوس التقية التي عليها مدار الحب جُبلت على حب خالقها وبارئها حباً لا كيف له ولا وصف ولا يعلم سره ومداه ولا يعلم بدايته ومنتهاه إلا الله.

هب الرسل لم تأت من عنده ::: ولا أخبرت عن جمال الحبيب
أليس من الواجب المستحق ::: محبته عند كل لبيب
فمن لم يكن عقله بذا أمراً ::: فما له في العقل من نصيب
فإن العقول لتدعو إلى ::: محبة فاطرها من قريب
أليست على ذلك مجبولة ::: ومفطورة لا بكسب غريب

وأما السبب الثاني:

فلما اتصف به الله تعالى من صفات الكمال والجلال والجمال فكل صفة طيبة جبلت النفس السوية على حبها فهي في الله تعالى بتمامها وجمالها وكمالها وجلالها بما لا يحصى أحد وصفها ولا يطيق أحد حصرها.

فالنفس السوية جبلت على حب الكرم وهو أكرم الأكرمين، والنفس السوية جبلت على حب الرحمة وهو أرحم الراحمين، وقل في ذلك ما شئت فلن تفي، واجتهد ما شئت فإنك مقصر.

فمن ذا يشابه أوصافه ::: تعالى إله الورى عن ضريب
أليس جميلا يحب الجمال ::: تعالى إله الورى عن نسيب
ومن ذا يكافئ إحسانه ::: فيألهه قلب عبد منيب

أما السبب الثالث:

فلعظيم فضله وإحسانه على خلقه ولآياته التي هي ملء السمع والبصر فكل ما في الكون بعض من آلائه التي لا تعد، ولا شريك له في نعمائه ولا ند ولا نهاية لعطاياه ولا حد.

وإنّا لا نقصد بذلك إجمالاً لآلاء... حاشا لله.

ولا نقصد بذلك عداً لنعماء... تعالى الله.

ولا نقصد بذلك إحصاءً لثناء... سبحان الله.

فلا يظنّن بنا أحد هذه الأشياء... فإنّا منها براء.

وإنما ذِكر وتذكر... وفكر وتدبر.

فتدبر معي قطرة من فيض كماله وعظيم جلاله... فهو وحده الذي:

يخلق ويرزق... ويعز ويذل

ويميت ويحيي... ويهدي ويضل

ويقلبّ الليل والنهار... ويعلم الجهر والإسرار... ويداول الأيام بين الناس

وهو وحده الذي:

أحاط بكل شيء علما... وقهر كل مخلوق عزة وحكما

أحصى كل خلق عددا... وأمدهم وليس من غيره المدد

وسع كل شيء رحمة... ومن فضله ما بالخلق من نعمة

وسع سمعه الأصوات... فلا تختلف عليه ولا تتشابه

ولا تغيب عنه ولا تتداخل... ولا يشغله سمع عن سمع
ولا تغلطه كثرة المسائل... ولا يتبرم بإلحاح السائل
أحاط بصره بجميع خلقه على السواء
فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء
{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ } [آل عمران: ٥].
وهو وحده الذي:
الغيب عنده شهاده... والسر عنده علانيه
وعنده بعد دعاء الخلق زياده... والقلوب إليه مفضية
له الخلق والأمر والكل له عبد... وله الملك كله وله الحمد
وسعت قدرته كل شيء... ووسع علمه كل شيء
ووسعت رحمته كل شيء... ووسعت نعمته كل شيء
يغفر الذنوب... ويفرج الكروب...
ويقلب القلوب... ويستر العيوب
يغني فقيراً... ويجبر كسيراً...
ويفك أسيراً... وييسر عسيراً
يفرج هماً... ويكشف غماً...
ويعلم جاهلاً... ويهدي ضالاً
يرشد حيراناً... ويغيث لهفاناً...
يشبع جائعاً... ويكسو عارياً
يشفي مريضاً... ويعافي مبتلى...
يقبل تائباً... ويرد غائباً
يجزي محسناً... ويكفي مؤمناً...
ينصر مظلوماً... ويمنع معصوماً

يقصم جباراً... ويقبل أعذاراً...

أولى من شكر... وأحق من حمد

أكرم من تفضل... وأرحم من قصد...

لا ناقض لما بناه... ولا حافظ لما أفناه

ولا مانع لما أعطاه... ولا راد لما قضاه

{وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ} [لقمان: ٢٥].

لا مظهر لما أخفاه... ولا ساتر لما أبداه

ولا مضل لمن هداه... ولا هادي لمن أعماه

{وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ} [الزخرف: ٨٤].

سالت الجوامد لهيبته ولانت... وذلت الصعاب لسطوته وهانت

قدر التقدير فلا راد لحكمه... وعلم سر العبد وباطن عزمه

يعلم ما كان في السر والجهر... يقصم الجبابرة بالعز والقهر

محصي قطرات الندى وحبات القطر... أقرب إلى العبد من العنق إلى النحر

{هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ} [يونس: ٢٢].

خلق فسوى وقدر الأقدار... يعلم ما سيكون قبل أن يكون من أسرار

أحصى حبات الرمال وقدر قطرات الأمطار... لا يعزب عنه من ملكه شيء

{ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ} [الرعد: ١٠].

أبدع الكون فنظمه... وخلق الإنسان وكرمه

وسن الدين وعظمه... وأنزل الكتاب وأحكمه

القديم في مجده... الكريم في رفده

الرحيم... فكل خير من عنده

اللطيف... في كل حال بعبده
يخوف بوعيده ويشوق بوعده
{أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ} [الزمر: ٣٦].
قدر فاهتدى من هداه وضل من لم يهده
لا يعزب عن سمعه صوت المضطر بعد جهده
يرى جريان دم العبد في عرقه وجلده
ويعلم ما في باطن سره من بره وحقده
وعزمه وحزمه وبغضه ووده
وغمه وهمه وسهوه وقصده
وحلمه وعلمه ورضاه وزهده
ولفه ونقضه وأخذه ورده
فلا يصل عقل إلى كامل صفاته... بل يقف العقل عند حده
{وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ} [الإسراء: ٤٤].
بيده الإيجاد والإنشاء... والإماتة والإحياء
والإعادة والإبداء.... والإنعام والآلاء
يعطي من يشاء ويمنع من يشاء
لا واضع لما رفع... ولا رافع لما وضع
ولا واصل لما قطع... ولا مفرق لما جمع
ولا معطي لما منع... ولا مشابه لما صنع
سبحانه عز فارتفع... وعلا فامتنع
وذل كل شيء لعظمته وخضع
مسبب الأسباب... ومنزل الكتاب... ومنشئ السحاب
{غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ} [غافر: ٣].

سير بقدرته الفُلك والفلك
ودبر بصنعته النور والحلك
من أراد له النجاة ولو في البحر نجى
ومن أراد له الهلاك ولو في البر هلك
تعالى عن وزير... وتنزه عن نظير
يقبل من خلقه اليسير... ويعطي من رزقه االكثير
{إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ} [الحديد: ٢٢].
عظيم كريم كان ولم يزل
يغفر الذنب ويعفو عن الزلل
تنزه عن النقص والعلل
خلق الخلق ولم يتركهم همل
يتصرف في خليقته كما شاء عزاً وسلطاناً
عم المذنبين برحمته عفواً وغفراناً
حكم في بريته فأمر ونهى
وأقام بمعونته ما ضعف ووهى
وأيقظ بموعظته من غفل وسها
{إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ} [طه: ٥٤].
قسم الخلائق سعيداً وشقياً
وقسم الرزق فترى فقيراً وغنياً
فتأمل تدبيره{هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا} [مريم: ٦٥].
لا يعزب عن سمعه أقل الأنين
ولا يخفى على بصره حركات الجنين
{وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ

إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ} [الأنعام: ٥٩].

أحكم الأشياء كلها صنعاً... يتصرف كما شاء إعطاءً ومنعًا

أنشأ الآدمي من قطرة فإذا هو يسعى

وخلق له عينين ليبصر المسعى

ووالى عليه النعم وتراً وشفعاً

أجرى بإنعامه للعاملين أجراً

وأسبل بكرمه على العاصين ستراً

ودبر أحوال الخلق غنى وفقراً

لا ند له فيبارى... ولا ضد له فيجارى

ولا شريك له فيدارى... ولا معترض له فيمارى

سبحانه متفرد بالعز والجلال

متفضل بالعطاء والإفضال

{ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ} [يونس: ٣٢].

مالك الملك والممالك...

عالم بكل المسالك

الكل إلا وجهه هالك

وكل ما خطر ببالك... فهو ليس كذلك

أول لا قبل آخر... وآخر لا قبل أول

من أحبه رزقه طاعته... وحال بينه وبين معصيته

ووقاه السيئات... ويسر له الطاعات

ومن خذله وكله إلى نفسه

وأعماه فلم يدر يومه من أمسه

وجعل كل أيامه وكأنها يوم نحسه

تقدس عن اعتقاد أهل التعطيل

وتعالى عن قول أهل التمثيل

وكل قول غير ما قال كأنه ما قيل

فقد أبان للعقل على وجوده كل دليل

وهدى القلوب إليه بفضله كل سبيل

{ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ} [الزمر: ٦٢].

خلق الخلق وفضل بعضهم على بعض

فلا يستوي عنده قائم بنافلة وفرض

ومن أتبع نفسه هواها وأخلد إلى الأرض

ومن فضله كلم موسى فقيل الكليم

ومن فضله فهم سليمان فصار الحكيم

وعلم محمداً ما لم يكن يعلم... وكان فضل الله عليه عظيماً

{ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ} [الجمعة: ٤].

سبحانه لم يزل عظيماً علياً

يخذل عدواً وينصر ولياً

ويقرب تقياً ويبعد شقياً

استوى على العرش وما العرش يحمله

وينزل لا كالمتنقل تخلو منازله

يفعل ما يشاء ولا أحد من خلقه يسائله

أقرب إلى خلقه من حبل الوريد

أرحم بعباده من أم بوليد

بدأ الخلق بقدرته وأهون عليه أن يعيد

{إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ} [إبراهيم: ١٩].

قاهر المتجبر ومذلّه
ورافع المتواضع ومجلّه
القريب من عبده... فهو أقرب إليه من ظله
أحكم بحكمته ما فطر وبنى
وقرب من خلقه برحمته ودنا
فالق النوى والحب
خالق الفاكهة والأب
عليم بانكسار من ندم وإصرار من أصر
حليم فإن سطا رأيت الأمر الأمر
ويوم القيامة{إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ} [القيامة: ١٢].
يقيل عثرة... ويستر عورة
يشبع جوعة... ويؤمن روعة
يرفع أقواماً... ويضع آخرين
لا يهزم حزبه.. ولا يغلب جنده
ولا يخاف وليه... ولا يخذل صفيه
ولا سلطان على عباده الأتقياء إلا له
ينفق فلا يغيض ما في يمينه
ويعطي فلا ينقص شيء من ملكه
قلوب العباد ونواصيهم بيده
وأزمّة الأمور معقودة بقضائه وقدره
يمنع من يشاء بحكمته ويعطي من يشاء برحمته
لا معقب لحكمه ولا راد لفضله
الحلال ما أحل.. والحرام ما حرم.. والدين ما شرع

أنصر من ابتُغى... وأرأف من ملك... وأحكم من حكم
أعفى من قدر... وأجود من سُئل... وأعدل من انتقم
حلمه عن علم... وعفوه عن قدرة
ومغفرته عن عزة... ومنعه عن حكمة
كل شيء هالك إلا وجهه
وكل ظل قالص إلا ظله
وكل ملك زائل إلا ملكه
وكل فضل منقطع إلا فضله
لن يطاع إلا بإذنه ورحمته
ولن يُعصى إلا بعلمه وحكمته
يُطاع فيشكر... ويُعصي فيغفر
فلا تنفعه طاعة ولا تضره معصية
كل نقمة منه عدل... وكل نعمة منه فضل
أقرب شهيد وأدنى حفيظ
يحول بين المرء وقلبه
ويأخذ بالنواصي والأقدام
عطاؤه كلام... وعذابه كلام... فأمره ما بين الكاف والنون
{إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ} [يس: ٨٢].
حرم الظلم على نفسه فلا يظلم أحداً
وخلق الإنسان عجولاً ولا يعجل أبداً
وخلق الخلق وأحصاهم عدداً
وقسم الأرزاق ولم ينس أحداً
لا تدركه الأفهام... ولا تحيط به الأوهام

حي لا يموت... قيوم لا ينام

لا يصفه الكلام...

{ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ } [لقمان: ٢٧].

{ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ } [غافر: ٦٤].

لهذا كله ولغيره أكثر فإن دواعي حب الله ﷻ مكتملة عند النفس السوية لا يحيطها علم إنسان ولا يحصيها بيان ولا يشوبها ذرة نقصان.

ومن ثم فمنتهي الخذلان والخسران أن يحرم عبد حب الله تعالى ثم يُبتلي بمحبوب سواه، وأي خذلان أكبر وأي خسارة أكثر من أن يحرم عبد من حب الكبير المتعال ثم يهيم حباً في مخلوقٍ مثله يتقلب ما بين ضعف ونقص وعجز ثم هو بعد ذلك إلى زوال لا محالة.

إن أحد الصالحين سمع من يقول لمحبوبه وقد خلا به: " أنا والله أحبك... وأملكك كل ما أملك... ثم أنفق عليك روحي حتى تهلك ".

وقرأ مكتوبا قد كتبه محب لمحبوبه يقول فيه:

هذا كتابي إليكم فيه معذرتي ::: ينبيكم اليوم عن سقمي وعن ألمي
أجللت ذكركم عن أن يدنسه ::: لون المداد فقد سطرته بدمي
ولو قدرت على جفني لأجعله ::: طرسي وأبرى عظامي موضع القلم
لكان هذا قليلا في محبتكم ::: وما وجدت له والله من ألم

فقال: سبحان الله... هذا خلق لخلق... وعبد لعبد... فكيف بخلق لخالق... وكيف بعبد لمعبود؟!

فاعلم أنك وأحب الأشياء إليك بل وأحب الناس إليك كلاكما هبة من الله تعالى للآخر. قال تعالى:{ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ } [النحل: ٥٣].

فكيف يعلو حب الموهوب في قلبك على حب الوهاب جل شأنه وهو إنما وهبك ما وهب وأعطاك ما أعطى لتزداد له حباً وتزداد منه قرباً، لا لأن تنشغل عنه بهباته وعطاياه، ولا لأن تهيم حباً في عطاياه وتنساه، فإن فعلت فقد أقمت بنفسك الحجة على نفسك وغداً يأتي يوم لا ينفعك فيه من تحبه ولا من يحبك فالنجاة أن تعي{فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ} [الذاريات: ٥٠]، فلا نجاة في سواه.

* * *

الحب في الله ﷻ

الأصل أن تحب الله ﷻ بكل ما وسع قلبك ثم تحب كل من شئت وما شئت في الله أو لله فلا بأس، فمن أوثق عري الإيمان الحب في الله جل وعلا، لكن أن تحب مع الله ﷻ شيئا فذاك شرك في الحب فشتان ما بين الحب في الله والحب لله من ناحية وبين الحب مع الله من ناحية أخرى.

إن الإيمان مرهون بحب الله تعالى وحب من أحبه وما أحبه ففي الصحيحين أن النبي ﷺ قال:**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرأ لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار**ـــ [١].

فمن كمال الإيمان أن تحب الخير لأخيك المسلم حبه لنفسك فرسول الله ﷺ قال: **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**ـــ [٢].

وقال ﷺ:**من أحب لله وأبغض لله وأعطي لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان**ـــ [٣].

بل إن الرجل ليبلغ بحبه لأخيه منزلة لا يبلغها إلا بهذا الحب فقد قال رسول الله ﷺ:**ما تحاب اثنان في الله إلا كان أفضلهما أشدهما حباً لصاحبه**ـــ [٤].

بل إن الرجل بحبه لأخيه المسلم يكون سابع سبعة يظلهم الله تعالى بظله يوم لا ظل إلا ظله وذلك قول النبي ﷺ:**ورجلان تحابا في الله اجتمعا**

---

(١) متفق عليه.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه أبو داود وصححه الألباني ٥٩٦٥ ص.ج.
(٤) رواه البخاري.

عليه وتفرقا عليه (١).

وقال ﷺ:**ما أحب عبد عبداً لله إلا أكرم به** (٢).

ولتكتمل هذه المحبة لابد وأن تكون على عمومها حتى أنها لتشمل البر والفاجر، وقد يقول قائل هذا البر فما بال الفاجر؟

أما محبة الفاجر فلا نعني بها محبته لذاته ولكن نحب له الهداية إلى الصراط المستقيم فقد كان رسول الله ﷺ يحب الهداية للناس أجمعين حتى أنه ليبكي عندما تتفلت منه نفس كافرة بالموت إلى النار. وأما محبة البر فتعني أن تحب له الثبات على ما هو عليه من الهداية بل ويزيد وهو حب أولى وأوجب وذلك أنه من كمال الإيمان. فأحبب من شئت واجهر بحبك لهذا وهذا مادام حباً لله وفي الله فقد كان النبي ﷺ يجهر بحبه لمن أحب ويأمر أصحابه بذلك لعلمه أن ذلك يؤلف بين القلوب ويخلصها من كل ما يشوب.

فقد قال ﷺ:**إذا أحب أحدكم أخاه في الله فليعلمه فإنه أبقي في الألفة وأثبت في المودة** (٣).

ومن ثم فقد قال ﷺ لمعاذ:**يامعاذ والله إني لأحبك** (٤).

وسئل عن أحب الناس إليه؟ قال:**عائشة** (٥). فقيل له فمن الرجال؟ قال:**أبوها** (٦).

وقال:**لأعطين الراية غدا لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله** (٧)، يعني: علياً رضي الله عنه.

---

(١) متفق عليه.
(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده وحسنه الألباني ٥٥١٦. ص.ج.
(٣) رواه ابن أبي الدينا وحسنه الألباني ٢٨٠ ص.ج.
(٤) أخرجه النسائي وأبو داود وصححه الألباني ٧٩٦٩ ص.ج.
(٥) متفق عليه.
(٦) متفق عليه.
(٧) رواه البخاري.

وقال في الحسن والحسين رضي الله عنهما:**من أحب الحسن والحسين فقد أحبني ومن بغضهما فقد أبغضني** (١).

وبدا للناس من حبه ﷺ لزيد أن لقبه الناس بزيد بن محمد ثم بدا لهم من حبه لأسامة بن زيد أن لقبه الناس حِب رسول الله ﷺ. وقال ﷺ:**من أحبني فليحب أسامة** (٢).

" **وجعل من علامة الإيمان: كذلك حب الأنصار** " (٣).

وغير ذلك كثير فلقد سئل النبي ﷺ عن الحب فقال:**وهل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله**.

فأكثر من الحب في الله تعالى يأخذ بيدك هذا الحب إلى الخير كله يوم ينادي مالك الملك جل وعلا:**علي أولئك المتحابين... أين المتحابون لجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي** (٤).

وينادي:**حقت محبتي للمتحابين فيّ وحقت محبتي للمتواصلين فيّ وحقت محبتي للمتزاورين فيّ وحقت محبتي للمتباذلين فيّ وحقت محبتي للمتناصحين فيّ**. وينادي:**المتحابون فيّ علي منابر من نور يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء** (٥). وينادي:**حقت محبتي علي المتحابين أظلهم في ظل العرش يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظلي** (٦).

وهذا رسول الله ﷺ يقسم ويقول:**والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم علي شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم** (٧).

(١) رواه الحاكم وصححه الألباني ٥٩٥٤ ص.ج.
(٢) رواه مسلم.
(٣) متفق عليه.
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه مسلم.
(٦) رواه ابن أبي الدنيا وصححه الألباني ٤٣٨٠ ص.ج.
(٧) رواه مسلم.

ماذا يعطي حب الله ﷻ للمحب؟

إذا كان الناس أشد ما يكونون حرصاً على أن يحبهم الناس وربما يطرقون لأجل هذه الغاية كل باب، ويبذلون من أجلها كل نفيس حتى ولو أدى الأمر أن يضحوا بالغالي قبل الرخيص، وذلك لما يمثله حب الناس للناس من قيمة لا تغني عنها كل القيم ومن عطاء دونه كل عطاء وأن الحب يشبع في النفس حاجات لا يشبعها إلا الحب، فإنها لسعادة أن تشعر أن الناس تحبك حباً خالصاً لا لشيء ينقضي ولا لشيء يزول الحب بزواله، وإن شئت فتأمل حال إخوة يوسف عليه السلام وما كان منهم، إن سبب ما فعلوه بأخيهم إنما كان شعورهم أنه أحب منهم إلى أبيهم.

قال تعالى:{ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ } [يوسف: ٨].

فلم تطمئن قلوبهم ولم تهدأ نفوسهم ولم تقر عيونهم حتى فعلوا ما فعلوه بأخيهم وأبيهم، فلم يرحموا الشيخ لكبره... ولم يرحموا الطفل لصغره.

كل ذلك في سبيل سعيهم وحرصهم على حب بشر مثلهم حتى ولو كان هذا البشر نبياً مرسلاً وهو من قبل ذلك أبوهم، وليس الحال حال إخوة يوسف عليه السلام وحسب، (وإن شئت فتأمل حال البشر مع البشر في الحب، تجد آيات لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

فربما تأخذ بالقهر من الخلق فوق ما كنت تريد.

وربما تأخذ بالسلطان ما كنت تأمل ويزيد.

ولكن ما يؤخذ بالحب فوق هذا وهذا بأمد بعيد.

فما بالك لو أحبك الله الحميد المجيد.

فلعلك تسمع بأذن قلبك:{وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} [ق: ٣٥]، ويسهل عليك في سبيل

حبه كل جهد جهيد.

هذا الإله العظيم الذي يملك القلب وما أحب بل ويقلبه كيف يشاء بل ويحول بينه وبين صاحبه.

ألا يستحق حبه أن يبذل لأجله النفس والنفيس... ويضحي لأجله بالغالي لا بالرخيص.

ويستغني به عن كل حب سواه... ولا يكون في القلب إلا حب الله.

والله إنه لجدير بذلك وأكثر... جدير ألا يكون في القلب إلا حب الله.. وحب لله.. وحب في الله.

وذلك أن الخير كل الخير والنجاة كل النجاة في هذا الحب وليس ذلك في حب سواه، بل وفيه من خيري الدنيا والآخرة ما لا يحصى ولا يعد وما لا يعرف له نهاية ولاحد، ونذكر من ذلك الخير الشيء اليسير وإن كان بالكثير جديراً.

*** حبك لله يجعل من الصعب سهلا:**

ألم تر أن الرجل ليتحمل الصعاب الثقال.

ويقوى على الشدائد والمحال في سبيل ما يحب ومن يحب، كذلك حبك لله ﷻ يجعلك تتلذذ بالوقوف بين يديه والناس نائمون.

ويجعلك تسعد بذكره والناس غافلون.

ويجعلك تقبل عليه والناس عنه مدبرون.

ويجعلك تفر إليه في حين الجاهلون منه يفرون.

وتأمل... ما كان رسول الله ﷺ ليترك أحب البلاد إليه التي فيها نشأ وبين أهلها تربى، هذا البلد الأمين الذي قال عنه:**والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إليّ ولولا أني أخرجت منك ما خرجت** (١).

---

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني ٧٠٨٩ ص.ج.

هذا البلد الأمين الذي كان الحجر من أحجاره يحبه ويسلم عليه في غدوه ورواحه، فقد قال ﷺ:**إن في مكة حجراً كان يلقي علي السلام قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن**ـــ [١].

فما كان ليتركها ﷺ لو لم يكن الله ﷻ أحب إليه من كل مخلوق حتى ولو كانت مكة التي فيها مولده ومهده وصباه، وما كان إبراهيم عليه السلام ليسّلم ويستسلم لأمر الله لما أمره بذبح ولده الذي ظل دهراً من الزمان يتمناه حتى سمع{ وَبَشَّرْنَٰهُ}، لو لم يكن الله ﷻ أحب إليه من كل مخلوق... فنزل الأمر على قلبه برداً وسلاماً. كما كانت النار من قبل برداً وسلاماً.

وما كان أبو بكر رضي الله عنه ليترك أهله وبلده وينفق ماله كله في سبيل الله لو لم يكن محباً لله ورسوله حباً دونه كل حب، حبا دونه النفس والمال والأهل والوطن.

وما كان بلال رضي الله عنه ليتحمل ما تحمل من العذاب حتى إنه قد هانت عليه نفسه في الله لو لم يكن لحب الله حلاوة في قلبه غلبت حرارة الشمس المحرقة فشغلته بذكر من أحب ونسى ما يكابد من الآلام.

وما كان صهيب رضي الله عنه ليترك ثمرة جهده السنين الطوال راضياً غير ساخط، فرحاً غير مهموم إلا لأنه قد أحب الله ورسوله حباً قد أغناه وكفاه عن كل ما سواه، فأخذ الكافرون ماله وخسروا.. وترك صهيب ماله وربح.

وما كان سلمان رضي الله عنه ليذهب في رحلة حب طويلة يبحث فيها عن رسول الله ﷺ... يطوف لذلك البلدان.

وينزل قيعاناً، ويقطع ودياناً...

ويلاقي في سبيل ذلك كل هوان.

حتى أنه ليسرق ويباع وكان في قومه من قبل عزيزاً لا يهان.

(١) رواه مسلم.

لكن حب الله ورسوله كان عليه أعز، لكن تأمل مردود حبه لله ورسوله، إن الله قد أمر المسلمين أن يصلوا عليه في كل صلاة إلى يوم الدين يوم يقوم الناس لرب العالمين.

*** لكن كيف هذا؟**

ألا يقول المصلي في صلاته: " اللهم صل على محمد وعلى آل محمد " ؟

ألم يقل الرسول ﷺ:**سلمان منا آل البيت** [١].

فصار من آل بيت النبي بقول النبي ◘ فشملته الصلاة، فانظر ماذا فعل الحب بأهله؟

*** حبك لله يقطع الوساوس**

وذلك أن القلب الذي تتحكم فيه الوساوس إنما هو القلب الخرب الفارغ من محبة الله ﷻ، فصار المجال فيه رحبا أمام الشيطان ليغدو فيه ويروح ويصول فيه ويجول وقد وجد فيه موطناً وملاذاً وطاب له فيه المستقر فخسر صاحبه الدنيا والآخرة أدهى وأمر، أما من ملأ قلبه حب الله فلا مجال للشيطان أن يتحكم فيه. اللهم إلا نزغات ثم يتذكر فإذا هو مبصر.

*** حبك لله يهون المصائب**

من يحب الله ﷻ يوقن أن ما يصيبه إنما هو بإرادة الله الخالق سبحانه وتعالى وهو يعلم أن الخالق مالك وللمالك أن يتصرف في مملوكه كيف يشاء، ثم هو يوقن أن تصرفه هذا بحكمة بالغة فيسلم تسليم مملوك لحكيم فهو لا يخاف ظلماً ولا هضماً.

خاصةً... وأن أمره كله خير فقد قال رسول الله ﷺ : " **عجباً لأمر المؤمن فإن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابه خيراً**

---

(١) مصنف ابن أبي شيبه والحاكم في مستدركه.

شكر فكان خيراً له، وإن أصابه شراً صبر فكان خيراً له " [١].

خاصةً... لو علم أن الله وهو مالك الملك يكره مساءته فقد قال تعالى في حديث قدسي:

" ما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته " [٢].

فإذا علم المحب ذلك من أمر ربه لهانت عليه الدنيا بأجمعها ولقبل من محبوبه أي شيء وكل شيء لا لشيء إلا ليزداد له حبا... فحبه غاية وحده.

حبك لله يورث قلبك الفرحة

كان النبي ﷺ جالساً بين أصحابه فإذا بأعرابي ينادي عليه: يا محمد متى الساعة؟، فقال رسول الله ﷺ:**ويحك إن الساعة لآتية فما أعددت لها؟ــــ**

قال: والله ما أعددت لها كثير صلاة ولا كثير صيام ولكني أحب الله ورسوله.

فقال رسول الله ﷺ:**المرء مع من أحبـــ** [٣].

قال الصحابة: ما فرحنا بشيء بعد الإسلام فرحنا بقول النبي ﷺ:**المرأ مع من أحبـــ**.

فتأمل بعض ما يعطى الحب لأهله ثم راجع نفسك واسألها من تحب وأعلم أنك في معية من تحب أو في جواره ليس غير.

* * *

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البيهقي وصححه الألباني ١٧٨٢ ص.ج.
(٣) رواه مسلم.

هل يحبك الله ﷻ !

برهنا فيما سبق أنه لكل إنسان أن يدّعي أنه يحب الله ﷻ وليس لأحد أن ينكر عليه هذا الحب... فلا يعلم حقيقة قوله هذا إلا الله جل وعلا، لكن هل لأحد أن يدعي أن الله ﷻ يحبه؟

فمن قال بذلك فعليه أن يقيم على قوله هذا بينة وبرهانا وأن يكون لديه إجابات على أسئلة عديدة منها: من أنت حتى يحبك الله جل وعلا؟ وماذا فعلت حتى يخصك الله بهذه النعمة الكبرى والمنة العظمى والمكانة الأسمى؟ ومن أنبأك بهذا النبأ العظيم؟

ولا يقولن أحد نحسن الظن بالله فإن حسن الظن بالله يستدعي حسن العمل وإلا فهو كذب محض، إن المحب وحده هو الذي يخبر عمن يحب، فالله وحده هو الذي يقول وقوله الحق... وهو الذي يخبر وخبره الصدق فيمن يحب وفيمن يكره.

لكن بعض الناس يضعون لحب الله تعالى للناس معايير وهمية من عند أنفسهم هي محض افتراء على الله ﷻ ثم يصدقون أنفسهم ويغرهم في دينهم ما كانوا يفترون، فكثيرا ما يحكم الناس على الأشياء بأهوائهم المريضة أو بفهمهم الخاطئ أو بعقولهم القاصرة بل ويتمادون في إصدار تلك الأحكام بناءً على معايير هم صانعوها ومصدقوها وكان أولى بهم أن يرجعوا الأمر لصاحب الأمر. قال تعالى:{أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ} [الأعراف: ٥٤].

وكان أولى بهم أن يحكموا الله ﷻ في كل شيء لا أهواءهم. قال تعالى: {إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ} [يوسف: ٦٧].

وقال تعالى:{وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة: ٥٠]. وليعلموا أن من خالف فقد ضل واعتدى ومن أسلم فقد هدي إلى صراط مستقيم، أما

المعايير الوهمية التي وضعوها لبيان حب الله للعباد فعامتها ما يلي:

*** العطاء والمنع:**

وليس العطاء دائماً دليل حب وليس المنع دائماً دليل بغض كما يعتقد الكثير من الناس. بل قد يكون الأمر على العكس من ذلك تماما. فإن الله جل وعلا يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب بل قد يُمنع الناس من بعض عطايا الدنيا بحب الله تعالى لهم، فقد روى أن رسول الله ﷺ قال:**اللهم من آمن بك وشهد أني رسولك فحبب إليه لقاءك وسهل عليه قضاءك وأقلل له من الدنيا ومن لم يؤمن بك ويشهد أني رسولك فلا تحبب إليه لقاءك ولا تسهل عليه قضاءك وكثر عليه الدنيا** [(١)].

وها هو ذا رسول الله ﷺ يمر عليه الهلال والهلال والهلال ولا يوقد في بيته نار... وهو خير خلق الله.

ويخرجه الجوع من بيته لعله يُدعى إلى طعام... وهو خير خلق الله.

ويربط على بطنه الحجر والحجر من شدة الجوع... وهو خير خلق الله.

ويصوم حين لم يجد في بيته طعاماً... وهو خير خلق الله.

ويموت وهو لم يشبع من طعام قط... وهو خير خلق الله.

كل ذلك في ذات الوقت الذي فيه من الكافرين من يتمتع ويأكل كما تأكل الأنعام وقد أوتي من ملذات الدنيا ما يشتهي وما لم يخطر له على بال، ولو كان مثل هذا العطاء دليل حب والله ما أُعطى أحد مثل ما أُعطى رسول الله ولو كان المنع دليل بغض ما سقى الله ﷻ أحداً من الكافرين شربة ماء.

وعلى الجانب الآخر فقد أعطى الله ﷻ نبيه سليمان ﷺ ملكاً لم ينبغ لأحد من بعده، فقد كان له جنوده من الجن والإنس والطير... يعملون له

---

(١) رواه الطبراني وصححه الألباني ١٣١١ ص.ج.

ما يشاء ولا يعصون له أمر، والرياح مسخرة له غدوها شهر ورواحها شهر، كل ذلك ومن الكافرين من أذاقه الله لباس الجوع والخوف، ولو كان العطاء دليل بغض ما أعطى سليمان ﷺ ما أعطى وما أتاه الله من الملك ما آتاه ولو كان المنع دليل حب ما مُنع الكافرون من الدنيا شيء، فالأمر ليس أمر منع وعطاء فكلاهما ليس دليل حب ولا بغض.

ولكن انظر ماذا فعل صاحب المنع أصبر أم ضجر؟

وانظر ماذا فعل صاحب العطاء أشكر أم كفر؟

واعلم أن الله ﷻ يمنع الرجل بحبه الدنيا كما يمنع أحدكم سقيمه الماء، ومن لم يدرك الحكمة فقد تعبث برأسه الأهواء.

*** إجابة الدعوة:**

إن الله تعالى قد يستجيب لدعوة الداع لحبه له كما استجاب لرسله وللصالحين من عباده فيما دعوه، لكنه قد يستجيب أيضاً لقوم وهو لهم كاره ليقيم الحجة عليهم بما طلبوا أو يستجيب لهم لأن دعوتهم وافقت سابق حكمته ومقتضى مشيئته، ومن ذلك أن إبليس لما طلب من الله ﷻ أن ينظره إلى يوم القيامة أجابه الله إلى طلبه الذي وافق سابق حكمته ومقتضى مشيئته، قال تعالى:{ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ} [الحجر: ٣٦ - ٣٨].

إبليس هذا الذي لعنه الله وأبعده... وجعل النار مثواه وأخلده.

وإذا لم تكن إجابة الدعوة دليل حب على الدوام فكذلك عدم إجابتها ليس دليل بغض على الدوام، وإلا استجاب الله ﷻ لأنبيائه ورسله وهم خيرة خلقه في كل ما دعوه وهذا ما لم يحدث.

فهذا نوح ﷺ يدعو ربه قائلا:{رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ } [هود: ٤٥].

فيقول الله تعالى:{قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ

لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ} [هود: ٤٦]. فلم يجبه إلى ما دعاه من نجاة ولده.

وهذا إبراهيم عليه السلام يستغفر لأبيه بما وعده إياه، قال تعالى:{قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا} [مريم: ٤٧].

وقال تعالى:{ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ} [التوبة: ١١٤].

ولكن شاء الله أن يكون من أصحاب الجحيم ولم يجب إبراهيم عليه السلام إلى دعواه، قال تعالى:{فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ} [التوبة: ١١٤].

وهذا موسى عليه السلام فيما روى عنه في الأثر يدعو ربه قائلا: " اللهم إني أسألك أن يرضى عنّي كل الناس ". فيجيب الله جل وعلا عليه قائلا: " يا موسى إني لم أجعلها لنفسي ".

وهذا خير خلق الله قاطبة... خير من وطئ الثرى ودرة تاج الورى محمد ﷺ يقول الله تعالى له:{ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ} [التوبة: ٨٠].

وقال ﷺ:**إني صليت صلاة رغبة ورهبة وسألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنين ومنعني واحدة. سألته ألا يبتلي أمتي بالسنين ففعل وسألته ألا يظهر عليهم عدوهم ففعل وسألته ألا يلبسهم شيعا فأبى عليّ**[1].

وما أحد أكرم على الله تعالى من رسوله ﷺ وكم من عبد يدعو ربه ليفرج كربه فيأبى الله إلا أن يكون، ومن لم يدرك الحكمة فقد تعبث برأسه الظنون.

*** إعطاء السلطان:**

لو كان إعطاء السلطان دليل حب ما أعطى الله تعالى لفرعون مُلك

(١) رواه أحمد والنسائي والحاكم.

مصر وجعل له أنهاراً تجري من تحته وهو الذي طغى في الأرض وتجبر، وكفر بربه وتكبر...

وهو الذي قال عنه الله جل وعلا في كتابه:{فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ} [النازعات: ٢٤].

وقال:{وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي} [القصص: ٣٨].

وكم من عبد مؤمن يحبه الله ﷻ وهو لا يملك من أمر نفسه شيئاً بل ربما يباع ويشتري، ولا يملك من الدنيا حتى مجرد الثرى، لكن لله في خلقه شئون... ومن لم يدرك الحكمة فقد تعبث برأسه الظنون.

*** إعطاء المال الكثير:**

لو أن كثرة المال دليل حب ما أعطى الله ﷻ قارون كنوزاً صارت مضرب الأمثال حتى أن مفاتيح خزائنه لتنوء بها العصبة أولى القوة وما أعطى كافراً آخر مالاً قال فيه:{وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا} [المدثر: ١٢].

ولو أن كثرة المال دليل حب ما دعا رسول الله ﷺ وقال:**اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا** [(١)].

وكان يخشى على أمته كثرة المال ويقول:**فأبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تفتح عليكم الدنيا كما فتحت على الذين من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم** [(٢)].

وكم من عبد مؤمن يحبه الله حتى إذا ما مات لم يجد أهله ما يكفنوه فيه، ولله في خلقه شئون... ومن لم يدرك الحكمة فقد تعبث برأسه الظنون.

---

(١) رواه مسلم.
(٢) متفق عليه.

*** إعطاء الولد:**

لو كان إعطاء الولد دليل حب ما فضل الله ﷻ ذلك الكافر صاحب الجنتين بالولد على صاحبه المؤمن بل جمع له بين المال والولد.

قال تعالى:{ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا } [الكهف: ٣٤]..

وكذلك جمع لكافرين آخرين بين المال والولد، فقال تعالى:{أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ} [القلم: ١٤].

وقال تعالى:{ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ١٢ وَبَنِينَ شُهُودٗا ١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا} [المدثر: ١٢ - ١٤].. ثم يبينها الله جل وعلا واضحة جلية للجميع:{ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا} [سبأ: ٣٧].. وكم من عبد مؤمن يحبه الله ولم يشأ أن يكون له بنون، ومن لم يدرك الحكمة فقد تعبث برأسه الظنون.

*** إعطاء القوة:**

لو كان الحب بإعطاء القوة ما أعطى الله تعالى قوماً خالفوا عن أمره من القوة حتى إنهم لينحتون من الجبال بيوتاً، قال تعالى:{وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا فَٰرِهِينَ} [الشعراء: ١٤٩].

ولو كان الأمر كذلك ما أعطى الله قوماً من القوة وهم به كافرون ما جعلهم يغترون بما آتاهم الله تعالى.. قائلين:{مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً} [فصلت: ١٥].

وفي ذات الوقت يبتلي عبده ونبيه أيوب عليه السلام في عافيته وأهله زمنا طويلا حتى يدعوه.

قال تعالى:{وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ} [الأنبياء: ٨٣].

وقال تعالى:{ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ} [ص: ٤١].

لكنها إرادة الله جل وعلا فقد يبتلي عباداً له بالقوة والعافية لينظر كيف شكرهم؟ ويبتلي آخرين بالضعف والمرض لينظر كيف صبرهم؟ قال تعالى: {وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [الأنبياء: ٣٥].

وكم من عبد مؤمن يحبه الله عاش ودون ما يعانيه المنون، ولكن من لم يدرك الحكمة فقد تعبث برأسه الظنون.

*** المتع الدنيوية:**

لو كانت المتع الدنيوية الزائلة دليل حب الله ﷻ ما تمتع الكافرون بدنياهم وقد قال تعالى في شأنهم: {وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ} [محمد: ١٢].

وقال تعالى: {أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ} [الشعراء: ٢٠٥ - ٢٠٧].

وقال تعالى: {وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ} [البقرة: ١٢٦].

وكم من عبد مؤمن يحبه الله ﷻ... جل حياته ما بين هم وغم وشجون، ومن لم يدرك الحكمة فقد تعبث برأسه الظنون.

* * *

معايير حقيقية لحب الله ﷻ

هناك العديد من المعايير الحقيقية التي تدل على حب الله جل وعلا للعبد، ومن هذه المعايير:

*** القبول في الأرض:**

وذلك بأن يجعل الله ﷻ لك مكانة في قلوب من تعرف ومن لا تعرف ثم تسأل عن سبب ذلك فلا تعرف فاعلم أنما هو قبول من الله تعالى وحب، وعن هذا القبول الرباني قال رسول الله ﷺ:**إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبداً دعا جبريل إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي جبريل في السماء فيقول: إن الله تعالي أحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض**ـــ (١).

*** الانشغال بالنفس عن الآخرين:**

فإذا رأيتك قد انشغلت عن الآخرين بنفسك وما لك وما عليك، لا تتجسس ولا تتحسس أخبار الناس وقد شغلك حالك عن حال غيرك فاعلم أن ذلك من دلائل حب الله ﷻ لك وذلك أن الله ﷻ إذا أحب عبداً شغله بما يحب وحال بينه وبين ما يكره فقد قال رسول الله ﷺ:**إن الله كره لكم القيل والقال وكثرة السؤال وإضاعة المال**ـــ (٢). وقال:**من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه**ـــ (٣).

*** كثرة ذكر الله تعالى:**

وذلك أن الله جل وعلا لا يجري ذكره كثيراً إلا على لسان يحب صاحبه كثيراً خاصة وأن الفلاح مرهون بكثرة ذكر الله تعالى، فقد قال الله ﷻ: {وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ} [الأنفال: ٤٥].

---

(١) رواه مسلم.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

وهل يفلح عبد والله له كاره؟

ثم هو اقتداء بالنبي ﷺ قال الله تعالى:{ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا } [الأحزاب:٢١]، ثم هو نجاة من النفاق ومخالفة للمنافقين الذين هم شر عباد الله وقد قال تعالى عنهم:

{إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا } [النساء:١٤٢].

ثم هو استجابة لأمر الله ﷻ فقد قال الله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا } [الأحزاب: ٤١].

فإذا رأيتك كثير الذكر فاعلم أنك عند الله تعالى عظيم القدر.

*** إيثار ما يبقى على ما يفنى:**

وذلك من الحكمة:{وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ} [البقرة: ٢٦٩].

وهو من الرشد في زمن عز فيه الرجل الرشيد، وقد قال رسول الله ﷺ: **من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى ومن كانت صدقته أحب إليه مما يكتنز فقد فاز** [(١)].

فالدنيا وأهلوها والآخرة وأهلوها على مرأى ومسمع من قلبك فانظر ماذا ترى؟ فإن كنت ممن يؤثر الدنيا علي الآخرة فقد آثرت الفاني على الباقي وإن كنت ممن يؤثر الآخرة علي الدنيا فاعلم أن ذلك بحب الله لك.

*** صدق اليقين فيما عند الله ﷻ:**

وهو أن تكون أوثق فيما عند الله تعالى من ثقتك فيما بين يديك أو فيما تراه عينيك، فقد ترى عينك سراباً فتحسبه ماءً وهي واهمة حتى إذا جاءته لم تجده شيئا وقد يكون ما بين يديك ظلاً زائلاً أو يوشك أن يزول، لكن ما عند الله لا يفنى ولا يبيد، فإذا ما بلغ اليقين من العبد مبلغه الذي

---

(١) رواه الحاكم وابن حبان والبيهقي.

يجب أن يكون، رأى العبد بعين قلبه أهل الجنة في الجنة ينعمون وأهل النار في النار يعذبون ومن كان قلبه كذلك فهو قلب محب وحرى أن يُحب.

*** عدم الركون إلى طول الأمل:**

قال رسول الله ﷺ:**يهرم ابن آدم ويبقي معه الحرص والأمل** [(١)]. وقال ﷺ:**يهرم ابن آدم ويشب فيه اثنتان الحرص علي المال والحرص علي العمر** [(٢)].

فإن كان المنطق يقول بأنه كلما طال الأجل قصر الأمل لكن ما يحدث في الغالب هو العكس... ولو تعلم.

فإن الموت سهم قد انطلق إليك وعمرك بقدر وصوله إليك، فمن قصر أمله حسن عمله، ومن حسن عمله أحب لقاء ربه ومن أحب لقاء ربه أحب ربه لقاءه.

*** العدل مع الناس:**

إذا رأيتك لا تعطي من تحب مالا يستحق ولا تمنع من تبغض ما يستحق وكان شأنك العدل في الرضا والغضب وكان عطاؤك لله ومنعك لله وليس لقربى أو لهوى فاعلم أن الله ﷻ يحب المقسطين ويحب الذين يأمرون بالقسط من الناس.

*** الحب والبغض لله:**

أما الحب فقال تعالى:{وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ } [الحشر: ٩].

وأما البغض فقال تعالى:{لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ} [المجادلة: ٢٢]، فانظر في قلبك من تحب ولمَ؟ ومن تبغض ولمَ؟ فإن كان لغير الله ﷻ فلن ينفع وإن كان لله فذلك أنفع وأبقى وأسمى.

*** الابتلاء:**

لو فقه الناس عن الله ﷻ مراده لعلموا أن البلايا من الله عطايا وأن المنع من الله إحسان وأن العطاء من الناس حرمان فالله تعالى لا يأخذ إلا ليعطى... ولا يمنع إلا ليمنح.

- والابتلاء دليل إيمان:

قال تعالى:{أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ} [العنكبوت: ٢]، وقد اقتضت سنة الله ﷻ في خلقه أنه لا دخول للجنة بدون ابتلاء، قال تعالى:{أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ} [البقرة: ٢١٤].

- والابتلاء دليل حب:

قال رسول الله ﷺ:**إن عظم الأجر مع عظم المصيبة وإذا أحب الله قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضى ومن سخط فله السخط** [(١)].

وقال ﷺ:**إذا أحب الله عبداً حماه في الدنيا كما يحمي أحدكم سقيمه الماء** [(٢)]، أي: يمنعه ما يشتهي ليحميه.

والابتلاء دليل على عظم الأجر وعلو المنزلة عند الله ﷻ، قال رسول الله ﷺ:**أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلي الناس على**

(١) رواه الترمذي وإبن ماجة وحسنه الالباني ٢١١٠ ص.ج.
(٢) رواه الترمذي والحاكم وصححه الألباني ٢٨٢ ص.ج.

قدر دينهم فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشي في الناس وما عليه خطيئة [١].

وقال ﷺ: **ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة** [٢].

وقال ﷺ: **إن الرجل ليكون له المنزلة عند الله فما يبلغها بعمل فلا يزال الله يبتليه بما يكره حتى يبلّغه إياها** [٣].

وقال ﷺ: **إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة** [٤].

وقال ﷺ: **مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تفيؤه ولا يزال المؤمن يصيبه بلاء ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا يهتز حتى يستحصد** [٥].

*** استعمال الجوارح في طاعة خالقها جل وعلا:**

قال تعالى في الحديث القدسي:

من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه. ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه... [٦].

فانظر في جوارحك أين قبلتها... وأين غدوها ورواحها؟.

---

(١) رواه ابن ماجة وصححه الألباني ٩٩٣ ص.ج.
(٢) رواه الترمذي وصححه الألباني ٥٨١٥ ص.ج.
(٣) رواه الحاكم وابن حبان وحسنه الألباني ١٦٢٥ ص.ج.
(٤) رواه الترمذي والحاكم وصححه الألباني ٣٠٨ ص.ج.
(٥) رواه الترمذي وصححه الألباني ٥٨٤٢ ص.ج.
(٦) رواه البيهقي وصححه الألباني ص.ج.

*** الانشغال بالله ﷻ:**

وذلك فيما يرضى من القول والفعل فإن الله ﷻ إذا أحب قوماً شغلهم بما يحب وإذا كره قوماً شغلهم عما يحب بما لا يحب. قال تعالى:{وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ } [التوبة: ٤٦].

وقال رسول الله ﷺ:**من جعل الهموم هماً واحداً هم المعاد كفاه الله سائر همومه ومن تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك** (١).

فانظر في نفسك ما شغلك وما شاغلك، فمن كانت الدنيا أكبر همه ومبلغ علمه فما ذلك إلا لأن الله ﷻ كره انبعاثه لعمل الآخرة فثبطه فلا يقوم الواحد منهم لطاعة إلا وكأنه قد سلسل إلى جبل... هذا إن قام أصلاً ومن كانت طاعة الله ﷻ شغله وشاغله فما ذلك إلا لأن الله تعالى أحبه فيسر له طاعته حتى صارت أحب إليه من الماء البارد على الظمأ... فإذا أردت أن تعرف عند الله مقامك فانظر أين أقامك؟

*** حسن الخاتمة:**

قال رسول الله ﷺ:**إذا أراد الله بعبد خيراً عسّله** قيل: وما عسّله؟ قال: **يفتح له عملاً صالحاً قبل موته ثم يقبضه عليه** (٢).

وقال ﷺ:**إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله** قيل: كيف يستعمله قال: **يوفقه لعمل صالح قبل الموت ويقبضه عليه** (٣).

فحسن وسوء الخاتمة ليس مصادفة هكذا كما يظن البعض، فليس مصادفة أن يموت رجل وهو يلبي على جبل عرفات في يوم تتنزل فيه الرحمات ويموت آخر وهو غارق في الفواحش والمنكرات، وإنما الخاتمة

(١) رواه ابن ماجة وحسنه الألباني ٦١٨٩ ص.ج.
(٢) رواه الطبراني وأحمد وصححه الألباني ٣٠٧ ص.ج.
(٣) رواه الترمذي وصححه الألباني ٣٠٥ ص.ج.

هي إعلان النتيجة في امتحان كان مداه العمر كله فمن وفىّ وفىّ الله تعالى له وأحسن خاتمته ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا، ومن طفف فقد علمتم ما قيل في المطففين.

(نعوذ بالله من سوء الخاتمة ومن سوء العاقبة)

* * *

الفصل الثاني

هؤلاء يحبهم الله عَزَّ وَجَلَّ

حقيقة الأمر أنك لا تجد خيراً إلا والله ﷻ قد أمر به لأنه يحبه ويحب أهله ماداموا عليه قائمين ومخلصين ومتبعّين لامبتدعين، ولكّنا إذا أردنا أن نعرض لكل أبواب الخير فإنّا لا شك نسلك بذلك درباً من دروب المستحيل فلا يحصى الخير كله إلا الله ﷻ، لكنّا نعرض بشيء من الإيجازلبعض الصفات التي أخبر الله ﷻ أنه يحبها ويحب أهليها بصريح القول من القرآن الكريم، فقد أخبر جل وعلا أنه يحب:

المحسنين... والمتقين... والتوابين... والمتطهرين.

والصابرين... والمتوكلين... والمقسطين... والمجاهدين.

ومن يتبع نبيه ورسوله محمد ﷺ

ثم بعد هذا العرض ننظر في أنفسنا أنحن من هؤلاء الذين أحبهم الله ﷻ وبأي درجة، ثم نسأله جلّ وعلا أن نبلغ في هذه الصفات الدرجات العلى... ثم نسأله التثبيت حتى نلقاه وهو لنا محب وعنّا راضِ، فقد قال رسول الله ﷺ:**والله لا يلقي الله حبيبه في النار**ـــ [1].

* * *

---

(١) رواه الحاكم وصححه الألباني ٧٠٩٥ ص.ج.

الله يحب المحسنين

قال تعالى:{وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [البقرة: ١٩٥].

وقال تعالى:{الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: ١٣٤].

وقال تعالى:{لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [المائدة: ٩٣].

وقال تعالى:{وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: ١٤٧ - ١٤٨].

وقال تعالى:{وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [المائدة:١٣].

وقال رسول الله ﷺ:**إن الله تعالى محسن يحب الإحسان** (١).

وقال ﷺ:**إن الله تعالى يحب العامل إذا عمل أن يحسن** (٢).

وقال ﷺ:**إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته** (٣).

وقال ﷺ:**أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقا** (٤).

(١) صححه الألباني في صحيح الجامع ١٨٢٣.
(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان وحسنه الألباني ١٨٩١ ص.ج.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه ابن حبان وحسنه الألباني ١١٧٦ ص.ج.

وقال ﷺ: **إن من أحبكم إليّ وأقربكم منّي مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً** (١).

والحسن هو ما حسنّه الشرع لا ما حسنه العقل، وما حسنه العقل السوي مما لم يرد فيه نص شرعي... فما رآه الشرع حسناً فهو حسن وما رآه غير ذلك فهو إلى ما قال، والإحسان يسع كل شيء من أمر الدين والدنيا جميعاً فإن كان فيما لا يظن أنه مأمور به فيه وهو الذبح كما في الحديث الذي أسلفنا فإنه في غيره أولى وأوجب، فالمسلم يجب أن يكون شأنه الإحسان في كل شيء ويتحرى لذلك ويجتهد ما وسعه الاجتهاد فإن كان قولاً فليكن بالحسنى قال تعالى:{وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا} [البقرة: ٨٣].

وقال تعالى:{ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ} [الإسراء: ٥٣].

وإن كان اتباعاً لقول فليكن للأحسن قال تعالى:{ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ } [الزمر: ١٨].

وإن كان دفعاً فليكن بالأحسن قال تعالى:{ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ} [فصلت: ٣٤].

وقال تعالى:{ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ} [المؤمنون: ٩٦].

وإن كانت دعوة إلى الله ﷻ فبالحسنى قال تعالى:{ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ} [النحل:١٢٥].

وإن كان جدالاً فبالحسنى قال تعالى:{وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ} [النحل: ١٢٥].

وقال تعالى:{وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ} [العنكبوت: ٤٦].

وإن كان أداءً فليكن بالحسنى قال تعالى:{فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ

(١) رواه الترمذي وحسنه الألباني ٢٢٠١ ص.ج.

بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ } [[البقرة: ١٧٨].

وإن كان رداً لتحية فليكن بالأحسن قال تعالى:{ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا} [النساء: ٨٦].

وإن كان تسريحاً فبالحسنى قال تعالى:{ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ} [البقرة: ٢٢٩].

وإن كان قرباً من مال يتيم فبالحسنى قال تعالى:{وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ} [الأنعام: ١٥٢].

وإن كانت شفاعة كانت حسنة قال تعالى:{ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ } [النساء: ٨٥].

وإن كانت أسوة فلتكن أحسن أسوة قال تعالى:{ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا } [الأحزاب: ٢١].

وذلك أن الناس لا غنى لهم عن الإحسان ومن ثم فإن الله تعالى قد أمر به بعد ما أخبر أنه يحبه، قال تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: ٩٠].

فليس كل الناس يقنع من الناس بالعدل إنما يطمعون منهم في الفضل... يطمعون في الإحسان حتى وإن لم يكونوا من المحسنين.

ومن ثم كان أمر الله ﷻ بالإحسان في كل قول أو فعل... لكل قريب أو بعيد... لمن هو أهله ومن ليس له بأهل. فالإحسان من أقرب السبل الموصلة إلى حب الله تعالى فإنه سبحانه يحب المحسنين وهو كذلك من أقرب السبل الموصلة إلى حب الأسوياء من الناس فقد قيل قديماً:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ::: فلطالما استعبد الإنسان إحسانُ

أما حب الله ﷻ للمحسن والذي عليه مدار حديثنا فلأنه ﷻ يحب الذي يتصف بمقتضيات صفاته، فالله ﷻ قد أحسن في خلق الإنسان تمام

الإحسان، قال تعالى:{لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ} [التين: ٤].

وقال تعالى:{فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ} [المؤمنون: ١٤].

وقال تعالى:{ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ} [السجدة: ٧].

وقال تعالى:{صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ} [النمل: ٨٨].

ومن ثم فالمسلم مطالب أن يتخلق بهذه الصفة الطيبة.

قال تعالى:{وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ} [القصص:٧٧].

وقال رسول الله ﷺ:**إن الله تعالى محسن فأحسنوا**[١].

فأحسن في كل أحوالك وفي كل أعمالك... أحسن فيما تأتي وفيما تدع... فيما تقول وفيما تفعل

أحسن في شأنك كله ما استطعت... فإحسانك لنفسك وإساءتك عليها.

قال تعالى:{إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ} [الإسراء: ٧].

وقال ﷺ:**إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يكتب له عشرة أمثالها إلي سبعمائة ضعف وكل سيئة يعملها يكتب له مثلها حتى يلقي الله**[٢].

فالذي يحاسب على الأعمال خبير بصير... يعلم إحسان المحسن وإساءة المسيء، يعلم جهد المخلص وتقصير المقصر... يعلم السر وأخفى

فلو تعلم فإن الناقد بصير، وبعباده خبير، ولا يخفى عليه نقير ولا قطمير، ولا صغير ولا كبير، فإذا ما علمت ذلك عبدت الله تعالى كأنك تراه وما الإحسان إلا ذلك، فكيف بعمل تعمله وأنت على يقين أن الله ﷻ يراك ويسمعك، لابد وأن يكون العمل حسناً، ولابد وأن يكون العامل

(١) صححه الألباني ١٨٢٣ ص.ج.
(٢) متفق عليه.

محسناً، وكفى بمن هذا شأنه أنه يجعل القلوب قبل الألسنة تهتف بكلمة " **الله** " عندما ترى الشيء الحسن. فالنفوس السوية جبلت على حب الجمال ولن يتأتى الجمال إلا من الإحسان.

ولكن واأسفاه... فكم من مسلم أساء في إسلامه أو أساء إلى إسلامه وما كان ينبغي له ذلك... فالمسلم من حسن إسلامه ثم أحسن فيه قال تعالى:{ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [البقرة: ١١٢].

وقال تعالى:{وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ } [لقمان: ٢٢].

واعلم أنه ما من كفارة للإساءة إلا الإحسان فقد قال رسول الله ﷺ: **إذا أسأت فأحسن** (١).

وقال ﷺ:**أتبع السيئة الحسنة تمحها** (٢).

وقال الله تعالى:{وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ} [القصص: ٥٤].

وقال جل وعلا:{إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [النمل: ١١].

فالأمر لا يتوقف عند مجرد ظاهر الإسلام وحسب ولكنه يتعداه الى جوهره... الى كل ما يحسن الإسلام به من قليل أو كثير، ومن قريب أو بعيد.

فإن تشتغل بنفسك عن الناس فذلك من حسن إسلامك، فقد قال رسول الله ﷺ:**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه** (٣).

وإن تقض ما عليك بأحسن ما تحب أن يقضى إليك فذلك من حسن

(١) رواه الحاكم وحسنه الألباني ٣١٧ ص.ج.
(٢) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.
(٣) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

إسلامك، فقد قال رسول الله ﷺ:**خياركم أحسنكم قضاءً للدين**ـــ [(١)].

ثم ترقى وترقى إلى أن تصل بحسن خلقك الى درجة الصوّام القوّام، فقد قال رسول الله ﷺ:**إن المسلم المسدد ليدرك درجة الصوّام القوّام بآيات الله بحسن خلقه**ـــ [(٢)].

ولنا في النبى ﷺ الأسوة الحسنة فقد كان شأنه كله الاحسان إذا قام أحسن القيام.... وإذا صام أحسن الصيام وإذا صمت كان صمته حسنا بكونه فكراً، وإذا تكلم كان نطقه حسنا بكونه ذكرا وكان حسناً في مأكله.. حسناً في مشربه.. حسناً في ملبسه.. حسناً في كل ما يأتي وكل ما يدع.

فمع كونه أحسن الناس أخلاقًا إلا أنه كان من دعائه:**اللهم كما حسنت خَلْقى فحسن خُلُقي**ـــ [(٣)]، فاستجاب له ربه ثم ذكاه فقال ﷻ: { وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ } [القلم: ٤].

ولما كان إحسان النبي ﷺ قد بلغ مداه في كل جوانب حياته لزم علي المسلمين الاقتداء به وأن يكون لسان حالهم قبل مقالهم...

يا كل الدنيا اشهدي ::: أننا بغير محمد لا نقتدي

وذلك استجابةً لأمر الله تبارك وتعالى إذ يقول:{ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا } [الأحزاب: ٢١].

وهذا مثل يروى عن مقتدٍ بالنبى ﷺ في إحسانه و حسن خُلقه وهو جعفر الصادق رضى الله عنه... إذ أساء إليه فتاه يوماً ما فنظر إليه غضباً وغيظاً من صنيعه... فقال له فتاه يذكره بآية من كتاب الله{وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ }، فقال: كظمت غيظي فقال الفتى{وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ}، فقال: عفوت عنك، فقال الفتى:{وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ } [آل عمران: ١٣٤]، فقال: اذهب فأنت حر، فانظر ماذا فعل الإحسان بأهله إنه جعل

(١) متفق عليه.
(٢) رواه أحمد في مسنده وصححه الألباني ١٩٤٩ ص.ج.
(٣) رواه أحمد في مسنده وصححه الألباني ١٣٠٧ ص.ج.

الرجل يعتق فتاه بإساءته إليه.

فتمثل بعض ذلك واقتد ::: تنل ما ناله المحسنون وتهتدي
وسر على درب النبي الذي ::: يقابل بالإحسان حتى المعتدي
فإن أردت للإحسان معنى فإنما ::: نرادف الإحسان دوماً بمحمدِ

وللإحسان ثمار أطايب لا يجنيها إلا محسن ولا يحرمها إلا مسيء منها ما هو في الدنيا فيصفي كدرها... ومنها ما هو في الآخرة، فيؤمن خطرها... ومن هذه الثمار:

*** حب الله ﷻ:**

إن المحسن لا تتوقف عاقبة إحسانه على دنياه وحسب ثم يضيع إحسانه بعد ذلك هباءً. لكنه يفوز الفوز العظيم بحب الله تعالى وكفى بذلك جزاءً ومصيراً.

قال تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ} [البقرة: ١٩٥].

وقال رسول الله ﷺ:**يحب الله العامل إذا عمل أن يحسن** [(١)].

وقال ﷺ:**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه** [(٢)].

فاجعل الإحسان سبيلك إلى حب الله ﷻ فلن تخيب المسعى ولن تعدم الجزاء الأوفى.

*** رحمة خاصة من الله تعالى:**

إن المحسن يكون بإحسانه أهلاً لأن ينال رحمة خاصة من الله تعالى وذلك أن الله ﷻ وإن كان رحيماً بعباده قريباً منهم بفضله إلا أن رحمته أقرب ما تكون من المحسنين خاصة.

قال تعالى:{إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ} [الأعراف: ٥٦].

*** معية خاصة من الله ﷻ:**

(١) رواه الطبراني وحسنه الألباني ٨٠٣٧ ص.ج.
(٢) رواه البيهقي وحسنه الألباني ١٨٨٠ ص.ج.

إن لله تعالى معية عامة للخلق جميعاً بعلمه أما مع خاصة خلقه فله معية بحفظه ورعايته وستره ومحبته ومن أولئك الخواص المحسنون.

قال تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ } [النحل: ١٢٨].

وقال تعالى:{ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ } [العنكبوت: ٦٩].

*** عاجل الجزاء:**

قال تعالى:{ قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ} [الزمر: ١٠].

وقال تعالى:{وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ} [النحل: ٣٠].

فكما أن للمحسن من الجزاء الآجل ما لا يعلمه إلا الله ﷻ فإن له كذلك من الجزاء العاجل ما تقر به عينه في الدنيا جزاء صنيعه وليسلك الناس مثل سبيله... وما أجمل سبيل المحسنين.

قال تعالى في حق يوسف ؏:{ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ } [يوسف: ٢٢].

وقال تعالى في حق موسي ؏:{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ } [القصص:١٤].

فعاجل جزاء الإحسان ليس حكراً على أحد كما بينت الآيتان ولكنه لكل المحسنين وإن اختلف قدره وطبيعته على حسب قدر المحسن وطبيعة الإحسان.

*** الإحسان يبدل عداوة الناس حبا:**

إن الإحسان إلى الناس يجعلهم أشبه بملك اليمين لكنهم مختارون محبون، فإذا ما أحسنت إليهم فأمرك فيهم مجاب وقولك فيهم مسموع وحاجتك فيهم مقضية، بل قد يجعل الإحسان من أعدائك أولياء لك بعد

الذي كان منك ومنهم، قال تعالى:{وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [فصلت: ٣٤ - ٣٥].

*** النظر إلى وجه الله تعالى في الآخرة:**

إن المحسن لينال بإحسانه ما لا يناله أحد غيره في الآخرة ينال ما كل شيء دونه حتى الجنة... ينال النظر إلى وجه الله الكريم، قال تعالى:{لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ} [يونس: ٢٦].

قال أهل العلم: الحسنى: هي الجنة والزيادة هي النظر إلى وجه الله ﷻ، ومن ثم فإن وجوه المحسنين هي تلك الوجوه التي قال عنها رب العزة تبارك وتعالى:{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: ٢٢، ٢٣].

فهلا نظرت بعد ذلك في صلاتك وزكاتك وفي صيامك وقيامك وفي كل أخلاقك ومعاملاتك.. وهلا تأملت أي ذلك حسن فزدته إحسانا وأيه قبيح فتبت إلى الله تعالى منه وحسنته؟ فإن الله بعدما عدد من نعيم الجنة ماعدد أعقب ذلك بقوله تعالى:{هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ} [الرحمن: ٦٠].

فأحسن فلعل الإحسان يقود خطاك... إلى حب الإله الذي سواك.

ومن آثر القبيح فليحذر أن يكون من المقبوحين وليخش يوما يقول فيه:{لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ} [الزمر: ٥٨].

واعلم أن... أعقل الناس محسن خائف وأحمق الناس مسيء آمن.

{رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ} [البقرة: ٢٠١].

* * *

الله يحب المتقين

قال تعالى:{بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ} [آل عمران: ٧٦].

وقال تعالى:{فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ} [التوبة: ٤].

وقال تعالى:{فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ} [التوبة: ٧].

وقال رسول الله ﷺ:**خير الناس ذو القلب المحموم واللسان الصادق**. قيل: ما القلب المحموم؟ قال:**هو التقي النقي الذي لا إثم فيه ولا بغي ولا حسد**. قيل: فمن علي أثره؟ قال:**الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة**. قيل: فمن علي إثره؟ قال:**مؤمن في خلق حسن** [(١)].

وقال ﷺ:**إن الله يحب العبد التقي الغني الخفى** [(٢)]، وقال ﷺ:**اتق الله حيثما كنت** [(٣)].

وقال ﷺ:**أكرم الناس أتقاهم** [(٤)].

وقال ﷺ:**أوصيك بتقوى الله تعالي فإنه رأس كل شيء** [(٥)].

وقد قيل في التقوى معان كثيرة:

منها: أن يجدك الله ﷻ حيث أمرك ولا يجدك حيث نهاك.

ومنها: أن تجعل بينك وبين عذاب الله وغضبه وسخطه وقاية وذلك بفعل ما أمر واجتناب ما نهى.

ومنها: الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والرضا بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل.

(١) رواه بن ماجه وصححه الألباني ٣٢٩١ ص.ج.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه الترمذي من حديث أبي ذر وقال: حديث حسن.
(٤) متفق عليه.
(٥) رواه أحمد وحسنه الألباني ٢٥٤٣ ص.ج.

ومنها: أن يطاع الله فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر.

ومنها: ألا تفعل فعلاً ولا تقل قولاً تعتذر منه أو تندم عليه غداً.

هذه هي التقوى، فماذا عن صفات المتقين الذين يحبهم الله ﷻ؟

إن الله تبارك وتعالى قد وصفهم في كتابه العزيز وصفا وافيا فقال في بعض وصفهم:{الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ} [البقرة: ١ - ٥].

وقال تعالى:{لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ} [البقرة: ١٧٧].

وقال تعالى:{ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ} [الحج: ٣٢].

وقال تعالى:{وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ} [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٥].

وقال تعالى:{وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٤٨ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ} [الأنبياء: ٤٨ - ٤٩].

وهذه الصفات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم يفسرها على بن أبي طالب كرم الله وجهه.

فيقول لما سئل عن المتقين:

" منطقهم صواب، وملبسهم اقتصاد، ومشيهم تواضع.

غضوا أبصارهم عن محارم الله ووقفوا أسماعهم على العلم النافع.

نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء.

عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم فهم والجنة كمن رآها فهم فيها منعمون.

وهم والنار كمن رآها فهم من عذابها مشفقون.

شرورهم مأمونة، وحاجاتهم من الدنيا خفيفة، وأنفسهم عما ليس لهم عفيفة.

صبروا أياماً قصيرة أعقبتهم راحة طويلة.

أرادتهم الدنيا فلم يريدوها وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها.

لهم قوة في دين وإيمان في يقين.

وحرص على علم، وعلم في حلم، وقصد في غنى، وخشوع في عبادة، وتجمل في فقر.

يمسى أحدهم وهمه الشكر، ويصبح وهمه الذكر.

قرة عينيه فيما لا يزول وزهده فيما لا يبقى.

قريباً أمله، قليلاً زللـه.

خاشعاً قلبه، قانعة نفسه، سهلا أمره، مكظوما غيظه.

الخير منه مأمول والشر منه مأمون.

يعفو عمن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه.

مقبلاً خيره، مدبراً شره في الزلل وقور، وفي المكاره صبور.

وفي الرخاء شكور، لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم فيمن يحب.

لا يؤذي جاراً، ولا يهتك أستاراً، لا يشح بما يملك، ولا يمن بما

يعطي.

يقول فيعمل... ويعمل فيخلص، ويخلص فيشفق ألا يقبل منه.

فانظر في نفسك أين أنت من هذا الوصف لتعلم أمرك وتستبين سبيلك.

أتقي أنت؟ أم أنك تجاهد نفسك لعلك تصل؟ أم أنك على الطريق تسير؟

هل تتقي الله ﷻ كما أمر فقد قال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ } [آل عمران: ١٠٢].

فأي مبلغ من هذا الحق قد بلغت؟ فهل تطيع الله فلا تعصيه؟ وهل تذكر فلا تنساه؟ وهل تشكره فلا تكفره؟

فإن شق الأمر عليك فهل اتقيت الله ﷻ ما استطعت كما أمر؟ فقد قال تعالى:{فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ} [التغابن: ١٦].

واعلم أن الذي أمر ونهى يعلم وسعك واستطاعتك أكثر منك فلا يكلفك إلا ما تطيق ولا يأمرك إلا بما تستطيع.

قال تعالى:{ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ } [البقرة: ٢٨٦].

وقال تعالى:{لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ} [الطلاق: ٧].

وهل استعنت على طلب التقوى بالدعاء واللجوء إلى الله تعالى لتكون من أهلها كما فعل ذلك النبي ﷺ ؟ فقد كان من دعائه:**اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**[(١)].

ثم هل اتقيت ما يأخذ بك بعيداً عن تقوى الله جل وعلا، فهل اتقيت الظلم ودعوة المظلوم؟

(١) رواه مسلم.

فإن رسول الله ﷺ قال:**اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلي السماء كأنها شرارة**ــ [(١)].

وقال ﷺ:**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**ــ [(٢)].

وهل اتقيت فتنتي الدنيا والنساء؟

فإن رسول الله ﷺ:**إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني اسرائيل كانت في النساء**ــ [(٣)].

أم أنك تركت لنفسك الحبل على الغارب وأتبعتها هواها وأخلدت إلى متع الدنيا الزائلة حتى صارت في قلبك شغله وشاغله فإياك إياك... واعلم أن أولئك هم الفجار، قال تعالى:{أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ} [ص: ٢٨].

فما كان الله ﷻ بعدله وفضله ليسوى بين الصالحين والمفسدين وما كان الله ﷻ بعدله وفضله ليسوى بين المتقين والفجار سواءً محياهم ومماتهم.

وذلك أن التقوى هي الغاية التي من أجلها كنا وكانت السماوات والأرض فإن الله ﷻ ما خلق الخلق إلا ليعبدوه، قال تعالى:{وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦].

وما أمرهم ليعبدوه إلا ليتقوه.

قال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ٢١].

فإن كانت العلة من الإيجاد هي العبادة فإن العلة من العبادة هي

(١) رواه الحاكم وصححه الألباني ١١٨ ص.ج.
(٢) رواه الطبراني وصححه الألباني ١٠١ ص.ج.
(٣) رواه مسلم.

التقوى وإلا فكم من مصل لا يصل إلى الله، وكم من مزك لا يزكيه الله، وكم من حج حجت عيره أما هو فلا، وكم من صائم حظه من صومه الجوع والعطش ليس إلا.

والتقوى هي وصية الله تعالى لخلقه جميعا، قال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١].

والتقوى هي وصية الله تعالى لكل من آمن به، قال تعالى:{وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا} [النساء: ١٣١].

وقال تعالى:{وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: ١٥٣].

وأمر الله تعالى بها المؤمنين خاصة.

قال تعالى:{فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا} [الطلاق:١٠].

وقال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ } [آل عمران: ١٠٢].

وقال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ} [الحشر:١٨].

والتقوى كذلك وصية رسول الله ﷺ فقد قال:**أوصيكم بتقوى الله**[١].

وقال:**أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب فإن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب خذوا ما حل**

(١) متفق عليه.

ودعوا ما حرمــ [(١)].

ومن أجل التقوى أرسل الله تعالى الرسل مبشرين ومنذرين.

قال تعالى: { وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [الأنعام: ٥١].

وقال تعالى: { أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } [الأعراف: ٦٣].

ومن أجل التقوى أنزل الله ﷻ القرآن العظيم.

قال تعالى: { وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا } [طه: ١١٣].

وقال تعالى: { قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } [الزمر: ٢٨].

ومن أجل التقوى حد الله الحدود.

قال تعالى: { تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } [البقرة: ١٨٧].

وقال تعالى: { وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [البقرة: ١٧٩].

ومن أجل التقوى شرع الله العبادات.

قال تعالى: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [البقرة: ١٨٣].

وقال تعالى: { ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ } [البقرة: ١٩٧].

وقال تعالى: { فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ }

(١) رواه ابن ماجة وصححه الألباني ٢٧٤٢ ص.ج.

[الليل: ٥ - ٧].

وقال تعالى:{ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ } [الحج: ٣٧].

وكما أمر الله ﷻ بالتقوى كذلك أمر بكل ما من شأنه أن يوصل إليها من مكارم الأخلاق... من عفو وعدل ونقاء سريرة، فأما العفو فقد قال تعالى:{وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ} [البقرة: ٢٣٧].

وأما العدل فقد قال تعالى:{ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ } [المائدة: ٨].

وأما نقاء السريرة فقد قال تعالى:{وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [المجادلة: ٩].

كما خص الله ﷻ المتقين بالولاية من دون الناس ثم آمنّهم من الخوف والحزن، فقال تعالى:{أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ } [يونس: ٦٢، ٦٣].

وقال تعالى:{إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ} [الجاثية: ١٩].

على أن التقوى ليس لأحد أن يدّعيها أو ينفيها عن أحد فهي من خاصة علم الله ﷻ، قال تعالى:{هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ } [النجم: ٣٢].

وقال تعالى:{ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ } [آل عمران: ١١٥].

وقال تعالي:{ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ } [التوبة: ٤٤].

وأشار النبي ﷺ إلى صدره قائلاً:**التقوى ها هنا** (١). وللتقوى ثمار

(١) رواه مسلم.

أطايب لا يجنيها إلا تقي ولا يُحرمها إلا شقي.

ومن أطيب ثمار التقوى:

*** حب الله ﷻ:**

إن الله تعالى يحب عباده الأتقياء أولئك الذين امتلأت قلوبهم بحبه ففاضت في جوارحهم سمعاً وطاعة لأمره واجتناباً لنهيه، وقد غلبت التقوى على قصدهم فكان نقياً وعلى سعيهم فكان صراطاً سوياً وعلى جهدهم المقل فكان موفوراً ثريا، وما ركنوا يوماً إلي الشيطان لما علموا أن الشيطان كان للرحمن عصيا.

قال تعالى:{بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ } [آل عمران: ٧٦].

*** العلم النافع:**

خير العلوم وأشرفها ما كان متعلقاً بكتاب الله وسنة رسوله، وكل علم تعلمه صاحبه لوجه الله خير، والعلم الذي يرضاه الله ﷻ ويرضى عن صاحبه إنما هو إحدى ثمار التقوى.

قال تعالى:{وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٨٢].

*** معية خاصة:**

إن الله ﷻ مع كل عباده بعلمه يعلم سرهم ونجواهم لكنه مع عباده المتقين برحمته ورعايته.

قال تعالى:{وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ} [البقرة: ١٩٤].

وقال تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ } [النحل: ١٢٨].

*** الفرج القريب والرزق اليسير:**

تقوى الله ﷻ تجعلك أقوى من كل كرب وأغنى من كل فقر

فإن ضاقت بك الأحوال

أو عصفت بك الأهوال
وحسبت أن النجاة مما أنت فيه محال
فاعلم أنه بالتقوى كل الخطوب زوال
وإن كانت في عدد الرمال أو في عزم الجبال
ومن قال بغير ذلك فإنما هو محض جدال
وليعلم كل مجادل أن الله شديد المحال

قال تعالى:{وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا} [الطلاق: ٢، ٣].

وقال تعالى:{وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا} [الطلاق: ٤].

فلا يغرنك ما ترى أحياناً من ضيق في عيش الأتقياء ومن سعة في عيش الأشقياء فإنما ذلك ابتلاء، فما أحسن قول القائل:

عتبت على الدنيا لرفعة جاهل ::: وتأخير ذي فضل فقالت خذ العذرا
بنو الجهل أبنائي لهذا رفعتهم ::: وأهل التقى أبناء ضرتي الأخرى

*** قبول الأعمال:**

كثرة الأعمال ليس شرطاً للقبول فرب أعمال كالجبال وهي لا تزن عند الله شيئاً، وذلك أن الله ﷻ جعل قبول الأعمال مرهوناً بشرط واحد وهو التقوى، قال تعالى:{إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ} [المائدة: ٢٧]، فمن استوفى الشرط فقد فاز ومن طفف فقد علمت ما قيل في المطففين.

*** المنزلة الأسمى عند الله ﷻ:**

إن الله تعالى لم يجعل تفاوت منزلة عباده عنده في الدرجات بمال ولا ولد ولا بحسب ولا نسب، وإنما جعل المنزلة الأسمى والمكانة الأعلى عنده جل شأنه بالتقوى ليس إلا، قال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}

[الحجرات: ١٣].

وقد جاء في الأثر أن الله تعالى يقول لعباده يوم القيامة: **عبادي تكلمتم كثيراً وأنا أنصت لكم فاليوم أتكلم وأنتم تنصتون، لقد وضعت لكم أنساباً ووضعتم لأنفسكم أنساباً، قلت إن أكرمكم عند الله أتقاكم وقلتم إن أكرمكم أغناكم، فاليوم أرفع نسبي وأضع أنسابكم**.

*** النجاة من العذاب:**

إن الله سبحانه وتعالى خلق النار وجعلها لمن عصاه وخلق الجنة وجعلها لمن أطاعه واتقاه، فلا نجاة من عذابه إلا بتقواه، قال تعالى:{ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} [مريم: ٧٢].

وقال تعالى:{ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [الزمر: ٦١].

*** عدم استحواذ الشيطان:**

إن الإنسان خلق ضعيفاً لا يقوى على أعدائه بذاته لكنه يقوى عليهم بقوة الله ﷻ، إذ لا قوة إلا بالله، فما بالك إن كان عدوك يراك ولا تراه، فلا نجاة لك منه إلا بالله فهو سبحانه بيده نجاتك وأمنك وأمانك.

فالشيطان بكيده ومكره وغوايته لا يقوى على من كان في حفظ الله ورعايته يكشف عن بصيرته، ويقوي من عزيمته، ويلهمه رشده وحجته.

قال تعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ } [الأعراف: ٢٠١].

*** دوام الخلة:**

يوم القيامة كل الأخلاء يتخاصمون، ومن أخلائهم يفرون ويتبرؤون، فهو يوم لا تنفع فيه الأسباب، ولا تغني فيه الأنساب، إلا ما كان من خلة المتقين لأنها كانت خلة لله وليست لسواه.

قال تعالى:{ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ } [الزخرف: ٦٧]

*** التقوى خير لباس:**

اعلم أن...

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى ::: تجرد عريانا وإن كان كاسيا
وخير لباس المرء طاعة ربه ::: ولا خير فيمن كان لله عاصيا

واعلم أن...

أفضل ما زودت زاد التقى ::: وشر ما تحمل زاد الأثام
والجسم ينسيه البلى في الثرى ::: ما كان عانى من خطوب جسام

لذلك كله قال تعالى:{ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ } [الأعراف: ٢٦].

*** التقوى خير زاد:**

إن الله تعالى لم يأمر بالتزود إلا من أمرين أما الأول فهو العلم النافع.

قال تعالى:{وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا} [طه: ١١٤].

وأما الثاني فهو التقوى، قال تعالى:{وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ } [البقرة: ١٩٧].

فمن لم يتزود بالتقوى وقف يوم الميعاد بين يدي الله تعالى بغير زاد في يوم السفر فيه طويل والخطب فيه جليل:

فتب إلى الله مما جنيت ::: وكن منتبهاً قبل الرقاد
أترضى أن تكون رفيق قوم ::: لهم زاد وأنت بغير زاد

*** التقوى براءة من الكبر والفساد:**

فكيف لتقي أن يتكبر... أو يفسد في الأرض أو يتجبر، إن التقوى وقاية من كل سوء في الدنيا والآخرة، قال تعالى:{تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ} [القصص: ٨٣].

*** بالتقوى تضاعف الرحمة ويكشف عن البصيرة:**

إن الله ﷻ يضاعف من رحمته لعباده المتقين وإن كانت رحمة واحدة

لكافية ويكشف عن بصيرتهم في زمن يتخبط فيه الناس في فتن كقطع الليل المظلم بعضها فوق بعض، قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ} [الحديد: ٢٨].

*** الأتقياء هم المعنيون برحمة الله:**

إن رحمة الله ﷻ وإن وسعت كل شيء إلا أن للأتقياء رحمة خاصة لم ولن ينازعهم فيها أحد، قال تعالى:{وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ } [الأعراف:١٥٦].

*** بالتقوى تنال الفلاح والرحمة والبركة:**

أما الفلاح فقد قال تعالى:{وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ } [آل عمران: ٢٠٠].

وأما الرحمة فقد قال تعالى:{ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ} [الحجرات: ١٠].

وأما البركة فقد قال تعالى:{وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ} [الأعراف:٩٦].

*** التقوى... الجنة وما فيها:**

قال تعالى:{ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ} [الزمر: ٧٣].

وقال تعالى:{ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ } [آل عمران: ١٩٨].

وقال تعالى:{إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ} [المرسلات: ٤١].

وقال تعالى:{ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ } [القمر: ٥٤ - ٥٥].

وقال تعالى:{إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ} [الطور: ١٧].

وقال تعالى:{إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ} [الذاريات: ١٥].

وقال تعالى:{إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ} [الدخان: ٥١].

وقال تعالى:{مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ} [محمد: ١٥].

وقال تعالى:{مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ} [الرعد: ٣٥].

*** بالتقوى تنال حسن الخاتمة:**

قال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢].

قال أهل العلم:**من اتقى الله ﷻ حق تقاته في حياته ضمن الله له ألا يقبضه إليه إلا مسلماً.**

فإذا حسن البدء بالتقوى حسن الختام بالإسلام.

قال تعالى:{وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا} [النساء: ٧٧].

وقال تعالى:{وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ} [الزخرف: ٣٥].

وقال تعالى:{تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [القصص: ٨٣].

ومن أيسر السبل إلى تقوى الله تعالى التفكر في فضله وقدرته عليك.

قال تعالى:{قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ} [يونس: ٣١].

فإن يمسسك الله بضر فهل من كاشف له إلا هو؟

وإن يردك الله بخير فهل من راد لفضله؟

وإن غضب عليك فهل لك من نصير أو ولي؟

وإن رضى عليك فهل ينالك بأذى شقى؟

فسبحان من يجير ولا يجار عليه

وكل الأمور لا محالة راجعة إليه

فيــا مــن يحــدث نفســه ::: بــدخول جنــات النعــيم
إن كنــت متقيــاً فأنــت ::: علــى الصــراط المســتقيم
لا ترجــون ســلامة مــن ::: غيــر مــا قلــب ســليم
فاســلك طريــق المتقــين ::: وظــن خيــراً بــالكريم
واذكــر وقوفــك خائفــاً ::: والنــاس فــي أمــرٍ عظــيم
إمــا إلــى ذل الشــقاوة ::: أو إلــى العــز المقــيم
فــاغنم حياتــك واجتهــد ::: وأنــب إلــى الــرب الــرحيم

نعم اغنم حياتك قبل مماتك وإقامتك قبل ظعنك قبل أن يقول رب العباد لك على رؤوس الأشهاد:

عبــدي بــأي عــين ترانــي ::: يــا مــن بــارزني وعصــاني
وبــأي وجــه تلقــاني ::: يـا مـن مـن نسـى عظمـة شـاني
خــاب المحجبــون عنــي ::: وهلــك المبعــدون منــي

نعم اغنم حياتك قبل أن يقال لك:

يــا لفُجــرك مــا ادخــرت ::: ليــوم بؤســك وافتقــارك
فلتنــزلن بمنــزلٍ ::: تحتــاج فيــه إلــى ادخــارك
أفنيــت عمــرك بــاغترارك ::: وأفنــاك فيــه بانتظــارك
ونســيت مــا لابــد منــه ::: وكــان أولــى بادكــارك
ولــو اعتبــرت بمــن مضــى ::: لكفــاك علمــاً باعتبــارك
لــك ســاعة تأتيــك مــن ::: ســاعات ليلــك أو نهــارك
فتصــير محتضــراً بهــا ::: فتهيــأ قبــل احتضــارك
مــن قبــل أن تســلب الــنعم ::: ثــم تخــرج مــن ديــارك
مــن قبــل أن يتشــاغل ::: الــزوار عنــك وعــن مــزارك

نعم اغنم حياتك يامن غفل وسها:

واعمـــــل لنفســـــك واســـــتعد	:::	مـــا مــــن ورود المـــوت بـــد
قـــد أبلـــى الـــدهر الشـــباب	:::	ومـــــا مضـــــى لا يســـــترد
أمـــا يخـــاف أخـــو المعاصـــي	:::	مـــن لـــه الـــبطش الأشـــد
يومـــــا يعـــــاين موقفـــــا	:::	فيـــــه خطـــــوب لا تحـــــد
فـــــإلام ينشـــــغل الفتـــــي	:::	فـــي لهـــوه والأمـــر جـــد

{فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠) رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا} [الطلاق: ١٠ - ١١].

فتقوى الله سبيل إلي فضل من الله لا يدانيه فضل، قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الأنفال: ٢٩].

وعليك أن تقف مع نفسك وقفة صادقة وتجيب عن هذين السؤالين في كتاب الله جل وعلا...

أما السؤال الأول فيقول الله تعالى:{ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ } [يونس: ٣١].

أجب وأسمع نفسك صوت جوابك... أفلا تتقي؟

أما السؤال الثاني فيقول الله تعالي:{وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٥١) وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ} [النحل: ٥١ - ٥٢].

أجب وأسمع نفسك صوت جوابك... أتتقي غير الله؟

{رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأعراف: ٤٧].

* * *

الله يحب التوابين

قال الله تعالى:{وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: ٢٢٢].

وقال رسول الله ﷺ:**من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه**[١].

وقال ﷺ:**كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون** [٢].

وقال ﷺ:**الندم توبة والتائب من الذنب كمن لا ذنب له** [٣].

وقال ﷺ:**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بخلق يذنبون ثم يستغفرون الله فيغفر لهم** [٤].

وقال ﷺ:**لو أن العباد لم يذنبوا لخلق الله خلقاً يذنبون ثم يستغفرون ثم يغفر لهم وهو الغفور الرحيم** [٥].

وقال ﷺ:**لله أشد فرحا بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا وجدها** [٦].

وكون الله ﷻ تواباً يقتضي أن يكون ابن آدم مذنبا وإلا فعلى من يتوب... وعلى من يجود بعفوه وغفرانه إلا على أصحاب الذنوب.

أما شروط التوبة فيمكن جمعها في شرط واحد وهو استغراق الزمن كالذي استغرقته المعصية... والمعصية قد استغرقت الزمن كله، ماضيه

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه الترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني ٤٥١٤ ص.ج.
(٣) رواه الطبراني وحسنه الألباني ٦٨٠٣ ص.ج.
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه الحاكم وصححه الألباني ٥٢٤٣ ص.ج.
(٦) رواه الترمذي وصححه الألباني ٥٠٣٢ ص.ج.

وحاضره ومستقبله، أما الماضي... فقد نسى فيه العاصي حين عصى سابق فضل الله عليه.

وأما الحاضر... فقد نسى فيه العاصي حين عصى اطلاع الله عليه.

وأما الآتي... فقد نسى فيه العاصي حين عصى الله وقوفه غداً بين يديه.

ومن ثم فمن أراد أن يتوب فعليه أن يتوب وتستغرق توبته الزمن كله ماضيه وحاضره ومستقبله.

غير أن الماضي لا سبيل إلى استدراك ما كان فيه فيكفيه الندم، وأما الحاضر فيكفيه الإقلاع عن الذنب وأما الآتي فيستلزم العزم على عدم العودة، وأما ما كان من حق العباد فيرده إليهم ما استطاع التائب إلى ذلك سبيلا، والتوبة ليست على أصحاب الكبائر وفقط وليست على أصحاب الصغائر وحسب وإن كان كل الناس أصحاب صغائر فإن العصمة ماتت بموت النبي ﷺ، بل إن التوبة على كل الناس فرض عين، وكيف لا والمعصوم ﷺ كان يستغفر الله تعالى في اليوم أكثر من سبعين مرة.

على أن ما يجب الإشارة إليه أن استغفاره لم يكن من ذنب ولكنه كلما ارتقى في العبادة وزاد في الطاعة كل يوم عن سابقه كان يستغفر ويتوب إلي الله من الحسن لما بلغ الأحسن، ومن الطيب لما بلغ الأطيب، فهو أخشى الناس لله ﷻ وأتقاهم له وأعلمهم به، ومن ثم فالتوبة لمن دونه أولى- وكل الناس دونه - لذلك قال تعالى آمراً المؤمنين:{وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ } [النور: ٣١].

وقال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ} [التحريم: ٨].

ثم قرن الله ﷻ التوبة بالإيمان وجعل عاقبتهما الفلاح، فقال تعالى: { فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلۡمُفۡلِحِينَ } [القصص: ٦٧].

على أن هناك أمرين في التوبة يجب الإشارة إليهما:

*** أما الأول:**

فعن أولئك الذين يفعلون الطاعات بجوارحهم ولكن قلوبهم غافلة، تصلي منهم الأجسام والقلوب لاهية، وتصوم منهم الأبدان والعقول ساهية، ويحجون فتلبي ألسنتهم أما قلوبهم فليست ملبية، والمصيبة أنهم يحسبون أنهم على شيء وما هم على شيء " اللهم إلا الغفلة "، وإن قال قائل بتوبة أصمّوا آذانهم وكأن الكلام لابد وأن يكون لغيرهم... وإن هذا لعجب عجاب.

فها هو رجل صالح من السلف وقد بلغ من العمر أرذله وأصابه المرض فأخذ يبكي... فقيل له: أتبكي على الدنيا؟ فقال: كلا بل أبكي على فوت صلاتي... قالوا: كيف ذلك؟ وقد كنت مصلياً؟ قال: لأني بقيت يومي هذا وما سجدت إلا في غفلة، ولا رفعت رأسي إلا في غفلة، وها أنا ذا أموت على غفلة، ثم تنفس الصعداء وأنشد يقول:

تفكرت في حشري ويوم قيامتي ::: وقد صرت وحدى في المقابر ثاويا
فريداً وحيداً بعد عزٍ ورفعةٍ ::: رهينا بجرمي والتراب وساديا
تفكرت في طول الحساب وعرضه ::: وذل مقامي حين أعطي كتابيا
ولكن رجائي فيك ربي وخالقي ::: بأنك تعفو ياإلهي خطائيا

فحذار:{أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ } [الأعراف: ١٧٢].

*** أما الأمر الثاني:**

فكثير من الناس إذا ما تابوا تابوا عن الذنوب التي كانوا عليها قبيل التوبة أما الذنوب التي كانوا عليها منذ زمن فقد تركوها منذ زمن بعيد فلا معنى لكلمة التوبة... هكذا ظنهم، لكن الأمر ليس كذلك.

فلو أن شاباً كان يسرق ثم هداه الله تعالى وأقلع عن المعصية وهو عليها قادر وهو على ما كان يفعل نادم وهو على عدم العودة عازم فذلك الذي يقال عنه تائب، أما ذلك الذي ظل يسرق حتى كبرت سنه وضعف بدنه وقلت حيلته ولم يعد يستطيع للسرقة سبيلاً فإنه في واقع الأمر لم

يتب وإنما ترك هذه المعصية وحسب لأنه لم يعد عليها قادراً، كذلك الذي طالما زنى وهتك الأعراض ولكن دارت به الأيام فبلغ مبلغاً من المرض أو العجز أو الضعف أو الفقر حتى ما عادت ترغب فيه البغايا فما عاد يزني، فإنه في واقع الأمر لم يتب وإنما ترك المعصية لأنه لم يجد إليها سبيلاً... وإلى غير ذلك من الأمثال كثير.

إن كثيراً من الناس تركوا ذنوباً لكنهم لم يعزموا على التوبة منها وإنما تركوها وفقط أو حيل بينهم وما بين ما يشتهون وفقط وظنوا أنهم قد استوفوا شروط التوبة وما استوفوا منها شيئاً.

أما الإقلاع: فما أقلعوا وإنما عجزوا أو ضعفوا أو حيل بينهم وبين معاصيهم.

وأما الندم: فما ندموا بل قد يتباهون بالذي كان من أمرهم في سالف الزمن.

وأما العزم على العودة: فما عزموا وإنما هم إلى ذلك مضطرون مجبرون وغيره لا يملكون.

فلن يعد الشيخ الكبير شاباً فتياً تبتغيه النساء، ولن تعد العجوز الشمطاء يوماً مطمع ومشتهى الرجال:

فيا أيها المذنب المحصى جرائمه ::: لا تنس ذنبك واذكر منه ما سلفا
وتب إلى الله قبل الموت مزدجراً ::: يا عاصياً واعترف إن كنت معترفاً

فانتبهوا يا أولي الألباب... فما زلتم في زمن الإمكان وما زلتم في زمن الإمهال

وتذكروا ما كان من ذنوبكم وتوبوا منها من جديد

حتى وإن لم تعودوا تفعلونها وتركتموها من زمن بعيد

وتذكروا يوماً تعرضون فيه على الله

يوم ينادي عليكم بلسان الحال

أيـا عبـداً لـرب العـرش عاصـيا ::: أتـدري مـا جـزاء ذوي المعاصـيا
سـعير للعصـاة لهـا زفيـر ::: وغـيظ يـوم يؤخـذ بالنواصـيا

وما أدراك ما النار؟ كفاها وصفاً أن الله تبارك وتعالى قد نسبها إليه فقال:{نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ} [[الهمزة: ٦]، فهلا علمت من ذلك شأنها.

فـإن تصـبر علـى النـار فاعصـه ::: وإلا فكـن عـن العصـيان قاصـيا
وفيمـا قـد كسـبت مـن الخطايـا ::: وهنت النفس فاجهد في الخلاصيا

نعم اجهد في الخلاص وما ذلك إلا بتوبة نصوح وليكن لسان حالك

يـارب إن عظمـت ذنـوبي كثـرة ::: فلقـد علمـت بـأن عفـوك أعظـم
إن كـان لا يرجـوك إلا محسـن ::: فـبمن يلـوذ ويسـتجير المجـرم
أدعـوك رب كمـا أمـرت تضـرعاً ::: فـإذا رددت يـدي فمـن ذا يـرحم
مـالي إليـك وسـيلة إلا الرجـا ::: وجميـل عفـوك ثـم إنـي مسـلم

وإياك واليأس من رحمة الله ﷻ فذلك أعظم من كل ذنب أذنبته وإياك وأن تظن أن عفو الله ومغفرته دون ذنبك، فذلك أعظم من كل ما صنعت بل هو سبيل إلى الكفر.

قال تعالى:{إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ} [يوسف: ٨٧].

والقنوط من رحمة الله سبحانه على الرغم من الذنوب عين الضلال.

قال تعالى:{وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ} [الحجر: ٥٦].

ولا تسأل الله ﷻ العصمة فإنك لن تنالها أبداً فقد دفنت في قبر النبي ﷺ، ولكن اسأله أن يتوب عليك فذاك أجدر أن يجاب، ولذلك يذكر أن أحد العباد كان يسأل ربه في طوافه في البيت الحرام أن يعصمه من الذنوب، ثم غلبته عيناه فنام فسمع قائلا يقول: أنت تسأل الله العصمة وكثير من عباده يسأل ذلك فإذا عصمهم فعلى من يتفضل ويجود بمغفرته وعفوه؟ وعلى من يتوب؟

إن أسماء الله الحسنى لابد وأن يكون لها أثر في خلقه ومن أسمائه جل وعلا أنه التواب وهذا متناف مع العصمة لاشك.

شـــمر عســـى أن ينفـــع التشـــمير	:::	وانظـــر بفكـــرك ماإليـــه تصـــير
طالـــت أمالـــك يملئهـــا الهـــوى	:::	ونســـيت أن العمـــر منـــك قصـــير
قـد أفصـحت دنيـاك عـن غـدراتها	:::	وأتـــى مشـــيبك والمشـــيب نـــذير
دار لهـــوت بزهوهـــا متمتعـــاً	:::	ترجـــو المقـــام بهـــا وأنـــت تســـير
فـــلا يشـــغلنك عاجـــل عـــن آجـــل	:::	أبـــداً فملـــتمس الحقيـــر حقيـــر

ثمـار التوبـة:

حب الله تبارك وتعالى للتائبين:

إن التوبة من أحب العبادات إلى الله تعالى وأكرمها عليه، قال تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: ٢٢٢]، ومـن محبتـه للتـائبين ابتلى عباده بالذنوب حتى يتوبوا منها إليه ويقبلوا منها عليه ومن ثم ما أغلق دونهم باباً وما جعل بينه وبين عباده التائبين حجاباً، ثم بعد ذلك كله يسـأل الله ﷻ الخلـق قـائلاً:{أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ} [النـور: ٢٢].

فرح الله ﷻ بالتائبين:

إن الله تبارك وتعالى يفرح بعبده حين يتوب إليه فرحاً عظيماً ضرب له النبي ﷺ مثلاً بالواجد لراحلته التي عليها طعامه وشرابه بعدما فقدها في الأرض المهلكة وأيس من أسباب النجاة... فأي فرح هذا؟

فأخلص في التوبة يفرح الله تعالى بك فرحاً لا تدرك معناه إلا يوم أن تلقاه يوماً ما منكم فيه من أحد إلا ويكلمه الله.

التوبة من سبل القبول:

إن مقام الذل والانكسار بين يدي الله جل وعلا مقام جدير بالقبول بـإذن الله تعـالى، ذلـك أنـي لمـا تأملـت مقامـات القبـول رأيتهـا مرهونـة بالانكسار بين يدي الملك الجبار، فتلك الصلاة يقول عنها النبي ﷺ:**أقرب**

ما يكون العبد من ربه وهو ساجد [1]. وقال تعالى:{وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب} [العلق: ١٩].

ولماذا القرب مرهون السجود وليس بالقيام أو الركوع؟

لأنه لما وضع أشرف ما فيه على التراب ذلاً وانكساراً لله باريه خلّف هذا عزاً وقبولاً وقرباً من الله تعالى.

- ثم هذا المظلوم الذي لا ترد له دعوة، لماذا؟

لأن ظلم الظالم كسره وأذله فدعى الله تعالى في انكساره هذا وذله فاستجاب الله تعالى له.

- ثم هذا المسافر الذي ترك أهله وماله ووطنه لماذا يستجاب له؟

ذلك أن الغربة كسرته والوحدة أذلته فدعوته أجدر أن تُجاب.

- ثم هذا الصائم له دعوة لا ترد حتى يفطر أو حين يفطر لماذا؟

ذلك أنه كُسرت شهوته وذُلت رغبته فدعوته أجدر أن تجاب.

- ثم هذا المضطر يُجاب إلى دعوته إذا دعى لماذا؟

لأنه ما دعى إلا وقد أذلته حاجته وكسره اضطراره.

- حتى إن الوالد إذا دعا على ولده من قلبه واعياً أجيب إلى دعواه

لأنه ما دعا عليه إلا بما أذله وجحد فضله عليه فاستجاب الله له

- وكذلك التائب إذا ملأ قلبه الذل والانكسار والخضوع لله ﷻ مما قد كان منه من ذنوب ومعاصي في جنب الله تعالى فدعى الله منكسراً خائفاً وجِلاً كان ذلك أجدر ألا تُرد دعواه.

فإذا ما أراد الله بعبد خيراً ألقى في قلبه انكساراً، يعرفه بها قدره ويستخرج منه عجبه وكبره.

واعلم أن أنين المذنبين أحب إلى الله تعالى من تسبيح المّدلين.

(١) رواه مسلم.

فإن ذنباً تذل به لديه خير من طاعة تدل بها عليه.

التوبة سبيل إلى الجنة:

إن العبد قد يعمل الحسنة فلا تزال نصب عينيه وإن قام وإن قعد وإن ركع وإن سجد حتى تورثه عجباً وكبراً وازدراءً للناس حتى يدخل بها النار، وإن العبد قد يذنب الذنب فلا يزال نصب عينيه وإن قام وإن قعد وإن ركع وإن سجد حتى يورثه انكساراً وذلاً ثم توبة واستغفاراً وندماً وإشفاقاً مما قدم حتى يدخل به الجنة.

بالتوبة تمحي الذنوب وتبدل السيئات حسنات:

قال رسول الله ﷺ:**التائب من الذنب كمن لا ذنب له** [1]، فالذي أمر بالكتابة قادر على أن يأمر بمحو ما كتب، قال تعالى:{يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ } [الرعد: ٣٩].

وقال تعالى:{ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا } [الفرقان: ٧٠].

والتبديل يكون في الدنيا والآخرة لأولئك التائبين المخلصين أما الذي في الدنيا فيبدلهم بالزنا عفة وإحصانا، وبالكذب صدقاً وبالخيانة أمانة وبالفحش حياءً وبالرياء إخلاصاً وأما الذي في الآخرة فيبدل سيئاتهم التي عملوها بحسنات فيعطيهم مكان كل سيئة حسنة ويزيدهم من فضله.

ولذلك يروي أبو ذر ﷺ أن النبي ﷺ قال:**إني لأعلم آخر رجل يخرج من النار، يؤتي بالرجل يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه ذنوبه... ويخبأ عنه كبارها فيقال عملت يوم كذا، كذا وكذا وهو مقر لا ينكر وهو مشفق من كبارها... فيقال أعطوه مكان كل سيئة حسنة فيقول: إن لي ذنوباً ما أراها ها هنا** [2]، قال أبو ذر فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى

(١) رواه ابن ماجه وحسنه الألباني ٣٠٠٨ ص.ج.
(٢) رواه مسلم.

بدت نواجزه.

ويقول رسول الله ﷺ:**ليتمنين أقوام لو أكثروا من السيئات الذين بدل الله ﷻ سيئاتهم حسنات**[(١)].

التوبة فلاح في الدنيا والآخرة:

إن كان الإصرار على المعاصي وعدم التوبة منها ظلم للنفس أي ظلم، قال تعالى:{وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ} [الحجرات: ١١]، فعلى الجانب الآخر فإن التوبة مقرون بها الفلاح في الدنيا والآخرة، قال تعالى:{وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور: ٣١].

بشريات للتائبين:

قال رسول الله ﷺ:**إن عبداً أصاب ذنباً فقال رب أذنبت فاغفره فقال ربه: أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثم مكث ماشاء الله ثم أصاب ذنباً فقال ربي أذنبت آخر فاغفر لي قال أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثم أصاب ذنباً فقال ربي أذنبت آخر فاغفر لي قال أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليعمل ما شاء**[(٢)].

وقال ﷺ:**لله أفرح بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا وجدها**[(٣)].

وقال ﷺ:**يجئ يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال يغفرها الله لهم ويضعها علي اليهود**[(٤)].

وقال ﷺ:**إن للتوبة باباً عرض ما بين مصراعيه مابين المشرق والمغرب لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها**[(٥)].

(١) رواه الحاكم وحسنه الألباني ٥٣٥٩ ص.ج.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه الترمذي وابن ماجة وصححه الألباني ٥٠٣٢ ص.ج.
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه الطبراني وحسنه الألباني ٢١٧٧ ص.ج.

وقال ﷺ فيما يروي عن ربه ﷻ:**ياعبادي إنكم تخطؤون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم**[١].

ثم تأمل وتدبر وتفكر في هذه الآيات:

قال تعالى:{قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ} [الزمر: ٥٣].

وقال تعالى:{وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا } [النساء: ٢٧ - ٢٨].

وقال تعالى:{ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ } [النحل: ١١٩].

وقال تعالى:{ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ } [طه: ٨٢].

وقال تعالى:{ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا } [الفرقان: ٧٠].

وقال تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ } [النساء: ١١٦].

وقال تعالى:{ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [التوبة:١٠٢].

وقال تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ} [النجم: ٣٢]، وقال تعالى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍۚ } [الأعراف:١٥٦].

وقال تعالى:{كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [الأنعام: ٥٤].

وقال تعالي:{إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ

(١) رواه مسلم.

وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا} [النساء:٣١].

وإنـي لا أجـد تعليقـاً علـي هـذه الآيـات المبشـرات غيـر قولـه تعـالي: {ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ}.

* * *

الله يحب المتطهرين

قال تعالى: {لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ} [التوبة: ١٠٨].

وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: ٢٢٢].

وقال رسول الله ﷺ: **إذا أراد الله بعبد خيراً طهره قبل موته قالوا وما طهور العبد قال العمل الصالح يلهمه إياه حتى يقبضه عليه** (١).

وقال ﷺ: **الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها** (٢).

والطهارة هي النقاء من كل ما يشين ظاهراً وباطناً خلقةً وخُلقاً، قال تعالى: {وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: ٢٥].

قال أهل العلم مطهرون من كل ما يؤذي في الخلقة أو في الخُلق.

ومن ثم فالطهارة طهارتان طهارة قلب وطهارة قالب فأما طهارة القالب فلها من الأهمية مالها حتى أن المسلم لا تقبل منه صلاة بغير طهارة سواء كانت هذه الطهارة فعلية بالوضوء أو حكمية بالتيمم.

فقد قال رسول الله ﷺ: **لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ** (٣)، والإسلام في عمومه دين طهارة فليس من الإسلام في شيء أن يكون المسلم رث الهيئة قذر الثياب متغير الرائحة، فالنبي ﷺ كان دائماً طاهر الثوب طاهر البدن على الدوام ولما لا وقد قال له ربه

---

(١) رواه الطبراني وصححه الألباني ٣٠٦ ص.ج.
(٢) رواه مسلم.
(٣) متفق عليه.

تبارك وتعالى:{وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ} [المدثر: ٤].

وهو القائل:**لا يحافظ على وضوئه إلا مؤمن** [(١)].

حتى يخرج من أمته من يقول إذا استطعت ألا تذكر الله إلا وأنت على طهارة فافعل، غير أن طهارة القلب وطهارة القالب غير منفصلتين بل إن طهارة القالب سبيل وتذكير إلى طهارة القلب، وقد جمع الله تبارك وتعالى بينهما حين قال:{وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} [المدثر: ٤، ٥]، فالأولى طهارة قالب والثانية طهارة قلب.

وعامة عذاب القبر يكون بعدم الطهارتين، طهارة القالب وطهارة القلب أما عدم طهارة القالب فصورته الذي لم يكن يستبرئ من بوله وأما عدم طهارة القلب فصورته الذي كان يمشي بالنميمة بين الناس.

ثم تأمل النبي ﷺ وهو يّعلم أمته السبيل إلى الطهارتين فيحث على الوضوء مبيناً أهميته وضرورته لكل مسلم فهو في حد ذاته عبادة فوق كونه طهارة.

فيقول ﷺ:**إذا توضأ العبد فمضمض خرجت الخطايا من فيه فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفار يديه فإذا مسح رأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة** [(٢)].

ثم يزيد ﷺ في التأكيد على ذلك ويقول:**إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع**

---

(١) رواه الحاكم وصححه الألباني ٩٥٢ ص.ج.

(٢) رواه النسائي وابن ماجه وصححه الألباني ٤٤٩ ص.ج.

الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل يديه خرجت من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوبـ [١].

ومن ثم فالوضوء طهارة قلب قبل أن تكون طهارة قالب لمن يعي، ثم إذا ما شرع في الصلاة ﷺ وقف بين يدي ربه يناجيه قائلاً:**اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبردـ** [٢].

وكلها دعوات لنقاء وطهارة القلب الذي هو الغاية.

أما الصلاة فيقول عنها ﷺ:**مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار على باب أحدكم كثير الماء يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فهل يبقى عليه من الدرن شيءـ** [٣].

ثم يؤكد ﷺ على ذلك فيقول:**تحترقون تحترقون فإذا صليتم الصبح غسلتها ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم الظهر غسلتها ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العصر غسلتها ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم المغرب غسلتها ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العشاء غسلتها ثم تنامون فلا يكتب عليكم حتى تستيقظواـ** [٤].

وهذا ليس شأن الصلاة وحسب ولكنّا لو تأملنا لرأينا عجباً لرأينا أن العبادات كلها فرضت لتطهر القلوب من كل ما يشوب فإنما فرضت رحمةً وفضلاً وليست مشقة وألماً.

---

(١) رواه مسلم.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه الطبراني وصححه الألباني ٣٥٧ صحيح الترغيب.

- فأما الصلاة فقد بيّنا ما كان من أمرها.

وأما الزكاة فقد قال عنها ربنا ﷻ:{خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [التوبة: ١٠٣].

وأما الصوم فقد وصفه رسول الله ﷺ بأنه:**وجاء** وفي رواية بأنه:**جُنة** وكلاهما يعني الحماية والوقاية ومن ثم الطهارة والنقاء وذلك إن صح وخلص.

- وأما الحج فإنه يخلّص القلب من كل العوالق والأدناس إن صح وخلص ولذلك قال رسول الله ﷺ :**من حج فلم يرفث ولم يفسق عاد من حجه كيوم ولدته أمه** [(١)]، أي: طاهراً مطهراً، فسبحان الله العظيم.

الصلاة تطهر والزكاة تطهر والصوم يطهر والحج يطهر على شرط الصحة والإخلاص، هذا يقين لابد وأن يكون واقراً في القلب - هذا يقين لابد وأن يصدقه العمل.

ومن ثم فالمسلم الذي يوقن أن الله ﷻ مطلع عليه يرى باطنه كما يرى ظاهره حرى به ألا يطهر ما كان للناس ظاهراً من جسده، ثم يترك قلبه والذي هو الغاية مرتعاً خصباً للغل أو الحقد أو الحسد أو الطمع أو كل ما يحول بينه وبين رحمة ربه - تبارك وتعالى - وحبه، فإن الصلاة وإن كانت لا تصح بغير طهارة البدن بالوضوء فإنها كذلك لا تقبل من غير طهارة القلب من خبيث الصفات وسيئ العادات.

ولذلك نؤكد:

على أنه يجب أن نفهم حكمة الوضوء على أنه ليس فقط طهارة للقالب دون القلب وإنما طهارة القلب قد تكون فيه أوضح وأظهر ولكن لأولي الألباب، والدليل على ذلك ما أسلفناه من أحاديث للنبي ﷺ تبين أن الماء ينزل بالموضع من الإنسان فيطهر ظاهره وباطنه.

---

(١) رواه البخاري.

ومن فهمنا هذا ننطلق إلى فهم آخر لقول الرسول ﷺ:**الطهور شطر الإيمان** [١]، وهو أنه كان يعني بذلك طهارة البدن وطهارة القلب معاً.

أما أن يّطهر الإنسان ما الناس مطلعون عليه ويدنس ما الله مطلع عليه فقد جعل الله تعالى أهون الناظرين إليه، فالذي قلبه مدنس بالذنوب والآثام لو غمس في بحر يمده من بعده سبعة أبحر فلن يطهر أبداً، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى، إن كان شطر الإيمان الأول طهارة ونقاء الظاهر والباطن أو القلب والقالب فإنا نفهم شطر الإيمان الآخر أن يمتلئ هذا البدن ظاهراً وباطناً بكل ماهو خير من أمر الدنيا والآخرة، وهل الإيمان إلا ذلك بعد وقرب... بعد عن كل دنس وسوء وشر، وقرب من كل طهر وبر وخير.

ومن ثم فلكي تكون من الأطهار الأخيار فعليك أن تنأى بقلبك عن كل موانع حب الله ﷻ لك.

فما علمنا أن الله تعالى يحب حاسداً، وما علمناه كذلك يحب حاقداً.

وما علمنا أن الله تعالى يحب فاسداً، وما علمناه كذلك يحب جاحداً.

وما علمنا أن الله تعالى يحب أصحاب القلوب اللاهية.

وما علمناه كذلك يحب أصحاب العقول الخاوية.

فبادر بطهر من كل ما يغضب الله ﷻ واعلم:

إن لأهل الذنوب والمعاصي ثلاثة أنهار يتطهرون بها في الدنيا:

أما النهر الأول فالتوبة النصوح

وأما النهر الثاني فالحسنات المستغرقة للذنوب

وأما النهر الثالث فالمصائب المكفرة للذنوب

(١) رواه مسلم.

فإذا أراد الله بعبده خيراً أدخله هذه الأنهار الثلاثة أوبعضها فجاء يوم القيامة طيباً طاهراً لا شيء عليه، ذلك أن النبي ﷺ قال عن التوبة النصوح:**التائب من الذنب كمن لا ذنب له** [(١)]، وذلك هو النهر الأول واللازم والذي لا غنى عنه لأحد، وقال عن الحسنات المستغرقة للذنوب:**واتبع السيئة الحسنة تمحها** [(٢)]، وقال عن المصائب المكفرة للذنوب:**ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة** [(٣)].

فإذا ما حُرم شقى هذه الأنهار الثلاثة مجتمعة طهر يوم القيامة في نار جهنم، ذلك أن الطهارة من الذنوب والمعاصي أمر حتمي لا مفر منه إما في الدنيا وذلك خير وإما في الأخرة أعاذنا الله من ذلك.

فانظر في نفسك هل تطهرت بتوبة نصوح، أم أنك فعلت من الحسنات ما تستغرق به الأوزار، أم أنه قد أصابك من المصائب في نفسك وولدك ومالك محتسباً ما يكفي لطهرك، أم أن الله قد جمع لك من كل الأنواع بسابغ نعمه وعظيم فضله؟

إن كان الأمر كذلك فللّه الحمد والمنة

وإلا فاحذر فإنك على خطر عظيم دونه كل الأخطار.

وفي استدراج قد يأخذ بك إلى عذاب النار وبئس القرار.

وقد يصيبك قول الله تعالى:{أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ} [المائدة: ٤١]، نعوذ بالله من سوء الخاتمة وسوء العاقبة.

فبادر بطهر فإن للطهارة ثماراً في الدنيا والآخرة سواء ما كان منها للبدن أو للقلب على أن الغاية من طهارة البدن طاهرة القلب وإلا فما

(١) رواه ابن ماجه وحسنه الألباني ٣٠٠٨ ص.ج.
(٢) رواه الترمذي وحسنه الألباني ٩٧ ص.ج.
(٣) رواه الترمذي وحسنه الألباني ٥٨١٥ ص.ج.

عساه أن يفعل الماء في قلوب قد دنستها الآثام، فتأمل هذه الثمار التي ينالها المرء بالطهارتين كلتيهما:

*** حب الله ﷻ:**

وكفى بذلك الحب جنة ونعيماً فالله ﷻ خص أناساً من دون الناس بحبه وما أدراك ما حبه؟ فقال:{وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ} [التوبة: ١٠٨].

*** صلاة دائمة:**

فالمتوضئ المتأهب للصلاة بطهوره يصدق فيه قول النبي ﷺ:**لا يزال أحدكم في صلاة مادامت الصلاة تحبسه لا يمنعه أن ينقلب إلي أهله إلا الصلاة**(١)، وما ذلك بقليل.

*** دعاء الملائكة:**

فقد قال رسول الله ﷺ:**طهروا هذه الأجساد طهركم الله فإنه ليس عبد يبيت طاهراً إلا بات معه ملك في شعاره لا ينقلب ساعة من الليل إلا قال: اللهم اغفر لعبدك فإنه بات طاهراً**(٢)، وقال ﷺ:**الملائكة تصلي علي أحدكم مادام في مصلاه الذي صلي فيه ما لم يحدث أو يقم اللهم اغفر له اللهم ارحمه**(٣). ودعاء الملائكة حرى أن يجاب بفضل الله.

*** مخالفة اليهود:**

فقد قال رسول الله ﷺ:**طهروا أفنيتكم فإن اليهود لا تطهر أفنيتها**(٤)، ففي الطهارة عموماً نجاة من التشبه باليهود أولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذاباً أليماً، وقد قال ﷺ:**من تشبه بقوم فهو منهم**(٥).

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه الطبراني وصححه الألباني ٣٩٣٦ ص.ج.
(٣) رواه أبو داود وصححه الألباني ٦٧٢٧ ص.ج.
(٤) رواه الطبراني وصححه الألباني ٣٩٣٥ ص.ج.
(٥) رواه أبو داود وأحمد وصححه الألباني ٦١٤٩ ص.ج.

مغفرة الذنوب:

قال رسول الله ﷺ:**من اغتسل يوم الجمعة فأحسن الغسل وتطهر فأحسن الطهور ولبس من أحسن ثيابه ومس ما كتب الله له من طيب أودهن أهله ثم أتى المسجد فلم يلغ ولم يفرق بين اثنين غفر الله له ما بينه وبين الجمعة الأخرى**ــ [١].

وقال ﷺ:**ما من عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر الله له**ــ [٢].

وأخيراً: فمن طهر قلبه سعد في الدنيا والآخرة، ومن دنّس قلبه بأمراض القلوب، وما أكثرها، وعاش على ذلك ومات عليه فما عساه أن يتطهر ذلك القلب إلا في النار وبالنار فما خلقت النار إلا لمثل تلك القلوب القاسية.

" فاللهم اجعلنا من التوابين واجعلنا من المتطهرين "

{رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ} [التحريم: ٨].

* * *

(١) رواه ابن ماجه وصححه الألباني ٦٠٦٤ ص.ج.
(٢) رواه أحمد في مسنده وصححه الألباني ٥٧٣٨ ص.ج.

الله يحب الصابـرين

قـال تعـالى:{ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ } [آل عمران: ١٤٦].

وقال رسول الله ﷺ:**أفضل الإيمان الصبر والسماحة**[١].

وقال ﷺ:**النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وإن مع العسر يسرا**[٢].

وقـال ﷺ:**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كلـه خير ولـيس ذلـك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً لـه وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً لـه**[٣].

وقـال ﷺ:**إنكـم سـتلقون بعـدي أثـرة فاصـبروا حتـى تلقـوني غـداً علـى الحوض**[٤].

وقال ﷺ:**إن السعيد لمن جنب الفتن ولمن ابتلى فصبر**[٥].

وقـال ﷺ:**إن الله إذا أحب قومـا ابـتلاهم فمـن صبر فلـه الصـبر ومـن جزع فله الجزع**[٦].

والصبر: هو حمل النفس على الرضا بمراد الله ﷻ فيك

والصبر كذلك: حبس النفس عن الجزع والتسخط وحبس اللسان عن الشكوى وعزيمة في الجوارح تعينها على تحمل البلاء والتكليف يقيناً بحكمة الله ﷻ، فقد قال رسول الله ﷺ:**يأتي على الناس زمان الصابر فيهم**

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه الحاكم وصححه الالباني ٦٨٠٦ ص.ج.
(٣) رواه مسلم.
(٤) متفق عليه.
(٥) رواه أبو داود وصححه الألباني ١٦٩٧ ص.ج.
(٦) رواه أحمد في مسنده وصححه الألباني ١٧٠٦ ص.ج.

على دينه كالقابض على الجمر[(١)].

ولما كان الصبر ضرورة لازمة لكل مؤمن حتى يقوى على القيام بالتكاليف وتحمل الابتلاءات فإنه في حق الدعاة أولى وفي حق النبي ﷺ أولى وأولى ولذلك كثيراً ما أمر الله ﷻ نبيه بالصبر.

فقال تعالى:{ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ} [غافر: ٥٥].

وقال تعالى:{ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ} [غافر: ٧٧].

وقال تعالى:{فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ } [ق: ٣٩].

وقال تعالى:{ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ } [الطور: ٤٨].

وقال تعالى:{فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا} [الإنسان: ٢٤].

وقال تعالى:{ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ} [يونس: ١٠٩].

وذلك كله لأن الله ﷻ يعلم ما النبي ملاقيه من أذى وابتلاء في سبيل دعوته ولم يكن النبي ﷺ في ذلك بدعاً من الرسل سواء في الابتلاء والأذى أو في الأمر من الله تعالى له بالصبر، ولذلك قال تعالى:{فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ } [الأحقاف: ٣٥].

وقال تعالى:{وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ} [الأنعام: ٣٤].

ولما كان الأنبياء والرسل هم القدوة الحسنة والمثل الأعلى لزم على المؤمنين أن يسلكوا مثل سبيلهم في الصبر وغيره ولذلك كثيراً ما أمرهم

---

(١) رواه الترمذي.

الله ﷻ بالصبر في كتابه العزيز.

قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [آل عمران: ٢٠٠].

وقال تعالى:{وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [النساء: ٢٥].

وقال تعالى:{وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ } [الأنفال: ٤٦].

والله ﷻ لم يأمر بالصبر وحسب ولكنه تعالى أمر الناس أن يوصى بعضهم بعضاً بالصبر لأن الناس كثيراً ما يحتاجون لمن يذكرهم ويقوى من عزيمتهم.

قال تعالى:{ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ} [البلد: ١٧]، وقال تعالى:{وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ} [العصر: ١ - ٣].

ولما كان الركون إلى أهل خُلق تشبهاً بهم أو سبيلاً إلى التشبه سواءً كان هذا الخُلق حميداً أو ذميماً أمر الله ﷻ نبيه أن يصبر نفسه مع الجماعة المؤمنة يقتدوا به ويتشبهوا بمثل أخلاقه حتى لا تفتر عزيمتهم ويجزعوا من شدة البلاء، قال تعالى:{وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا } [الكهف: ٢٨].

والصبر لا يكون إلا بالله:

فليعلم العبد أن صبره إنما يكون بفضل ربه ﷻ لا من عند نفسه وإن لم يصبّره الله فلن يستطيع صبرا، قال تعالى:{ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ } [النحل: ١٢٧ - ١٢٨].

وقال رسول الله ﷺ:**ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاءً**

خيراً وأوسع من الصبرــ [١].

والصبر لا يكون إلا لله:

فالباعث على الصبر لابد وأن يكون محبة الله ﷻ وإرادة وجهه والتقرب إليه وليس إظهاراً لقوة النفس أو طلباً للثناء من الخلق، قال تعالى:{وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ} [المدثر: ٧].

وقال تعالى:{وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ} [الرعد: ٢٢].

والصبر لابد أن يكون مع مراد الله:

فالعبد الصابر يدور مع مراد الله في كل أحكامه في سيره وإقامته، يتوجه معها أينما توجهت ويرتحل معها أينما رحلت وليس في أمر دون أمر ولا في شأن دون شأن ولا في حال دون حال ولكنه صابر في كل أمر وفي كل شأن وعلي كل حال.

أنواع الصبر:

*** أولاً: الصبر على المأمور:**

وهو القيام بالطاعات راضياً محباً مخلصاً، فتلك الصلاة يقول الله تعالى عنها: {وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ}
[طه: ١٣٢].

وليس ذلك شأن الصلاة وحسب وإنما كل ما أمر الله تعالى به فتلك عبادة وجب الصبر عليها، قال تعالى:{رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا} [مريم: ٦٥].

*** ثانياً: الصبر عن المحظور:**

(١) متفق عليه.

وهو الصبر عن المعصية حياءً ورجاءً وخوفاً، حياءً من الله ﷻ أن يراك على معصية وإن دق الأمر فهو عظيم، ورجاءً لما عند الله من نعيم مقيم، وخوفاً مما عند الله من عذاب أليم.

*** ثالثاً: الصبر على المقدور:**

وهو الصبر على الابتلاءات ذلك أن الذي يبتلي إنما هو الله ﷻ والذي هو أرحم بالناس منهم بأنفسهم ولذلك جاء في الأثر: أن الله ﷻ أوحى إلى نبي من أنبيائه:

أنزلت بعبدي بلائي فدعاني فأخرت الإجابة فشكاني

فقلت: عبدي كيف أرحمك من شيء به أرحمك؟

فالبلاء اختبار للصبر، والصبر على البلاء دليل حب ولذلك يقول الله تعالى في الحديث القدسي:**من أذهبت حبيبته فصبر واحتسب لم أرض له ثواباً دون الجنة** [(١)].

ويقول أيضاً:**ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة** [(٢)].

ثم يأمر بالصبر على البلاء فيقول جل في علاه:{وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ} [لقمان: ١٧].

ثم يثني جل شأنه على الصابرين قائلاً:{ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ} [الحج: ٣٥].

والصبر الذي قصدناه إنما هو الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه للناس، فالناس لا يملكون صرفاً ولا نصراً... ولا يملكون كشف الضر حتى عن أنفسهم ولا يقلل من الصبر أن تشكو لله تعالى مصابك وأن تظهر له ضعفك وافتقارك ولمَ لا وإمام الصابرين محمد ﷺ اشتكى إلى

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه البخاري.

الله ﷻ ضـــــــــعفه

وقلة حيلته مع كونه مأموراً بالصبر الجميل. قال تعالى:{فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا} [المعارج: ٥]، وهذا نبي الله يعقوب عليه السلام الذي قال عن صبره{فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ} [يوسف: ١٨]، ومع ذلك كان يشكو مصابه إلى الله ﷻ قائلاً:{إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ} [يوسف: ٨٦].

ولذلك

إذا ابتليت ببلية فاصبر لها ::: صبرالكريم فإنه بك أعلم

وإذا شكوت إلى ابن أدم إنما ::: تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

فمن الناس من يدعّي أنه صابر على قضاء الله وقدره ثم يتحين الفرص ليشكو الله ﷻ للناس... يشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم!!!

ومن ذلك ما يحكي عن رجل أصابه مرض فجاءه أحد أصحابه يعوده ويسأله عن حاله فقال له ذلك الرجل المريض:

بى حمى جاثية .. نارها حامية

منها الأعضاء واهية.. والعظام باليه

فما كان من صاحبه إزاء هذا التفنن في القنوط والشكوى إلا أن قال له:

لا شفاك الله بعافيه.. ياليتها كانت القاضيه

وليعلم كل مبتلي أن رسول الله ﷺ قال:**من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ومن أنزلها بالله أوشك الله له بالغنى إما بموت آجل أو غنى عاجل**[(١)].

وقال الله تعالى في الحديث القدسي:**إذا ابتليت عبدي المؤمن فلم يشكني إلى عواده أطلقته من إساري ثم أبدلته لحماً خيراً من لحمه ودماً**

(١) رواه أبو داود وحسنه الألباني ٦٠٤١ ص.ج.

خيراً من دمه[1].

والكيّس الفطن من الناس هو الذي يرضى بقضاء الله ويصبر عليه فليس شراً يدوم وإن دام فإنما هي الحياة الدنيا وكل شر بعده الجنة ليس بشر كما أن كل خير بعده النار ليس بخير.

فلا تجزعن فبعد العسر تيسير ::: وكل شيء له وقت وتقدير
وللمقدر في أحوالنا نظر ::: وفوق تدبيرنا لله تدبير

واعلم أن:

الدهر يومان ذا أمن وذا خطر ::: والعيش عيشان ذا صفو وذا كدر
أما ترى البحر تعلو فوقه جيف ::: وتستقر بأقصى قاعه الدرر
وفي السماء نجوم لا عداد لها ::: وليس يكسف إلا الشمس والقمر

فاصبر قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه الصبر ولا يجدي، وذلك يوم العرض على الله تعالى فلا ينفع يومها صبر الصابرين. قال تعالى:{ فَإِن يَصۡبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡۖ وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ } [فصلت: ٢٤].

ذلك اليوم الذي فيه الصبر والجزع سواء بسواء، قال تعالى:{ ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ} [الطور: ١٦]، يومها يوقن قوم بسوء عاقبتهم فيقولوا كما قال الله حكاية عنهم:{سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ } [إبراهيم: ٢١].

فما أحسن الصبر في الدنيا وأجمله ::: عند الإله وأنجاه من الجزع
من شد بالصبر كفاً عند مؤلمة ::: ألوت يداه بحبل غير منقطع

فاصبر أيها المبتلى على قضاء الله تعالى فيك فهو القائل في الحديث القدسي:**إذا ابتليت عبداً من عبادي مؤمناً فحمدني وصبر على بليته فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمه من الخطايا ويقول الرب ﷻ للحفظة: إني قيدت عبدي هذا وابتليته فأجروا له ما كنتم تجرون قبل ذلك من الأجر**

---

(١) رواه الحاكم وصححه الألباني ٤٣٠١ ص.ج.

وهو صحيحـــ [١].

ثمار الصبر:

*** حب الله ﷻ:**

فما كان الله ليأمر العبد وينهاه ويبتليه وهو مع كل ذلك وعلى كل ذلك صابر محتسب راض ثم بعد ذلك كله يبغضه، وما تحمل الصابر ما تحمل لأجل ذات المصيبة وإنما لأجل رضى الله تعالى عنه وحبه إياه.

قال تعالى:{وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ } [آل عمران: ١٤٦]، وكفى بذلك فضلاً من الله ونعمة.

*** الجنة بغير حساب:**

وذلك أن الصابرين لما رضوا بقضاء الله تعالى في الدنيا وصبروا على مراده فيهم بلا شكوى ولا جزع فما كان من الله تعالى إلا أن أرضاهم وأدخلهم مستقر رحمته بغير حساب ولا فزع فلا ينصب لهم ميزاناً ولا ينشر لهم ديواناً. قال تعالى:{إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ} [الزمر: ١٠].

*** الخير في الصبر:**

سواءاً كان هذا الخير عاجلاً في الحياة الدنيا أو آجلاً يوم القيامة ولذلك يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الصبر مطية لا تكبو، وقيل

فاز الصابرون بعز الدارين. ولذلك قال تعالى:{وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ} [النحل: ١٢٦]، وقال تعالى:{وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ} [النساء: ٢٥].

وقال رسول الله ﷺ:**الصبر ضياءـــ** [٢].

(١) رواه أحمد وحسنه الألباني ٤٣٠٠ ص.ج.

(٢) رواه مسلم.

وقال ﷺ:**ما أعطى أحد عطاء خيراً له وأوسع من الصبر ـــ** (١).

وقال ﷺ:**من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله سبحانه وتعالى على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من الحور العين ما شاء ـــ** (٢).

*** الجزاء بأحسن الأعمال:**

فيحصي الله تبارك وتعالى أعمالهم ويجزيهم على أدناها كما يجزيهم على أعلاها تفضلاً منه وذلك جزاء على جميل صبرهم، قال تعالى:{وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } [النحل: ٩٦].

*** الإمامة في الدين مقرونة بالصبر:**

قال تعالى:{ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ} [السجدة: ٢٤].

وذلك أن الدعوة إلى الله فيها من المشقة ما لا يعلمه إلا الله ﷻ لذلك لزم على كل من يسلك مثل ذلك السبيل أن يتحلى بأمرين:

أولهما، الصبر فإن الداعي إلي الحق سوف يلاقي في دعواه إلى الله ما قد لا تتحمله الجبال الرواسي.

وثانيهما، اليقين في أمرين أما الأول فبما هو معد له عند الله تعالى من ثواب وحسن جزاء وأما الثاني فاليقين بما يدعو إليه.

*** معية الله ﷻ:**

وتلك معية خاصة وربما يكون ذلك لكون الصابرين تخلقوا بأخلاق الله فقد قال رسول الله ﷺ:**ليس أحد أصبر على أذى سمعه من الله تعالى إنهم ليدعون له ولدًا ويجعلون له أنداداً وهو مع ذلك يعافيهم ثم**

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد في مسنده وحسنه الألباني ٦٥٢٢ ص.ج.

يرزقهمـــ [١].

ومن ثم لما تخلقوا بأخلاقه ﷻ كان معهم يقوي عزمهم ويحفظهم.

قال تعالى:{وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ } [الأنفال: ٤٦].

وقال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ } [البقرة: ١٥٣].

*** بشرى لأهل الصبر:**

قال تعالى:{ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ } [البقرة:١٥٥ - ١٥٧].

*** بالصبر تضاعف القوة ويضاعف الأجر:**

أما مضاعفة القوة فقد قال تعالى:{فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ } [الأنفال: ٦٦].

وقال تعالى:{كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ} [البقرة: ٢٤٩]..

أما عن مضاعفة الأجر فقد قال تعالى:{أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ } [القصص: ٥٤].

*** الصبر أساس لتعلم العلم:**

وذلك أن موسى عليه السلام لما أراد مصاحبة العبد الصالح حتى يتعلم منه مما علمه الله ما كان قول العبد الصالح لموسى عليه السلام إلا أن قال:{إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا} [الكهف: ٧٢]، وكأن الشرط الأول لتعلم العلم هو الصبر ثم

(١) متفق عليه.

تليه بعد ذلك شروط وشروط فمن ابتغى العلم فعليه بالصبر فإنها مطية لا تكبو وإن الصابر بعون الله تعالى واصل إلى ما أراد أو إلى ما هو خير مما أراد.

*** الانتفاع بالآيات والعبر:**

ولا يكون ذلك إلا لأهل الصبر المتبوع بالشكر كقول الله تعالى لموسى عليه السلام:{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ } [إبراهيم: ٥].

وقوله تعالى في أهل سبأ:{فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ } [سبأ: ١٩].

وقوله تعالى:{وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} [الشورى: ٣٢، ٣٣]، " ثم تأمل كيف أن كل كلمة صبار متبوعة بكلمة شكور ".

*** النصر مع الصبر:**

قال تعالى:{وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} [آل عمران: ١٢٠].

وقال رسول الله ﷺ:**واعلم أن النصر مع الصبر** [(١)].

فإذا رميت من الزمان بشدة ::: وأصابك الأمر الأشق الأصعب
فاصدع لربك إنه أدنى لمن ::: يدعوه من حبل الوريد وأقرب

وقد قال الإمام أحمد رحمه الله: الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر، وقديماً قيل:

(١) رواه الحاكم في المستدرك.

الصـــبر مثـــل اســـمه مـــر مذاقتـــه ::: لكـــن عواقبـــه أحلـــى مـــن العســـل
فتصـــبر أيهـــا العبـــد اللبيـــب ::: لعلـــك بعـــد صـــبرك مـــا تخيـــب
فكـــل الحادثـــات إذا تناهـــت ::: يكـــون وراءهـــا فـــرج قريـــب

{رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ} [البقرة: ٢٥٠].

* * *

الله يحب المتوكلين

قال تعالى:{فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ } [آل عمران: ١٥٩].

وقال رسول الله ﷺ:**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطانا**(١).

وقال ﷺ:**يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير**(٢).

- والتوكل هو يقين القلب بكفاية الرب، قال تعالى:{ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ } [الزمر: ٣٦].

- والتوكل هو تفويض الله ﷻ في كل حال والتسليم إليه في كل قضاء

- والتوكل هو التعلق بالله تعالى في كل شأن والرضا بالمقدور في كل أمر

وسئل يحيى بن معاذ: متى يكون الرجل متوكلاً؟ فقال: إذا رضى بالله وكيلاً.

- والتوكل على الله تعالى عبادة من ناحيتين:

أما الأولى: فهو اعتراف بقدرة الله وعلمه وحكمته وإحاطته بكل الأمور وفي كل الأحوال.

وأما الثانية: فهو إقرار منك بضعفك وعجزك وانكسارك أمام الله تعالى.

- والتوكل على الله تعالى ضرورة لابد منها وليس أمراً اختيارياً وذلك أن الإنسان خلق ضعيفاً لا يقوى بذاته على شيء من شأنه... فكيف بشأن غيره.

قال تعالى:{يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا } [النساء: ٢٨].

(١) أخرجه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني ٥٢٥٤ ص.ج.
(٢) رواه مسلم.

وقال تعالى:{ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ} [الروم: ٥٤].

ومن ثم فلا مناص من التوكل على الله تعالى في كل شأن وفي كل شيء، لكن من الناس من تعوقه عوائق وتمنعه موانع تحول بينه وبين توكله على الله فلربما يلجأ إلى الخلق الذين هم مثله فيخذله الله من حيث لم يحتسب.

ومن عوائق أو موانع التوكل على الله تعالى:

أولاً: الجهل بمقام الله تعالى وقدرته:

قال تعالى:{ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ } [الحج: ٧٤].

وقال تعالى:{وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الزمر: ٦٧].

إن الله سبحانه وتعالى تفوق قدرته كل القدر وتحيط قوته بكل القوى، الأمر أمره والخلق خلقه والملك ملكه فلو أن الأولين والآخرين سألوا الله ما شاءوا ما أعجزه ذلك وما نقص ذلك من ملكه شيء، فأسلم له واستسلم وتوكل عليه وقل بلسان حالك ومقالك:

فوحقه لأسلمن لأمره ::: في كل نازلة وضيق خناق
موسى وإبراهيم لما سلما ::: سلما من الإغراق والإحراق

وإن سألت عن نبيك ﷺ فقولي لك:

أما محمداً فلقد بلغ المدا ::: وفي كل جميل الخصال تفردا
فأما التوكل فالطير تابعه ::: وأما الجود فقد فاق الندا
ليقينه أن الله كافيه ::: وكيف يشك والإله تعهدا

ثانياً: الركون إلى الخلق:

منتهى الهوان والخسران أن يستغنى فقير بفقير مثله أو يتقوى ضعيف بضعيف دونه، وإنما اللبيب من استغنى بالغني وتقوى بالقوي

سبحانه.

فاجعــل بربــك شــأن عــزك ::: يســتقر ويثبــت
فــإن اعتــززت بمــن يمــوت ::: فــإن عــزك ميــت

فلا تسألن الناس أن يعطوك ما يعجزون عنه لأنفسهم وأعلم بأن:

شــكوى الفقيــر إلــى فقيــر مثلــه ::: عجــز أقــام بالشــاكي علــى شــفا
فاســترزق الله الــذي إحســانه ::: عــم البريــة مّنــة وتعطفــا
والجــأ إليــه تجــده فيمــا ترتجــي ::: ولا تعــد عــن أبوابــه متحرفــا

ثالثا: الغرور بالنفس:

وذلك من أشد المهلكات وإن لم يكن أشدها على الإطلاق فقد قال رسول الله ﷺ:**ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه** [(١)].

فيا أيها المغرور علام الغرور... أما زرت القبور؟... أما دخلت الخلاء؟... أما أجهدك البلاء؟... أما رأيت قوياً بعد ما بلغ عتيا؟... أما أنتنتك عرقة؟... أما كادت تميتك شرقة؟

وهل لك من قوة وصمود... إذا ما تقاسمك الدود؟

أما علمت كيف تصير... وأن إلى الله المصير؟

يروى أنه دخل أناس على عمر بن عبد العزيز ﷺ وقد تغير لونه وضعف بدنه من كثرة صيامه وقيامه وخوفه من الله ﷻ وهو خليفة المسلمين فأنكروا ذلك عليه مشفقين عليه فقال لهم:**فكيف لو رأيتموني بعد موتي بثلاثة أيام**.

وأنت كيف لو رأيت نفسك بعد موتك بثلاثة أيام

إذاً لمات منك الغرور ومات الكبر ::: وأيقنت أنك تتقلب ما بين ضعف وفقر

رابعاً: حب الدنيا والاغترار بها:

قال تعالى:{فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ} [لقمان:

(١) رواه الطبراني وحسنه الألباني ٣٠٤٥ ص.ج.

٣٣].

فإياك أن تغتر بدنيا واسمها يكفيها سوءا

فإنه ما نجا طالبها ولا خاب هاربها... ولا فاز راجيها ولا خسر قاليها

هي الدنيا تقول بملء فيها ::: حذار حذار من غدري وفتكي
فلا يغرركم مني ابتسام ::: فقولي مضحك والفعل مبكي

ولو تأملنا أسباب لجوء الناس إلى الناس ودواعي توكل الناس على الناس لوجدناها كلها واهية خاوية

- **فإن قيل: العلم...** فمهما أوتي من تتوكل عليه من الناس من علم فإنما هو قاصر ناقص.

قال تعالى:{وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا } [الإسراء: ٨٥].

وقال تعالى:{ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ} [الروم: ٧].

حتى هذا العلم الظاهر والقليل إنما مرجعه إلى الله ﷻ أقر بذلك الملائكة قال تعالى حكاية عنهم :{ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ} [البقرة: ٣٢].

أما الوكيل الحق فقد وسع علمه كل شيء، قال تعالى:{رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا} [غافر: ٧].

وأحاط علمه بكل شيء، قال تعالى:{وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا } [النساء: ١٢٦]، ولا يعزب عن علمه شيء، قال تعالى:{وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ} [الأنعام: ٥٩].

- **وإن قيل القوة...** فإن الأشياء لتصعب أو تسهل على القائم بها على حسب قوته فرب أمر يسهل على رجل ويصعب على رجال مجتمعين وهذا أمر يعلمه كل بصير.

فإذا ما قارنت كل الأشياء بقوة الله تعالى وجدت كل شيء على الله يسير ولمّا أيقن بذلك النبي ﷺ توكل وأسلم واستسلم لله رب العالمين قائلاً:**اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت** [١].

وقال ﷺ:**اللهم إني استخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب** [٢].

وقال ﷺ:**اللهم إني أسلمت نفسي إليك وفوضت أمرى إليك وألجأت ظهري إليك وخليت وجهي إليك لا ملجأ ولا منجي منك إلا إليك** [٣].

ولو تأملنا الأسباب الأخرى التي يلجأ من أجلها بشر إلى بشر لوجدناها كلها لا تصح بحال من الأحوال.

- فقد تتوكل على غني لغناه فلا يمسى إلا فقيرا
- وقد تتوكل على عزيز لسلطانه وعزه فلا يصبح إلا ذليلا
- وقد تتوكل على من تظنه مخلصاً فإذا به خائن
- وقد تتوكل على من تظنه صادقاً فإذا به كاذب
- وقد لا يكون ذلك ولا ذلك ثم إذا به ميت

ولذلك قال تعالي:{ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ۚ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا } [الفرقان: ٥٨].

- والتوكل على الله تعالى لا يتنافى ولا يتعارض مع الأخذ بالأسباب فإن الذي أمر بالتوكل عليه هو الذي أمر بالأخذ بالأسباب أيضاً، فقال سيروا، وقال جاهدوا، وقال: انفروا، وقال: رابطوا وقال: اعملوا... فمن توكل ولم يأخذ بالأسباب كمن أخذ بالأسباب ولم يتوكل كلاهما مذنب

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البيهقي وابن حبان.
(٣) رواه الحاكم وصححه الألباني ١٢٦٩ ص.ج.

معطل لأمر من أوامر الله تعالى، وكما قال القائل:

توكل على الرحمن في الأمر كله ::: ولا ترغبن في العجزيوماً عن الطلب
ألم تر أن الله قال لمريم ::: وهزي إليك الجذع تسّاقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزة ::: جنته ولكن كل شيء له سبب

فالتوكل إنما هو عمل القلب والأخذ بالأسباب إنما هو عمل الجوارح، وما من عبادة إلا وللقلب فيها عمل وللجوارح فيها أعمال.

وتأمل:

فتلك الصلاة: القلب يخشع فيها ويتدبر ويخلص لله تعالى متوكلاً عليه والجوارح ما بين ركوع وسجود وقيام وقعود.

وتلك الزكاة: القلب يخشع فيها ويتدبر ويخلص لله تعالى متوكلاً عليه واليد تنفق يميناً ويساراً يسراً وإعساراً.

وهذا الصيام: القلب يخشع فيه ويتدبر ويخلص لله تعالى متوكلاً عليه والجوارح بين امتناع عن الحلال وابتعاد عن الزور واللغو وفحش المقال.

وهذا الحج: القلب يخشع فيه ويتدبر ويخلص لله تعالى متوكلاً عليه والجوارح ما بين سعي وطواف وذكر وتلبية ودعاء وشكر.

وكذلك كل أمر أمر الله تعالى به أو نهي نهى عنه، للقلب فيه عمل وللجوارح فيه أعمال وبغير ذلك لا يستقيم الأمر فالله تعالى يقول:{فَإِذَا عَزَمْتَ}، أي: تهيأت بالجوارح{فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ}، أي: املأ قلبك يقيناً به مفوضاً له الأمر{إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ } [آل عمران: ١٥٩]..

وللتوكل ثمار يجنيها كل متوكل على الله ويا لها من ثمار ومنها:

*** حب الله ﷻ:**

التوكل على الله عبادة تحتاج إلى درجة عالية من اليقين ولذلك كان أصحابها من المحبوبين المقربين من الله تعالي، ذلك لأن المتوكل برئ

إلى الله من كل ما سوى الله.

قال تعالى:{فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ } [آل عمران: ١٥٩].

*** التوكل علامة من علامات الإسلام:**

فإن كان الإسلام يعني الاستسلام لله في الأمر كله فالتوكل كذلك هو التسليم لله في كل شأن ومن ثم فالإسلام والتوكل مرتبطان فإن الأول لله والثاني على الله.

قال تعالى:{ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ } [يونس: ٨٤].

*** التوكل علامة من علامات الإيمان:**

إذا كنت على يقين بأن الله تعالى كافيك ومن كل سوء منجّيك كان ذلك دليلاً وبرهاناً على قوة إيمانك.

قال تعالى:{وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ } [آل عمران: ١٢٢].

وقال تعالى:{وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } [المائدة: ٢٣].

وقال تعالى:{ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } [الأنفال: ٢].

*** الغلبة في التوكل على الله:**

لأن الله تعالى عزيز لا يغلب، قوي لا يقهر، فمن توكل عليه حق توكله كان في معيته ومن كان في معية العزيز القهار لا يهان في حماه، قال تعالى: {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الأنفال: ٤٩].

*** التوكل على الله حماية من الشيطان:**

فإن كان التوكل يعني أن تبرأ من حولك وقوتك وتلجأ إلى حول الله تعالى وقوته فكيف يكون للشيطان على المتوكلين سبيل؟ قال تعالى عنه: { إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } [النحل: ٩٩].

*** حسن العاقبة:**

فهل لمن ترك التوكل على الناس ولجأ إلى رب الناس أن يخذل أو يخيب أو تسوء عاقبته بعد ما رضى بالله وكيلاً، هذا أبداً لن يكون، قال تعالى:{وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [الشورى: ٣٦].

*** التوكل على الله ضمان وأمان:**

قال تعالى:{ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ } [الفرقان: ٥٨].

وقال رسول الله ﷺ:**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً** [(١)].

وقال ﷺ:**إن الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه أجله** [(٢)].

*** التوكل على الله كاف:**

قال تعالى:{وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا} [الطلاق: ٣].

وتأمل الآية وانظر إلى هذا الجزاء وتلك العاقبة التي فاز بها المتوكل على الله تعالى ولم تكن لغيره، إن الله لم يجعل للمتوكل جزاءً أن تكون الجنة حسبه أو النجاة من النار حسبه ولكن الله ذاته جل جلاله هو حسبه وكافيه، وذلك لأن الله تعالى كان دائماً حسبهم وفي كل أمرهم كان دائماً شأن حالهم ومقالهم{حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ} [آل عمران: ١٧٣].

فحقاً يا من ابتغيت وكيلا... كفى بالله وكيلا... وكفى به هادياً ونصيرا

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني ٥٢٥٤ ص.ج.
(٢) رواه الطبراني وحسنه الألباني ١٦٣٠ ص.ج.

*** الجنة بالتوكل:**

قال رسول الله ﷺ:**يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير** [١].

" قال أهل العلم: متوكلون ".

*** التوكل نصرة ونجاة:**

فهذا مؤمن آل فرعون لما دعى قومه إلى الإيمان بالله ﷻ فدعوه للكفر به فما كان منه إلا أن فوض الأمر لله متوكلاً عليه.

قال تعالى حكاية عنه:{وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ } [غافر: ٤٤].

فما كان من الله ﷻ إلا أن وقاه شرهم ومكرهم بتوكله عليه وتفويض الأمر إليه، قال تعالى:{ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ} [غافر: ٤٥].

{رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ} [الممتحنة: ٤].

* * *

(١) رواه مسلم.

الله يحب المقسطين

قال تعالى:{وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ} [الحجرات: ٩].

وقال تعالى:{لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ} [الممتحنة: ٨].

وقال تعالى:{وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ} [المائدة: ٤٢].

وقال رسول الله ﷺ:**إن المقسطين عند الله على منابر من نور الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا** (١).

وقال ﷺ:**أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال** (٢).

والعدل ميزان كل شيء لا يحيد عنه ولا يضل إلاظالم لنفسه وللآخرين، والعدل قوام كل شيء.

فإن كان في كتابة دين، قال تعالى:{وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبُۢ بِٱلْعَدْلِۚ} [البقرة: ٢٨٢].

وإن كان حكماً بين الناس، قال تعالى:{وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِۚ} [النساء: ٥٨].

وإن كان إشهاداً على شيء، قال تعالى:{وَأَشْهِدُواْ ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا} [الطلاق: ٢].

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم.

وقال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ } [المائدة: ١٠٦].

وإن كان كيلاً أو قولاً، قال تعالى:{وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ } [الأنعام: ١٥٢].

فالعدل لا بد وأن يكون شيمة كل مسلم مع من يحب ومن يبغض سواءً بسواء وفي الرضا والغضب سواءً بسواء ومع القريب والبعيد ومع الغني والفقير سواءً بسواء.

قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ } [المائدة: ٨].

وقال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا} [النساء: ١٣٥].

*** والعدل ميزان الرحمن:**

قال تعالى:{وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ} [الأنبياء: ٤٧]، وقال تعالي:{وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ } [الرحمن: ٧ - ٩].

ومن ثم أمر الله ﷻ به في العديد من آيات كتابه العزيز، فقال تعالى: { قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ } [الأعراف: ٢٩].

وقال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ } [النساء: ١٣٥].

وقال تعالى:{ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ } [المائدة: ٨].

وقال تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ} [النحل: ٩٠].

وقال تعالى:{وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ} [الأنعام: ١٥٢].

والعدل أن يستوي لديك السر والعلانية، والغيب والشهادة.

والعدل أن يستوي حكمك في الرضا والغضب مع من تحب ومن تبغض.

والعدل أن يكون رضاك بما أعطاك الله كرضاك بما أخذ منك.

وأن تعلم علم اليقين:

أن الفقير والغني كلاهما بعدل الله وحكمته

وأن المريض والعفي كلاهما بعدل الله وحكمته

وأن الضعيف والقوي كلاهما بعدل الله وحكمته

وذلك أن عدل الله تعالى مطلق ومن ثم فهو يشمل الدنيا والآخرة.

فلا يستطيع أن يدركه بشر بعقله وعلمه القاصرين ذلك أن الأمر لا يقاس في الدنيا وحسب ولكن يقاس في الدنيا والآخرة ولا يعلم ذلك إلا الله جل وعلا ولكن الإيمان به لازم واليقين به واجب.

ومن آيات عدل الله كما أخبر النبي ﷺ:**أن الجماء لتقتص من القرناء يوم القيامة** [(١)]، فسبحان من هذا عدله مع الحيوان.

وفي بداية الخلق لم يخلق الله ﷻ آدم عليه السلام من تربة دون تربة ولكن خلقه من كل تربات الأرض قسطاً وعدلاً فكان آدم من كل أديم الأرض فقد قال رسول الله ﷺ:**إن آدم خلق من ثلاث تربات سوداء وبيضاء**

---

(١) رواه أحمد وصححه الألباني ١٥٩٧ ص.ج.

وحمراءـــ [(١)].

وتلك آية من آيات عدل الله مع الجماد فسبحان من هذا عدله.

حتى الكافر رغم كفره ناله عدل الله ﷻ فقد قال رسول الله ﷺ:**إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة أما الكافر فيطعم بحسناته ما عمل بها في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها**ـــ [(٢)].

وتلك آية من آيات عدل الله مع الكافرين فسبحان من هذا عدله.

ثم تأمل عدل الله جل وعلا في الزمان فلم يجعل الصلاة في وقت واحد من اليوم ولكن جعلها متفرقة في اليوم والليلة حتى لا يحرم زمن من نصيبه من العبادة وكذلك الصوم والحج مقسمان بين حر الزمان وبرده فتارة يأتيان في الصيف وتارة يأتيان في الشتاء وحتى أن الرجل الذي يبلغ عمره ما بين الستين والسبعين يكون قد صام في كل أيام السنة مرتين وكذلك يكون أدركه الحج في كل أيام السنة مرتين فسبحان من هذا عدله.

أما عدل النبي ﷺ فلم نعلم له مثيلاً في البشر على الإطلاق فقد بلغ في العدل مبلغاً لم يبلغه سواه... فكل مدى في العدل يرنو لمداه، فلمّا قال الله تعالى له :{وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ ۖ} [الشورى: ١٥].

فما كان منه إلا أن استجاب لمولاه فسبحان من أبدعه وسواه، فقد يعدل الرجل ما استطاع في حكمه إذا حكم وقد يعدل في أمواله إذا قسم، لكن النبي ﷺ - وفقط النبي - فاق كل ما يخطر على بال حتى أنه كان يعدل في نظره لأصحابه حتى يظن كل واحد منهم أنه قد استأثر بنظر

(١) رواه ابن سعد وحسنه الألباني ١٥١٦ ص.ج.
(٢) رواه مسلم.

النبي من دون أقرانه وأنه لا أحد أكرم على النبي منه فهل علمت أحداً يعدل في نظره غير النبي؟

كذلك كان عدله في صوته فقد أعطاه الله تعالى ما لم يعط أحداً من العالمين فكان يسمعه البعيد كما يسمعه القريب، فأقرب الناس منه مجلساً وأبعدهم عنه كلٌ يسمعه سواءً بسواء فهل علمت أحداً يعدل في صوته غير النبي؟

أما عدله في العطايا فهذا شيء شرحه يطول فحدث ولا حرج فما منع حقاً قط من صاحبه وما أعطى حقاً لغير صاحبه، فهو القائل ﷺ: **:فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسولهـــ** [(١)].

وهو القائل **:والله لا تجدون بعدي أعدل عليكم منيـــ** [(٢)].

أما عدله ﷺ مع نسائه فإنه لشيء عجاب فالبرغم من كثرة انشغالاته وحروبه وغزواته واتساع دولة الإسلام في كل يوم وهو المرجع لكل مسلم في كل صغيرة وكبيرة وكلٌ يريد أن يختص بالنبي وهو لا يضيق بأحد فيجيب هذا ويزور هذا ويسأل عن هذا وأما أعداؤه فيحارب هذا ويعاهد هذا ويهادن هذا ويقود أمر الأمة ويحمل هم الدعوة بما لا يطيق ذلك أحد غيره.

مع كل هذا لم تشك إحدى نسائه ظلماً قط فقد كان ﷺ كما قال : **خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلىـــ** [(٣)].

أما عن عدل أصحاب النبي ﷺ فإنهم كلهم عدول وإن كان أشهرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أما أشهر السلف فهو عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ولكن وجب أن تعلم أن كلا العمرين وغيرهما إنما هم شموع عدل تضيء من شمس النبي ﷺ.

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه الحاكم وصححه الألباني ٧١٠١ ص.ج.
(٣) رواه الترمذي وصححه الألباني ٣٣١٤ ص.ج.

فالنبي لا يقارن أبداً مع أحد فإنما هو آية وحده في كل صفات الخير من عدل وحياء... وجود وسخاء... وأمانة ووفاء...

أما أنت

فهل نظرت بعد ذلك في نفسك؟

وكيف حالك مع أولادك وأهلك؟

وكيف حالك مع الناس من حولك؟

هل تتحرى العدل في الرضا والغضب؟

أم أنه بظلمك قد أصابك العطب؟

فعدلت عن العدل إلى سواه وكنت

كمن أخلد إلى الأرض واتبع هواه

ونسى أن العدل ميزان مولاه

وهل انتصفت لغيرك من نفسك مرة؟

وهل عدلت بين محب وكاره بنفس حرة؟

وهل آثرت العدل وإن كانت عواقب العدل مرة؟

وهل تعدل بين أولادك حتى في النظره؟

إن لم تكن فاعلم أن ميزان الله لا يخطئ الذره

وهل تأملت عدل ذي القوى والقدر؟

وهل تدبرت عدل نبيه سيد البشر؟

حتى توقن أن القاسطين على خطر

وأن المقسطين لهم مالهم من الفوز والظفر

ومن ثمرات القسط:

*** حب الله تعالى:**

إن الله ﷻ حكم عدل يحب المقسطين من الناس، قال تعالى:{وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ} [الحجرات: ٩].

ومن ثم جعل لهم يوم القيامة شأناً لا يدانيه شأن ومنزلة لا تقاربها منزلة قال عنها رسول الله ﷺ:**إن المقسطين عند الله على منابر من نور الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا** [1].

*** العدل سبيل للبر والتقوى:**

أما البر فقد قال رسول الله ﷺ:**اعدلوا بين أولادكم في النحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف** [2]. فلا تكن عاقاً لولدك بظلمك فيعقك بما جنت يداك.

وأما التقوى فالإنسان أقرب ما يكون إليها حال عدله وأبعد ما يكون عنها حال ظلمه.

قال تعالى:{ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ} [المائدة: ٨].

{رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ} [آل عمران: ٥٣].

* * *

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه الطبراني وصححه الألباني ١٠٤٦ ص.ج.

الله يحب المجاهدين

قال تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ} [الصف: ٤].

وقال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ} [المائدة: ٥٤].

ولما سئل رسول الله ﷺ أي الناس أفضل؟ قال:**مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله** [١].

وقال ﷺ:**رأس الأمر الإسلام من أسلم سلم وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد** [٢].

وقال ﷺ:**أحب الجهاد إلى الله كلمة حق تقال لإمام جائر** [٣].

وعن أبي ذر ﷺ قال أوصني يارسول الله قال:**عليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام** [٤].

والجهاد لغة: هو بذل ما في الوسع للوصول إلى غاية في النفس

والجهاد شرعاً: هو بذل غاية ما في الوسع ليحصل ظن بحكم شرعي

ويقول ابن عباس: إن أناساً من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد كانوا يقولون: لوددنا أن الله ﷻ دلنا على أحب الأعمال إليه فنعمل بها فأخبر الله تعالى نبيه أن أحب الأعمال إليه... إيمان به لاشك فيه وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا عن أمره.

(١) متفق عليه.
(٢) رواه الترمذي وصححه الألباني ٥١٣٦ ص.ج.
(٣) رواه الطبراني وصححه الألباني ١٦٨ ص.ج.
(٤) رواه أحمد في مسنده وحسنه الألباني ٣٥٤٣ ص.ج.

وقيل أنه لما سأل أناس عن أحب الأعمال إلى الله تعالى أنزل الله قوله:{إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ } [الصف: ٤].

وهذا إخبار من الله تعالى بمحبته لعباده المؤمنين إذا صفوا مواجهين لأعداء الله يقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر وشريعته هي الحاكمة، وكان من اليسير على الله تعالى - وكل شيء عليه يسير - أن ينصر دينه دون أن تهراق نقطة دم واحدة ودون أن يصاب مؤمن واحد بأذى.

ولكن اقتضت حكمة الله البالغة أن يجعل لعباده المحبين له طريقاً لإظهار هذا الحب، قال تعالى:{وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ} [محمد: ٣١]، وما من طريق أعظم من أن يضحي المحب لله في سبيل الله ويجود بروحه في سبيل رضاه خاصة وأن تلك الروح إنما هي هبة منه تعالى.

والجهاد في سبيل الله ليس فقط ما كان في أرض المعركة وإن كان هو أعلاها درجة وأشرفها مقاماً وأسماها منزلة وأعظمها أجراً مادام خالصاً لوجه الله تعالى فقد قال رسول الله ﷺ:**واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف** [(١)].

ولكن للجهاد أنواعاً عدة حتى إذا لم يتيسر أحدها تيسر الآخر حتى لا يحُرم الناس من الأجر ومن تلكم الأنواع:

الجهاد بالمال:

إن الذي يشح بماله أن ينفقه في سبيل الله ﷻ ثم يدّعي أنه لو كان في زمان أو مكان جهاد لجاهد فإن قوله مردود عليه وإنما هو محض كذب وافتراء.

---

(١) متفق عليه.

فإن المال ثمرة الجهد والجهد يحتاج لبعض الوقت والوقت إنما هو الحياة فإن كان هذا البخيل يبخل ببعض من بعض من بعض{وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم } [محمد: ٣٨]، فكيف لمن هذا حاله أن يجود بعمره لله؟ هذا محال

ولعل ذلك من الحِكم التي من أجلها ذكر الجهاد بالمال في القرآن الكريم مقدماً على الجهاد بالنفس في مواضع عديدة، قال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} [الصف: ١٠، ١١].

وقال تعالى:{ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ } [التوبة: ٤١]، وغير ذلك كثير.

وليس ذلك لأن الجهاد بالمال مقدم على الجهاد بالنفس وإنما من باب أنه لن يقوى على الجهاد بنفسه من ضعف عن الجهاد بماله، فجاهد بمالك ما استطعت موقناً بقول الرسول ﷺ :**ما نقص مال من صدقة** [(١)]، فذلك أمر أقسم عليه النبي وهو لا يحتاج إلى قسم لعلمه بما يخالج بعض النفوس من شك في هذا الأمر.

واعلم أن الله ﷻ لما أراد أن يبين للناس ثمن الجنة جعل ثمنها الجهادين، الجهاد بالنفس والجهاد بالمال، قال تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ } [التوبة: ١١١].

وعندما جاء رجل إلى النبي ﷺ ليبايعه على الدخول في الإسلام وقال:
يا رسول الله علام أبايعك؟ قال:**قال تشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول**

(١) رواه أحمد وصححه الألباني ٣٠٢٥ ص.ج.

الله، وتقيم الصلاة لوقتها، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتحج البيت، وتصوم رمضان، وتجاهد في سبيل الله»، قال: يارسول الله أما اثنين فلا أستطيع... الزكاة والجهاد أما الزكاة فإني رجل ذو عيال وأما الجهاد فأنا رجل جبان. فقبض رسول الله ﷺ يده بعد أن كان قد بسطها وقال للرجل:**فبم تدخل الجنة؟»** (١).

وكأنه لم تشفع له صلاته ولا صيامه ولا حجه دون جهاده سواءً كان جهاداً بالنفس في أرض المعركة أو جهاداً بالمال زكاة أو صدقة،{إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ} [النازعات: ٢٦].

الجهاد بالكلمة:

قال رسول الله ﷺ:**أحب الجهاد إلى الله كلمة حق تقال لإمام جائر»** (٢).

فما من متخاذل عن قول الحق وهو يقدر عليه إلا سأله الله ﷻ يوم القيامة: **عبدي ما منعك أن تقول كذا وكذا يوم كذا وكذا »**فيقول: يارب خشيت الناس فيقول الله ﷻ: **إياي كنت أحق أن تخشى»**.

فرب كلمة حق تصل إلى مالم تصل إليه السيوف

ورب جرئ في الحق يزن عند الله الألوف

فخيرية هذه الأمة إنما بقولها الحق أمراً بالمعروف وقولها الحق نهياً عن المنكر، قال تعالى:{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ} [آل عمران: ١١٠].

ثم تأمل هذا الأمر من الله تعالى وتأمل عاقبته، قال تعالى: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ} [آل عمران: ١٠٤].

(١) رواه الحاكم في المستدرك.
(٢) رواه أحمد في مسنده وحسنه الألباني ١٦٨ ص.ج.

فالناس في الدنيا إما أن تقول الحق وإما أن تقول سواه والناس في الآخرة إما مفلحون وإما خاسرون

فالأول للأول والثاني للثاني... فاختر لنفسك فإنك فان.

جهاد النفس:

من الناس من يتمنى لو جاهد بنفسه في سبيل الله يوماً ما وهو لا يستطيع أن يجاهد نفسه هوناً ما، وشتان بين الجهادين.

فمن لم يستطع أن يجاهد نفسه فأنّى له أن يجاهد بنفسه؟ ومن أين له القوة على ذلك وقد اتخذ إلهه هواه يأمره وينهاه، لكن الفطن من الناس من علم أن طريق النجاة أن يزن الأمور على نفسه وهواه.

فإن أحبت النفس كره وإن كرهت النفس أحب.

فإن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم الله فالخير كل الخير في مخالفة النفس.

فقد قال رسول الله ﷺ:**المجاهد من جاهد نفسه في الله** [١].

وقال ﷺ:**أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه وهواه** [٢].

وقال ﷺ:**حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات** [٣].

واعلم أن للجهاد ثماراً لا يجنيها إلا من جاهد جهاداً أصيلاً

تلك الثمار لا يجنيها جبان أو بخيل

تلك الثمار الزاهد فيها ليس معه من الحب دليل

ومن ثمار الجهاد:

سواء بالمال أو بالكلمة أو جهاد النفس أو جهاد بالنفس.

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني ٦٦٧٩ ص.ج.
(٢) رواه أبو نعيم وصححه الألباني ١٠٩٩ ص.ج.
(٣) رواه مسلم.

*** حب الله ﷻ:**

وذلك الذي عليه مدار حديثنا فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال:**إن الله يبغض ثلاثة ويحب ثلاثة**.

وذكر من الثلاثة الذين يحبهم الله ﷻ**رجل غزا في سبيل الله خرج محتسباً مجاهداً فلقى العدو فقتل** (١).

وقال ﷺ:**ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين أما القطرتين فقطرة دموع من خشية الله وقطرة دم تهراق في سبيل الله وأما الأثران فأثر في سبيل الله وأثر في فريضة من فرائض الله** (٢).

وقال ﷺ:**أفضل الأعمال الإيمان بالله وحده ثم الجهاد** (٣).

*** عمل لا ينقطع وأمان من الفتنة:**

قال رسول الله ﷺ:**كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمّى له عمله إلى يوم القيامة ويؤمّن من فتنة القبر** (٤).

فأي فضل من الله هذا وأي إحسان، فالمرابط في مكانة يغبطه عليها الأحياء والأموات على السواء، أما الأحياء فيغبطونه على الأجر الذي يجري عليه وأما الأموات فيغبطونه بالأمان من فتنة القبر.

*** الفلاح والهداية في الدنيا والآخرة:**

أما الفلاح فقال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ } [المائدة: ٣٥].

وأما الهداية فقال تعالى:{ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ } [العنكبوت: ٦٩].

---

(١) رواه الحاكم.
(٢) رواه الترمذي.
(٣) رواه الطبراني وصححه الألباني ١٠٩١٤ ص.ج.
(٤) رواه أبو داود وصححه الألباني ٤٥٦٢ ص.ج.

وقـال تعـالى:{وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ } [محمد: ٤-٦].

أمان من النار ودخول الجنة:

أما الأمان من النار فقد قال رسول الله ﷺ:**ما أغبرت قدماً في سبيل الله فتمسه النار** (١).

وأمـا الجنـة فقـال الله تعـالى:{ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٢٠ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ۝٢١ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ } [التوبة: ٢٠ - ٢٢].

وقـال تعـالى:{أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ } [آل عمران: ١٤٢].

وقال رسول الله ﷺ:**تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته إلا الجهاد في سبيل الله وتصديق بكلماته أن يدخله الجنة أو يرده إلى مسكنه بما نال من أجر وغنيمة** (٢).

*** الأجر العظيم:**

قال تعالى:{وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء: ٧٤].

وقـال رسول الله ﷺ:**رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها** (٣)، وقـال ﷺ:**رباط يوم في سبيل الله أفضل من صيام شهر وقيامه** (٤)، وقـال ﷺ: **رباط شهر خير من صيام دهر ومن مات مرابطاً في سبيل الله أمن من الفزع الأكبر وغدى عليه برزقه وريح من**

(١) رواه البخاري.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه الترمذي وصححه الألباني ٣٤٨١ ص.ج.

الجنة ويجري عليه أجر المرابط حتى يبعثه الله(١)، وقال ﷺ: **إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض**(٢)، وقال رجل أي الناس أفضل يا رسول الله؟ قال: **مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله**(٣).

*** الجهاد برهان على صدق الإيمان:**

قال رسول الله ﷺ: **ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**(٤).

وقال تعالى: {إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ} [الحجرات: ١٥].

فأي جهاد جاهدت؟... وليخش على نفسه الذي يلقى الله تعالى بغير جهاد أن يقال له يوم القيامة علام تدخل الجنة؟... علام تدخل الجنة؟

واعلم أن النبي ﷺ قال: **من ضيق منزلاً أو قطع طريقاً أو آذى مؤمناً فلا جهاد له**(٥).

{رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ} [الممتحنة: ٥].

* * *

(١) رواه الطبراني وصححه الألباني ٣٤٧٩ ص.ج.
(٢) رواه البخاري.
(٣) متفق عليه.
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه أبو داود وصححه الألباني ٦٣٧٨ ص.ج.

الله يحب المتبعين

قال تعالي:{ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ } [آل عمران: ٣١ - ٣٢].

وقال رسول الله ﷺ:**كل أمتي يدخل الجنة إلا من أبى** قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال:**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى** (١).

إن طاعة الرسول ﷺ واتباعه فرض على كل مسلم ومسلمة وذلك اتباعاً لأمر الله ﷻ.

قال تعالى:{وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ } [الحشر: ٧].

وقال تعالى:{وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } [آل عمران: ١٣٢].

وقال تعالى:{ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ } [الأعراف: ٣].

ويحذر ﷺ من عدم طاعته فيقول:**لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه** (٢).

وكأن الله ﷻ قد كشف عن نبيه الحجب فرأى ما نحن عليه الآن من أمثال أولئك الجاحدين المنكرين لسنته ﷺ وعلى كلٍ فاتباع النبي ﷺ يحتاج إلى قوة ويقين وعزيمة لا تلين فهو القائل:**المتمسك بسنتي عند اختلاف أمتي كالقابض على الجمر** (٣).

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أحمد وصححه الألباني ٧١٧٢ ص.ج.

(٣) حسنه الألباني ٦٦٧٦ ص.ج.

لكن قد يسأل سائل لماذا نتبع النبي ﷺ؟ أما الجواب فإنا نطيعه ونتبعه لأسباب لا تحصى نذكر منها:

أولاً: أن الرسول ﷺ أعلم الخلق بمراد الله ﷻ:

فكان اتباعه من دواعي العقل والمنطق وذلك دون أن نضع أفعاله وأقواله في ميزان العقل والمنطق وإنما العقل والمنطق هو الذي يقاس على أفعاله وأقواله فإن العقل قد يفسد أو يجهل والمنطق قد يشذ أو يحيد عن الصواب أما النبي ﷺ فمعصوم محال عليه ما يعيب أو ما يسوء.

فهو لا يتكلم من عند نفسه ولكن بوحي يوحى فقد قال له ربه ﷻ: {وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ} [يونس: ١٠٩].

ثم يأمره ربه أن يعلم الناس أنه متبع للوحي، قال تعالى:{قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } [الأعراف: ٢٠٣].

ثم بين الله تبارك وتعالى للناس أن نبيه لا يملك إلا اتباع الوحي في كل صغيرة وكبيرة من أمر الدين، قال تعالى على لسان نبيه:{إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } [يونس: ١٥].

فهو مستقيم كما أُمر غير متبع لذي هوى كما نُهى، وإلا فمن عساه ينصره ومن عساه يتولاه وهو الذي قال له ربه:{وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ} [البقرة: ١٢٠].

ثم تأمل هذا الأسلوب القوي في آيات لا تحتمل غيره، قال تعالى:{وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ} [الحاقة: ٤٤ - ٤٧].

أفبعد هذا الحديث حديث؟ وهل بقي احتمال لأن يتّقول النبي ﷺ ولو بعض الأقاويل على الله ثم الله تاركه بعد هذا الوعيد الشديد؟

ومن ثم فكل الذي جاء به النبي ﷺ حق خالص لا يشوبه باطل وعلم خالص لا يشوبه جهل وصدق خالص لا يشوبه كذب.

فما أدركته عقولنا مما جاء به حمدنا الله عليه وقبلناه وعملنا به ما استطعنا وما لم تدركه عقولنا قلنا: سمعنا وأطعنا وقبلناه وعملنا به ما استطعنا.

فإن كان أحداً لا يسأل الطبيب عن التركيب الكيميائي للدواء قبل أن يتناوله ولكنه لما وثق في علمه سلم نفسه إليه وهو راض مطمئن فإن منع الحلو أجابه وإن أعطى المر أجابه، وإن أمر ابتدر أمره وإن نهى اجتنب نهيه مع أن الطبيب - على علمه - ذو علم قاصر فإنما علمّه بشر يخطئ ويصيب أما النبي ﷺ فعلمه من لدن حكيم عليم، قال تعالى:{وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا } [النساء: ١١٣].

وقال ﷺ:**إني لأتقاكم لله وأعلمكم به** [١].

وقال ﷺ:**والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي** [٢].

فكان حقاً على المؤمنين أن يقولوا:

{رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ } [آل عمران: ٥٣].

عسى أن يقول لهم النبي ﷺ يوم القيامة:{فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّىۖ} [إبراهيم: ٣٦].

ثانياً: أن طاعة الرسول واتباعه أحد شرطين لقبول الأعمال:

أما الشرط الأول: فهو أن يكون العمل خالصاً لوجه الله تعالى:

قال تعالى:{فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ} [الزمر: ٢، ٣].

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه مسلم.

فلا يقبل الله من الأعمال إلا ما كان خالصاً لوجهه تعالى دونما شركاء فهو القائل في الحديث القدسي:**أنا أغني الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه** (١).

فليصل المصلى ما شاء ويحج الحاج ما شاء ويصوم الصائم ما شاء وليأت بأفعال الخير كلها ما شاء فلا يُقبل من ذلك كله شيء إلا ما كان خالصاً لوجه الله تعالى.

وأما الشرط الثاني: فهو أن يكون العمل متبعاً لسنة النبي ﷺ:

فما من سبيل لمن أراد الوصول سالماً إلا خلف النبي ﷺ، قال تعالى: {قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [المائدة: ١٥، ١٦].

أما من ابتغى سبيلاً غير سبيله وآثر إلا المخالفة فيوشك أن تتفرق به السبل وتتشعب به الطرق فلا يصل إلى هدف ولا يحقق أمل وإنما الضلال البعيد مصيره ومنتهاه بما قدم على طاعة النبي هواه.

قال تعالى:{وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: ١٥٣].

فالمخالفة عن سبيل الرسول ﷺ وعدم اتباعه تعني سوء المصير ولا نصير.

قال تعالى:{وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا} [النساء: ١١٥].

فمن أحق أن يُتبع إذا لم يتبع النبي الذي جاء بالهدى من عند رب العالمين، قال تعالى:{قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} [يونس: ٣٥].

---

(١) رواه مسلم.

ولقد جمع الله ﷻ شرطي القبول في آية واحدة، فقال تعالى:{فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا} [الكهف: ١١٠].

فالعمل الصالح هو ما كان على هدى النبي ﷺ والعمل الخالص هو الذي لم تشبه شائبة شرك مع الله ﷻ، ومن ثم:

فلا يقبل الله عملاً من مبتدع ولو كان مخلصاً

ولا يقبل الله عملاً من متبع من غير إخلاص

أما صورة المبتدع فيروي أن أحد الأئمة رأى رجلاً يعّذب نفسه بالوقوف في الشمس فسأل عن حاله فقالوا: إنما يفعل ذلك ابتغاء وجه الله فقال فهلا جعله في طاعة يعني متبعاً لا مبتدعاً، وكمن صلى الصبح ثلاثاً أو أربعاً قصداً فلا سبيل لقبوله لأنه لا سبيل لأحد أن يأتي بخير مما جاء به النبي ﷺ وأما صورة غير المخلص فصورته الذي أنفق حتى يقال عنه جواد ومن قرأ القرآن حتى يقال إنه قارئ ومن قاتل أعداء الله حتى يقال عنه شجاع فأولئك أول من تسعر بهم النار ذلك بأنهم أرادوا غير وجه الله، فقد قال رسول الله ﷺ: **إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار** [(١)].

ثالثاً: أن طاعة الرسول واتباعه إنما هي طاعة لله وشرط للإيمان:

إن كل طاعة لغير النبي ﷺ قد تجني من ورائها خيراً وقد تجني من ورائها شراً، أما طاعته ﷺ فهي خير وفقط وذلك أنها عبادة محضة وطاعة لله ﷻ خالصة، قال تعالى:{مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا} [النساء: ٨٠].

وقال رسول الله ﷺ :**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصي الله** [(٢)].

(١) متفق عليه.
(٢) متفق عليه.

ثم يبين ذلك النبي ﷺ قائلاً:**يوشك أن يقعد الرجل متكئاً على أريكته يحدث بحديثي فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله** [١].

بل إن الأمر ليصل إلى أن تكون طاعة النبي ﷺ شرطاً من شروط الإيمان، قال تعالى:{ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } [النساء:٦٥].

وقال تعالى:{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } [الأنفال: ١].

رابعاً: أن طاعة الرسول هي السبيل إلى حب الله ﷻ:

فكل طاعة لغير النبي ﷺ قد تجلب لصاحبها حب من يطيعه وحسب لكن طاعة النبي وحده هي التي عليها مدار حب الله تعالى ومن أحبه الله فقد بلغ مقاماً دونه كل مقام ومنزلة دونها كل منزلة، قال تعالى:{ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [آل عمران: ٣١].

خامساً: أن الخير كله في طاعة النبي واتباعه:

وأول هذا الخير الكثير، الهداية إلى الصراط المستقيم، قال تعالى:{قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ۚ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } [النور: ٥٤].

وقال تعالى:{فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } [الأعراف: ١٥٨].

وقال رسول الله ﷺ:**تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض** [٢].

(١) رواه أبو داود وصححه الألباني ٨١٨٦ ص.ج.
(٢) رواه الحاكم وصححه الألباني ٢٩٣٧ ص.ج.

وثاني هذا الخير، هو ضمان الحماية من الله ﷻ لمن اتبع نبيه ﷺ، قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ } [الأنفال: ٦٤].

ومن كان الله حسبه فهل يخشى أحد غيره ولو جمعت له الجموع، إلى غير ذلك من أبواب الخير التي ما ترك منها باباً إلا ودل عليه وأرشد إليه وكفى بقوله تعالى:{وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا } [النساء: ٦٩].

سادساً: لأن رسول الله ﷺ أكمل الخلق فإن لم يُتبع فمن يُتبع:

فصفات الخير كلها فيه قد اجتمعت وتفرقت فيمن سواه

فترى من الناس من هو صادق ومنهم من هو أمين

ومن الناس من هو تقي ومنهم من هو حيي

ومن الناس من هو جواد ومنهم من هو شجاع

لكن كل تلك الصفات وغيرها كثير كثير قد اجتمع في النبي ﷺ على أجمل وأكمل ما يتصوره عقل أو يخطر على قلب بشر.

فأعدل الناس عدله دون عدل رسول الله

وأصدق الناس صدقه دون صدق رسول الله

وأجود الناس جوده دون جود رسول الله

وأشجع الناس شجاعته دون شجاعة رسول الله

وكيف لا وهو الذي زكّاه ربه فقال تعالى:{ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ} [القلم: ٤].

فقد كان **دائم البشر سهل الخلق ليس بفظ ولا غليظ.**

وكان **لا يؤيس منه راجيا ولا يخيب فيه مؤمّلاً.**

وكان **لا يذم أحداً ولا يعيبه ولا يطلب عورته ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه.**

وكان **يصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته.**

وكان **لا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام.**

وكان **أبغض الخُلق إليه الكذب.**

وكان **أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس.**

وكان **أشد حياءً من العذراء في خدرها.**

وكان **طويل الصمت قليل الضحك.**

وكان **رحيماً وكان لا يأتيه أحد إلا وعده وأنجز له إن كان عنده.**

وكان **لا يسأل شيئاً إلا أعطاه أو سكت.**

وكان **يجلس على الأرض ويأكل على الأرض.**

وكان **لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين والعبد حتى يقضي له حاجته.**

وكان **يذكر الله في كل أحواله.**

وكان **أحسن الناس خُلقاً.**

وكان **خُلقه القرآن.**

ثم بعد ذلك كله هو :{رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة: ١٢٨]، فهل مثل ذلكم النبي ﷺ لا يتبع؟

فحقاً{اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} [الأنعام: ١٢٤].

فكيف وهو القائل ﷺ:**لو نزل موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم، أنا حظكم من النبيين وأنتم حظي من الأمم**[1].

ولا يتأتى اتباع النبي ﷺ إلا من خلال محبته فمحبته منزلة يجب أن يتنافس فيها المتنافسون وإليها يشخص الناظرون ولها يعمل العاملون،

(١) رواه البيهقي وحسنه الألباني ٥٣٠٨ ص.ج.

فمن حرمها فهو من جملة الأموات وإن كان يغدو ويروح فالنبي ﷺ هو أولى الناس بالحب عقلاً علاوة على كونه أولى الناس بالحب شرعاً.

فإن كان الإنسان منا يحب من منحه في دنياه معروفاً فانياً في دنيا فانية منقطعة وكذلك يحب من أنقذه من مهلكة أو مضرة قد لا تدوم، فما بالك بمن منحك منحاً لا تعد ولا تبيد ولا تزول ووقاك بفضل الله تعالى من مهالك لا تنقضي، فلذلك استوجب النبي المحبة التي دونها حب الولد والوالد والناس أجمعين بل دونها حب النفس أيضاً، فله محبة وتقدير وإجلال لا يسمو إليها أحد ولا يطمع فيها والد ولا ولد.

وذلك الحب كان شأن أصحاب النبي ﷺ لم يتخلف عن حبه إلا منافق معلوم النفاق أو حاقد بيّن الحقد أو حاسد ظاهر الحسد، أما المؤمنون والمؤمنات فكانوا في حبه سواء... رجالاً ونساء، ونسوق لكليهما مثلاً أو مثلين.

أما الرجال فمثلهم ثوبان رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ وقد كان شديد الحب لرسول الله قليل الصبر على البعد عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه ويعرف الحزن في وجهه فقال له الرسول ﷺ :**ما غير لونك ياثوبان**ـــ فقال: يارسول الله مابي مرض ولا وجع غير أني إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة فأخاف ألا أراك لأنك ترفع مع النبيين وإني إن دخلت الجنة ففي منزلة أدنى من منزلتك وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبداً.

فأنزل الله تعالى قوله:{وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقٗا } [النساء: ٦٩].

فتأمل ماذا فعل حب النبي بالرجل إنه رفع درجته إلى حيث لم يحتسب ولم يخطر له على بال.

ومثل آخر: زيد بن الدثنه رضي الله عنه وذلك لما هم أهل مكة بقتله بعدما

أمسكوا به أسيراً بعد الهجرة فقال له أبو سفيانَ - وكان إذ ذاك مشركاً - أَنشدك بالله يا زيد أتحب أن محمداً عندنا الآن نضرب عنقه وأنك في أهلك سالماً، فقال زيد ﷺ والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وأني جالس بين أهلي فقال أبو سفيان ما رأيت أحداً من الناس يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً.

فانظر ماذا فعل الحب بالرجل إنه لم يقدم قتله على قتل النبي ولكن قدم قتله على أن تصيب النبي ﷺ شوكة ولو كذب الرجل لينجو بنفسه ما عليه من ذنب ولا لوم عليه ما دام قلبه مطمئناً بالإيمان ولكن غلبه الحب لما امتلأ به القلب ففاض صدقاً على اللسان فلم يبال بما يلاقي بعد ذلك من قتل أو عذاب أو هوان.

أما مثل حب النساء للنبي ﷺ فإنه لامرأة من الانصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحُد، فلما أخبروها الخبر واحداً بعد الآخر فما كان قولها في كل مرة إلا أن تقول: ما فعل رسول الله. قالوا خيراً هو بحمد الله كما تحبين.

فقالت: أرونيه أنظر إليه فلما رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل يارسول الله أي: صغيرةَ.

فتأمل ماذا فعل الحب بالمرأة وهي أقل صبراً من الرجال وأضعف، لقد أنساها حبها للنبي وخوفها عليه حزنها على أقرب الأقربين فلم تسأل عن أب أو أخ أو زوج لأنها أيقنت أن نجاة رسول الله ﷺ نجاة لها ولأهلها وإن هلكوا وهلاك رسول الله هلاك لها ولأهلها وإن نجوا.

نعم إن سلم رسول الله فكل الناس قد سلموا

فاسأل نفسك هل تحب النبي ﷺ؟

فإن كنت تحبه - ونحسبك كذلك - فإن للحب علامات وإن للحب أمارات فالأمر أكبر من أن يكون قولاً فقط باللسان أو ادعاء بلا برهان.

فتأمل بعض تلك العلامات حتى تستبين سبيلك وتعلم أين أنت من حب رسول الله وأين رسول الله من قلبك؟

*** علامات حب النبي ﷺ:**

١ـ الرضا والتسليم بما حكم:

قال تعالى:{ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } [النساء: ٦٥].

فلن يذوق طعم الإيمان إلا من حكّم الله ورسوله على نفسه قولاً وفعلاً، أخذاً وتركاً، حباً وبغضاً، منعاً وعطاءً، وكان ذلك كله بنفس راضية لا ضيق ولا ضجر.

ومن لم يرض برسول الله حكماً عدلاً فمن عساه يرضى حكماً أيرضى قوماً قد تمكنت منهم الأهواء فعميت عليهم الأنباء وصاروا يرون الباطل حقاً والحق باطلاً والمتمسك بأمر دينه متخلفاً جاهلاً.

قوم قد اختلطت لديهم المفاهيم فالحرية عندهم إباحية والعبودية عندهم تزمت وتعصب ورجعية.

قال تعالى:{وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا} [النساء: ٢٧].

وقال تعالى:{ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ} [الأنعام: ١١٦].

أما النبي ﷺ فهو الأسوة الحسنة التي أمرنا الله ﷻ باتباعها.

قال تعالى:{ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } [الأحزاب: ٢١].

٢ـ نصرته بالفعل والقول:

قال تعالى:{فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [الأعراف:١٥٧].

فنصرته بالدفاع عن شريعته والتمسك بسنته والتخلق بأخلاقه واقتفاء أثره فتلك نصرته ﷺ وإن كان الله على نصره لقدير، قال تعالى:{ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ } [التوبة: ٤٠].

٣ـ التسلي عن كل مصاب بمصابه:

فقد قال رسول الله ﷺ:**إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها أعظم المصائبـــ** [(١)].

وقال ﷺ:**يا أيها الناس أيما أحد من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري فإن أحداً من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتيـــ** [(٢)].

فكان الرجل من أصحاب النبي ﷺ إذا أصابته مصيبة ذكّروه بمصابه في فقد النبي ﷺ فينسى مصابه أياً كان هذا المصاب وكذلك يجب أن نكون، على أنه لن يستشعر فقده إلا من استشعر وجوده أولاً شرعة ومنهاجاً وأخلاقاً.

٤ـ كثرة الصلاة عليه:

قال تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا} [الأحزاب: ٥٦].

وقال رسول الله ﷺ:**البخيل من ذكرت عنده ولم يصل عليّـــ** [(٣)].

وقال ﷺ:**من ذكرت عنده فخطئ الصلاة عليّ خطئ الطريق إلى الجنةـــ** [(٤)].

(١) رواه الطبراني وصححه الألباني ٣٤٧ ص.ج.
(٢) رواه ابن ماجه وصححه الألباني ٧٨٧٩ ص.ج.
(٣) رواه الترمذي وصححه الألباني ٢٨٧٨ ص.ج.
(٤) رواه الطبراني وصححه الألباني ٦٢٥٤ ص.ج.

وقال ﷺ:**من صلى عليّ حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة** [١].

وقال ﷺ:**أكثروا الصلاة عليّ فإن الله وكل بي ملكاً عند قبري فإذا صلى عليّ رجل من أمتي قال لي ذلك الملك يامحمد إن فلان ابن فلان صلى عليك الساعة** [٢].

وقال ﷺ:**أكثروا الصلاة عليّ في يوم الجمعة فإنه ليس يصلي عليّ أحد يوم الجمعة إلا عرضت عليّ صلاته** [٣].

وقال ﷺ:**صلوا عليّ واجتهدوا في الدعاء وقولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد** [٤].

٥- التأدب عند ذكره ﷺ:

وذلك بإظهار وإضمار الخشوع والخضوع والتوقير والتقدير عند سماع اسمه كما لو كان النبي ﷺ بين يديك فقد كان من السلف من يرق قلبه ومنهم من يقشعر جلده ومنهم من ينسكب دمعه عند ذكر النبي ﷺ، وكان الإمام مالك إذا جاءه من يسأله عن حديث رسول الله ﷺ لبس أحسن الثياب وتطيب بأحسن الطيب فلما سُئل عن ذلك قال: أتدرون بحديث من أتحدث؟ إني أتحدث بحديث رسول الله ﷺ.

فما بال أناس من المسلمين يدعونه محمداً هكذا بلا نبي ولا رسول ولا صلاة ولا سلام وقد حرّم الله ﷻ ذلك بقرآن يتلى إلى يوم القيامة، قال تعالى:{ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ } [النور:٦٣].

وقال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ

(١) رواه الطبراني وصححه الألباني ٦٣٥٧ ص.ج.
(٢) رواه الديلمي وحسنه الألباني ١٢٠٧ ص.ج.
(٣) رواه الحاكم وصححه الألباني ١٢٠٩ ص.ج.
(٤) رواه النسائي وصححه الألباني ٣٧٨٣ ص.ج.

لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} [الحجرات: ٢ - ٣].

٦- شدة الشوق إليه ﷺ :

وكيف لا نشتاق إليه وهو الذي قال عنا :**إن أناساً من أمتي يأتون بعدي يود أحدهم لو اشتري رؤيتي بأهله وماله** [(١)]. وكيف لا نشتاق إليه وهو الذي قال عنا:**وددت أنا قد رأينا إخواننا** قالوا: أولسنا إخوانك؟ قال:**بل أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد** [(٢)].

وقد كان خالد بن معدان وهو من التابعين لا يأوي إلى فراشه إلا وهو يذكر من شوقه لرسول الله ﷺ وإلى أصحابه رضوان الله عليهم ويقول: هم أصلي وفصلي وإليهم يحن قلبي طال شوقي إليهم فعجل رب قبضي إليك، وذلك كل ليلة حتى يغلبه النوم.

ولما حضرت بلال رضي الله عنه الوفاة قال غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه وكأنه رضي الله عنه كان فرحاً بالموت أو كذلك كان وذلك أن الحياة هي التي تحول بينه وبين من يحب، تحول بينه وبين رسول الله ﷺ وصحبه الأخيار.

فهل تشتاق إلى النبي اشتياق حبيب لحبيب؟

وهل تطمئن نفسك بذكره وتهدأ وتطيب؟

وهل تود لو رأيته بأهلك ومالك؟

بل بكل ما تشرق عليه شمس وتغيب؟

فهو القائل:**من أشد أمتي لي حباً ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله** [(٣)].

(١) رواه الحاكم وحسنه الألباني ٢٠٠٨ ص.ج.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم.

فاجعل من حب النبي وطاعته واتباعه سبيلاً يصل بك إلى حب الله ﷻ فإنه سبيل لا يخيب سالكه وباب لا يُرد طارقه.

فمن أراد النجاة من غير ذلك هلك

ولن يصل إلى غايته ولو كل طريق سلك

فالله أعطى لنبيه ما بعد الحب فهو خليله

فمن أراد حب الإله فالنبي سبيله

فكن من أتباعه تسعد في الدنيا ويوم التناد

فكأني به الآن ينادي على كل العباد

ياقوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد

ثم تأمل هذه الآيات بقلب واع وعقل منتبه ترى فيها العجب العجاب... ترى فيها فضلاً عظيماً من الله ﷻ على نبيه ومن اتبعه.

قال تعالى:{وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الأعراف: ١٥٦ - ١٥٧].

وكفى بذلك بشارة بفوز ونجاة لمن أطاع واتبع ثم تأمل هذه الآيات أيضاً بقلب واع وعقل منتبه ترى فيها عجباً، قال تعالى:{ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا} [الفرقان: ٢٧، ٢٨].

وقال تعالى:{ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا} [الأحزاب: ٦٦].

وكفى بذلك نذارة بخسران وهلاك لمن عصى وخالف.

{رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا} [الفرقان: ٦٥].

* * *

الفصل الثالث

هؤلاء لا يحبهم الله ﷻ

حقيقة الأمر أنك لا تجد شراً إلا وقد نهي الله ﷻ عنه لأنه لا يحبه ولا يحب أهله ماداموا عليه قائمين، لكنّا إذا أردنا أن نعرض لكل أصناف الشر فإنّا لا شك نسلك بذلك درباً من دروب المستحيل.

لكنا نعرض بشيء من الإيجاز لبعض الصفات التي أخبر الله ﷻ أنه لا يحبها ولا يحب أهليها بصريح القول في القرآن الكريم، فقد أخبر جل في علاه أنه لا يحب الكافرين والمفسدين والمسرفين والمعتدين والظالمين والخائنين والمختالين والمجاهرين والمستكبرين والفرحين.

ثم ننظر في أنفسنا نظرة فاحصة نطهرها وننقيها من كل صفة أو أثار صفة قد تكون فيها من تلك الصفات التي لا يحبها باريها.

لعلنا نكون بفضل الله أهلاً لأن نبلغ حبه ورضاه.

* * *

الله لا يحب الكافرين

قال تعالى:{ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ } [آل عمران: ٣٢].

وقال تعالى:{ مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ } [الروم: ٤٤ - ٤٥].

وقال رسول الله ﷺ:**التحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر ومن لم يشكر القليل لا يشكر الكثير ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله والجماعة بركة والفرقة عذاب** [١].

وقال رسول الله ﷺ:**أشكر الناس لله أشكرهم للناس** [٢].

والكفر بداية هو الجحود لكننا لن نتحدث عن ذلك الكفر المخرج من الملة لكن الكفر الذي عليه مدار حديثنا هو كفر النعمة والذي هو عكس الشكر، ذلك الكفر الذي عليه أكثر الناس إلا من رحم الله ﷻ.

قال تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ } [البقرة: ٢٤٣].

وإنه لمن الخذلان أن ينشغل الإنسان بالنعمة عن المنعم فلا يشكره على ما أنعم به عليه وتفضل، وإنه لمن الخذلان ألا يدرك أن كل نعمة أنعم الله ﷻ بها على عباده إنما هي ابتلاء منه سبحانه ليعلم الشاكر من الكافر علماً يقيم به الحجة عليهم وتأمل الآيات لتعلم العلة من كل النعم.

قال تعالى:{قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ} [النمل:٤٠].

وقال تعالى:{مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ } [المائدة: ٦].

(١) رواه البيهقي وحسنه الألباني ٣٠١٤ ص.ج.
(٢) رواه الطبراني أحمد في مسنده وصححه الألباني ١٠٠٨ ص.ج.

وقال تعالى: {وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ} [السجدة: ٩].

وقال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [الجاثية: ١٢].

وقال تعالى: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [النحل: ٧٨].

وقال تعالى: {وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [القصص: ٧٣].

فهل تأملت هذه الآيات الكريمات وغيرها كثير لتعلم أن العلة من إنعام المنعم سبحانه إنما هي الشكر، ولكن أبى أكثر الناس إلا الكفر بنعمة الله ﷻ.

قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ} [غافر: ٦١].

وقال تعالى: {وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} [إبراهيم: ٣٤].

حتى إنه لمن عجيب الأمر أن أئمة الكفر هم المترفون بالنعم الذين توالت عليهم نعم الله ظاهرة وباطنة.

قال تعالى: {وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ} [الزخرف: ٢٣].

وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ} [سبأ: ٣٤].

وكان أولى بهم أن يشكروا الله تعالى على ما وهبهم من النعم لا أن يجعلوها مدعاة للكفر وهم يحسبون أنهم مانعتهم نعم الله عليهم من عذابه، قال تعالى حكاية عنهم:

{وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ} [سبأ: ٣٥].

ثم هم يتباهون بالنعم رغم أنهم بالمنعم كافرون، قال تعالى حكاية عن صاحب الجنتين الكافر:

{ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا } [الكهف: ٣٤].

فيجيب الله ﷻ على هذا وذاك قائلاً:{قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ } [سبأ: ٣٦، ٣٧].

وإنه لمن عجيب الأمر أن من الناس من إذا أنعم الله ﷻ عليه بنعمة فإذا به ينسبها إلى غير واهبها.

فقد ينسب الإنسان النعمة التي هو فيها إلى علمه أو إلى جهده أو إلى مخلوق ضعيف مثله لا يملك عطاءً ولا منعاً ولسان حاله لسان حال قارون:{قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ } [القصص: ٧٨]، أما يخشى أن تتشابه العواقب من خسف وغضب وخذلان وسوء عاقبة.

ومن الناس من ينسب النعمة إلى جماد لا يعقل ويا له من عجب وفي ذلك يقول النبي ﷺ:**ألم تروا ما قال ربكم؟ قال ما أنعمت على عبادي من نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين يقولون الكواكب وبالكواكب**[١].

وإنه لمن عجيب الأمر أن من الناس من يجحد نعم الله عليه على كثرتها وكأنه لا عين له ترى ولا أذن له تسمع ولا قلب له يعي نعم الله عليه التي لا تعد ولا تحصى والتي هي ملء القلب والسمع والبصر.

قال تعالى:{ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ } [النحل: ٨٣].

---

(١) رواه مسلم.

وقال تعالى:{إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ} [العاديات: ٦ - ٧].

وقال تعالى:{أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ٢٨ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ } [إبراهيم: ٢٨ - ٢٩].

وقال تعالى:{وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ } [النمل: ١٤].

فإذا كنت لا تسدي معروفاً إلى جاحد فلا تكن من شيمتك الجحود، ولا تكن كالأرض السبخة التي مهما تسقى لا ينبت فيها عود.

ولا تأبي خُلقاً من عبد لعبد ثم تقبله على نفسك وأنت عبد لرب فإنك بذلك تقيم الحجة بنفسك على نفسك، فلقد سئل حكيم عن أضيع الأشياء؟ فقال أربعة:

- مطر الجود في أرض سبخة لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها.
- وسراج يوقد في الشمس.
- وجارية حسناء تزف إلى أعمى.
- وصنيعة تسدى إلى من لا يشكرها.

فلا ابتلاك الله ببلاء يعجز عنه صبرك، ولا أنعم الله عليك بنعمة يكون جزاؤها كفرك.

فليكن لسان حالك دائماً أبداً:

إلهي لك الحمد الذي أنت أهله ::: على نعم ما كنت قط لها أهلا
إذا زدت تقصيراً زدتني فضلاً ::: وكأني بالتقصير استوجب الفضلا

وللشكر قواعد لابد أن تكون بها عالماً وبعد العلم لابد أن تكون لها عاملاً ثم في حال علمك وعملك لابد أن تكون موقناً مخلصاً.

أما قواعد الشكر فهي خمس قواعد:

* **أولاً:** خضوع الإنسان للمنعم سبحانه وتعالى.

* **ثانياً**: حبه للمنعم حباً خالصاً غير مرتبط بوجود النعمة أو زوالها.

* **ثالثاً**: اعترافه بنعم المنعم عليه وأنها محض فضل من الله عليه.

* **رابعاً**: ثناؤه علي الله ﷻ بما يستطيع من السبل وإن كان لا أحد يحصى عليه ثناء فقد سأل داود عليه السلام ربه ﷻ وقال: يارب كيف أشكرك وشكرك نعمة من عندك تستوجب بها شكراً؟ فقال الله تعالى: الآن شكرتني يا داود.

وهذا المعنى الذي أشارإليه الشاعر حين قال:

إذا كان شكر العبد لله نعمة ::: عليه له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله ::: وإن طالت الأيام واتصل العمر

* **خامساً**: أن تستخدم النعمة فيما أمر الله به وتجتنب ما نهى الله عنه، فقد سئل الحسن رضي الله عنه من أشد الناس صراخاً يوم القيامة؟ قال: رجل آتاه الله تعالى من نعمه فاتخذها سبيلاً إلى معصيته.

أما طرق الشكر فثلاثة مجتمعة:

- **أما الأول**: فالشكر بالقلب اعترافاً وخضوعاً واستكانة وذلك هو القلب السليم الذي قال الله عنه:{يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: ٨٨ - ٨٩].

- **وأما الثاني**: فالشكر باللسان ثناءً واعترافاً وذكراً، قال تعالى:{وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} [الضحى: ١١].

- **وأما الثالث**: فالشكر بالجوارح طاعة وانقياداً وجهداً، قال تعالى: {اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ } [سبأ: ١٣].

فما من جارحة إلا ولها شكر واجب لله ﷻ.

فمن شكر العينين أنك إذا رأيت بهما خيراً ذكرته وإذا رأيت بها سوءاً سترته.

ومن شكر الأذنين أنك إذا سمعت بهما خيراً حفظته وإذا سمعت بهما شراً كتمته.

ومن شكر اللسان أنه إذا كان القول خيراً قلته وإذا كان القول شراً منعته.

ومن شكر القدمين أنك إذا علمت بخير قصدته وإذا علمت بشر تجنبته وتركته.

وكذلك كل جارحة عليها شكر الله تعالى واجب لابد أن تؤديه، واعلم أن للشكر ثماراً لا يجنيها إلا شاكر، لا يجنيها أبداً جاحد بالنعمة أو كافر.

ومن تلكم الثمار:

*** أولاً: الشكر أمان من العذاب:**

إن الله ﷻ جعل الأمان من العذاب مرهوناً بأمرين: أما الأول: فإيمان صادق به سبحانه وأما الثاني فشكره على نعمائه فمن أقامهما حق الإقامة وأداهما على الوجه الذي يرضيه سبحانه فلا يخشى من الله عذاباً، قال تعالى:{مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا} [النساء: ١٤٧].

*** ثانياً: الشكر سبيل إلى رضا الله ﷻ:**

قال تعالى:{ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ} [الزمر: ٧].

ومن رضى الله عنه لا محالة سوف يرضيه في الدنيا والآخرة.

*** ثالثاً: الشكر نجاة من الكرب:**

قال تعالى:{إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ﴿٣٤﴾ نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ} [القمر: ٣٤-٣٥].

وكأن سبب نجاة آل لوط ﷺ أنهم كانوا من الشاكرين ولم يجعلها الله ﷻ قاصرة عليهم ولكن قال:{كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ} [القمر: ٣٥]..

*** رابعاً: الشكر يزيد النعم:**

قال تعالى:{ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ } [إبراهيم: ٧]، فلقد جعل الله ﷻ الزيادة مرهونة بالشكر والزوال مرهوناً بالجحود والكفر.

قال تعالى:{فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} [البقرة: ١٥٢]، أي: اذكروني بكوني المنعم المتفضل عليكم أذكركم بأن أزيدكم من نعمي ومن فضلي وفي الأثر أن الله تعالى يقول:**أهل ذكري أهل مجالستي وأهل شكري أهل زيادتي—** ولذلك يقول حكيم:... من أعطى أربعاً لم يمنع من أربع من أُعطى التوبة - لم يُمنع القبول

ومن أُعطى الاستخارة - لم يُمنع الخيرة

ومن أُعطى المشورة - لم يُمنع الصواب

ومن أُعطى الشكر - لم يمنع المزيد

ولذلك فمن لم يظهر عليه أثر المزيد، اعلم أنه ما شكر الله تعالى الشكر الواجب وإلا زيد.

*** خامساً: الشكر سبيل إلى حب الله ﷻ:**

فإذا كان الله تعالى لا يحب الكافرين الجاحدين لنعمائه وآلائه فعلى النقيض من ذلك فإنه يحب الشاكرين

وكفى بالحب ثواباً لمن شكر.

وكفى بالبغض عقاباً لمن كفر.

وسوف يأتي يوم يعلم فيه ما بينهما من فرق كبير.

يوماً يكون فيه إلى الله المصير.

يومها فريق في الجنة وفريق في السعير.

*** سادساً: الشكر سبيل إلى عدم زوال النعم:**

فإن كان المزيد مقروناً ومرهوناً بالشكر فإن الزوال مقرون ومرهون بالكفر، فإن قارون لما كفر بنعمة الله تعالى عليه ونسبها إلى علمه خسف الله به وبداره الأرض، فأيقن من حوله أن ذلك إنما كان بسبب كفره وجحوده فقالوا:{لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ} [القصص: ٨٢].

وكذلك قوم سبأ لما آتاهم الله من فضله وأمرهم بشكره، قال تعالى:{لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ} [سبأ: ١٥]، فلما جحدوا نعمة الله عليهم ولم يشكروا الله تعالى على ما أتاهم من فضله سلبهم الله تلك النعم، قال تعالى:{ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ} [سبأ: ١٦، ١٧]، ثم يختم الله ﷻ قصتهم بقوله تعالى:{إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} [سبأ: ١٩]..

فبقاء النعم مرهون بالشكر عليها وزوالها مرهون بالكفر بها فاعتبروا ياأولي الألباب.

فإذا كنت في نعمة فارعها ::: فإن المعاصي تزيل النعم

وداوم عليها بشكر الإله ::: فإن الإله سريع النقم

*** سابعاً: الشكر سبيل إلى الأمن والشبع:**

قال تعالى:{وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ} [النحل: ١١٢].

فقد جعل الله ﷻ من جزاء الشاكرين الأمن والشبع في الحياة الدنيا إلا أن تقتضي حكمته غير ذلك ناهيك عن حسن العاقبة في الآخرة.

وجعل الخوف والجوع من جزاء الكافرين بالنعم في الحياة الدنيا إلا أن يملى لهم ليزدادوا كفراً ناهيك عن سوء العاقبة في الآخرة.

ومن بات آمناً غير خائف شبعان غير جائع لم يبق له إلا العافية ليكون كمن ملك الدنيا بأجمعها فقد قال رسول الله ﷺ:**من أصبح منكم آمناً في سربه معافي في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها** [١].

*** ثامناً: الشكر من خُلق الأنبياء:**

وكيف لا وهم قدوة للبشر جميعاً وهم خيرة الله من خلقه اختارهم على علم وحكمة وبعثهم للناس رحمة ليعلموهم الحق والخير ومكارم الأخلاق فكانوا لأنعم الله شاكرين فهذا نوح عليه السلام قال الله تعالى عنه:{إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا} [الإسراء: ٣].

وهذا إبراهيم عليه السلام قال الله تعالى عنه:{ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ} [النحل: ١٢١].

وهذا موسى عليه السلام يقول الله تعالى عنه:{قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ} [الأعراف: ١٤٤]، فكان كما أمر.

وهذا سليمان عليه السلام قال الله تعالى حكاية عنه:{وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ} [النمل: ١٩].

وهذا يوسف عليه السلام يدعو ربه راجياً شاكراً قائلاً:{رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ} [يوسف: ١٠١].

أما محمد ﷺ لما أمره الله تعالى بالشكر وقال له:{ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ} [الزمر: ٦٦].

(١) رواه الترمذي وحسنه الألباني ٦٠٤٢ ص.ج.

فلم يكن شاكراً وحسب بل كان شكّاراً لله تبارك وتعالى كما كان يدعو ربه ويقول: **اللهم اجعلني لك ذكاراً لك شكاراً لك راهباً لك مطواعاً إليك مخبتاً إليك أواهاً منيباً**[(١)]، وما قام لله حتى تورمت قدماه وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر إلا لأنه عبداً شكورا.

فكان ﷺ لا يشغله أمر عن شكر الله تعالى

لا يشغله مرض ولا حرب... ولا ينسيه بأس ولا كرب

ولا كل ما به من خطوب... ولو كان به ألف خطب

وفوق ذلك كله فإن الله هو العلي العظيم

من صفات كماله أنه شاكر عليم

قال تعالى:{وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا} [النساء: ١٤٧].

فتأمل نعم الله تعالي عليك... وانظر كم من آلائه طوع يديك

واعلم أن من شكر فقد فُتح له باب المزيد

ومن كفر فإن الله غنيٌ حميد

واعلم أن النعمة صيد والشكر قيد

فإن لم تحكم القيد لابد وأن يفلت الصيد

وتأمل قول الله تعالي:{ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ } [النحل: ١١٤].

{رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ } [الأحقاف: ١٥].

* * *

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني ٤٣٨٥ ص.ج.

الله لا يحب المفسدين

قال تعالى:{وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ} [القصص: ٧٧].

وقال تعالى:{وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ} [المائدة: ٦٤].

وقال تعالى:{ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ} [البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٥].

وسئل النبي ﷺ:**أنهلك وفينا الصالحون؟** قال:**نعم إذا كثر الخبث** [(١)].

إن الكون كله مخلوق على هيئة الصلاح فكل ما فيه صالح لأن ينتفع به الإنسان فلا ترى عينك فساداً إلا فيما عبثت به أيدي الناس مما سخره الله لهم، قال تعالى:{ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ} [الروم: ٤١].

أما ما شاء الله تعالى ألا تصل إليه أيدي الناس فقد ظل على هيئته الأولى من الصلاح لا يشوبه أي قصور... قال تعالى:{مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ} [الملك: ٣ - ٤].

فلم تتأخر الشمس يوماً عن موعدها المعهود

ولا يكتمل القمر بدراً إلا في يوم محدود

(١) متفق عليه.

ولم تتوقف الأرض لحظة عن الدوران

ولم تمتنع الرياح يوماً عن الجريان

وهذا من عظيم فضل الله تعالى ورحمته بعباده أن الأشياء التي بفسادها يفسد الكون كله لم يجعل الله عَزَّوَجَلَّ للناس عليها سبيلاً ولا سلطاناً وذلك لأن الناس أصحاب أهواء واتباع الهوى لابد وأن يؤدي إلى الفساد والإفساد، قال تعالى:{وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ} [المؤمنون: ٧١].

وحقيقة الأمر أن المفسد إنما هو معاند للفطرة بكل حال، تلك الفطرة التي تدور بين أمرين:

أما الأول: فهو أن يترك الإنسان الشيء الصالح علي صلاحه ولا يمسه بسوء.

وأما الثاني: فهو أن يزيد الإنسان الشيء الصالح صلاحاً بما تتطلبه الحاجة ويصلح ما أفسده الآخرون.

قال تعالى:{وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ} [الأعراف: ١٤٢].

والفساد ينقسم إلى نوعين:

أما الأول: ففساد الإنسان في نفسه.

وأما الثاني: فإفساد الإنسان في الكون من حوله.

ولا شك أن كلا النوعين مرتبط بالآخر ارتباطاً تبادلياً فالفاسد في نفسه لاشك يؤثر في المجتمع من حوله سلباً لأنه يعيث في الأرض فساداً وكذلك المجتمع الفاسد يؤثر على من فيه بدرجات متفاوتة إلا من عصم الله عَزَّوَجَلَّ.

ونفصل لذلك فنقول:

*** أولاً: فساد الإنسان في نفسه:**

ويكون ذلك بفساد كل جارحة من جوارحه وذلك باستخدامها في غير

ما خُلقت له، فإن لكل خلق من خلق الله ﷻ حكمة لا يتجاوزها إلا فسد يعلمها من علم ويجهلها من جهل

قال تعالى:{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر: ٤٩].... وقال تعالى:{فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ} [المرسلات: ٢٣].

فجوارح الإنسان مهيأة بإذن الله تعالى لما خلقت له بموازين لا تخطئ موازين لا تصلح إلا بها ولا تفسد إلا بدونها، ونسوق لذلك بعض الأمثلة:

- فالعين خلقت ولها موازين تحدد سبيل صلاحها في كل زمان وفي كل مكان:

فمن موازينها قوله تعالى:{وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ} [طه: ١٣١].

ومن موازينها قوله تعالى:{يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} [غافر: ١٩].

ومن موازينها قوله تعالى:{وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء: ٣٦].

ومن موازينها قوله تعالى:{قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [العنكبوت: ٢٠].

ومن موازينها قوله تعالى:{أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ} [النجم: ٥٩ - ٦٠].

ومن موازينها قوله تعالى:{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ} [النور: ٣٠ - ٣١].

ومن موازينها قول الرسول ﷺ:**إذا رأى أحدكم من أخيه أو من نفسه**

أو من ماله ما يعجبه فليدع بالبركة فإن العين حق[١].

ومن موازينها قوله ﷺ:**عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله**[٢].

ومن موازينها قوله ﷺ:**ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه**[٣].

ومن موازينها قوله ﷺ:**العين تزني وزناها النظر**[٤].

ومن موازينها قوله ﷺ:**إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم**[٥].

إلى غير ذلك من الموازين الشرعية التي إذا ما زاغت العين عنها أو حادت فإنها لا شك فاسدة أو إلى فساد

- والقدم كذلك خلقت ولها موازين تحدد سبيل صلاحها في كل زمان وفي كل مكان:

فمن موازينها قوله تعالى:{هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ} [الملك: ١٥].

ومن موازينها قوله تعالى:{ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ} [لقمان: ١٩].

ومن موازينها قوله تعالى:{إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ} [طه: ١٥].

ومن موازينها قوله تعالى:{ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ} [النجم: ٣٩ - ٤٠].

ومن موازينها قوله تعالى:{وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا} [الإسراء: ٣٧].

(١) رواه الحاكم وصححه الألباني ٥٥٦ ص.ج.
(٢) رواه الترمذي وصححه الألباني ٤١١٢ ص.ج.
(٣) متفق عليه.
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه أبو داود وصححه الألباني ٢٢٩٥ ص.ج.

ومن موازينها قوله تعالى:{يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ} [النازعات: ٣٥].

ومن موازينها قوله تعالى:{وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ} [لقمان: ١٨].

ومن موازينها قوله تعالى:{قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ} [الأنعام: ١١].

ومن موازينها قوله تعالى:{قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ} [النمل: ٦٩].

ومن موازينها قوله تعالى:{ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا} [الفرقان: ٦٣].

ومن موازينها قول النبي ﷺ:**لأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في هذا المسجد شهراًـــ** (١).

ومن موازينها قوله ﷺ:**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهارـــ** (٢).

ومن موازينها قوله ﷺ:**ومن مشي مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له أثبت الله تعالي قدمه يوم تذل الأقدامـــ** (٣).

إلى غير ذلك من الموازين الشرعية التي إذا ما حادت عنها القدم فإنها لاشك فاسدة أو إلى فساد. علي أن المشى والسعى والسير في الآيات والأحاديث أكبر وأعم وأشمل من سير الأقدام ولكنها إشارة لأولى الأفهام.

واليد كذلك خلقت ولها موازين تحكمها وتبين سبيل صلاحها في كل زمان وفي كل مكان:

(١) رواه الطبراني وحسنه الألباني ١٧٦ ص.ج.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه الطبراني وحسنه الألباني ١٧٦ ص.ج.

فمن موازينها قوله تعالى:{ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا } [الإسراء:٢٩].

ومن موازينها قوله تعالى:{ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } [التوبة: ١٠٥].

ومن موازينها قوله تعالى:{ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [المائدة: ٣٨].

ومن موازينها قول الرسول ﷺ:**يد المعطي العليا وابدأ بمن تعول أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك** (١).

ومن موازينها قوله ﷺ:**اليد العليا خير من اليد السفلى وأبدأ بمن تعول وخير الصدقة ما كان عن ظهر غني ومن يستغن يغنه الله ومن يستعفف يعفه الله** (٢).

ومن موازينها قوله ﷺ:**اليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا هي المنفقة واليد السفلى هي السائلة** (٣).

إلي غير ذلك من الموازين الشرعية التي إذا ما حادت عنها اليد فإنها لاشك فاسدة أو إلي فساد.

والأذن كذلك خلقت ولها موازين تحكمها وتبين سبيل صلاحها في كل زمان وفي كل مكان:

فمن موازينها قوله تعالى:{ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ } [القصص: ٥٥].

ومن موازينها قوله تعالى:{ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ } [الزمر: ١٨].

(١) رواه النسائي وصححه الألباني ٨٠٦٧ ص.ج.
(٢) رواه البخاري.
(٣) متفق عليه.

ومن موازينها قوله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ} [الحجرات: ١٢].

ومن موازينها قول النبي ﷺ: **من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صُب في أذنيه الآنك يوم القيامة** [(١)].

إلي غير ذلك من الموازين الشرعية التي إذا ما حادت عنها الأذن فإنها لاشك فاسدة أو إلي فساد.

واللسان كذلك خلق وله موازين تحكمه وتبين سبيل صلاحه في كل زمان وفي كل مكان:

ومن موازينه قوله تعالى:{وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ} [المؤمنون: ٣].

ومن موازينه قوله تعالى:{ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا} [الفرقان: ٦٣].

ومن موازينه قوله تعالى:{ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا} [الفرقان: ٧٢].

ومن موازينه قوله تعالى:{فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ } [الحج: ٣٠].

ومن موازينه قوله تعالى:{مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق: ١٨].

ومن موازينه قوله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا} [الأحزاب: ٧٠].

ومن موازينه قوله تعالى:{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ} [فصلت: ٣٣].

ومن موازينه قوله تعالى:{فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ} [العنكبوت: ٣].

---

(١) رواه الطبراني وصححه الألباني ٦٠٢٨ ص.ج.

ومن موازينه قوله تعالى:{وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا} [البقرة: ٨٣].

ومن موازينه قوله تعالى:{وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ} [الأحزاب: ٣٥].

ومن موازينه قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [الحجرات:١١].

ومن موازينه قوله تعالى:{وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} [الحجرات: ١٢].

ومن موازينه قوله تعالى:{قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ} [البقرة: ٢٦٣].

ومن موازينه قوله تعالى:{لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ} [النساء: ١١٤].

ومن موازينه قول الرسول ﷺ:**أحب الأعمال إلى الله أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله**ــــ (١).

ومن موازينه قوله ﷺ:**إياكم وكثرة الحلف في البيع**ــــ (٢).

ومن موازينه قوله ﷺ:**أية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان**ــــ (٣).

ومن موازينه قوله ﷺ:**قولوا خيراً تغنموا واسكتوا عن شر تسلموا**ــــ (٤).

---

(١) رواه الطبراني وابن حبان وصححه الألباني ١٦٥ ص.ج.
(٢) رواه مسلم.
(٣) متفق عليه.
(٤) صحيح الجامع ٤٤١٩ من حديث عبادة بن الصامت.

ومن موازينه قوله ﷺ:**أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك**[١].

ومن موازينه قوله ﷺ:**من دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكل به آمين ولك بمثله**[٢].

ومن موازينه قوله ﷺ:**ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء**[٣].

ومن موازينه قوله ﷺ:**إن الله لا يحب الفاحش المتفحش**[٤].

ومن موازينه قول ﷺ:**إن الرجل ليتكلم بالكلمة التي لا يرى بها بأساً يهوى بها في النار سبعين خريفاً**[٥].

ومن موازينه قوله ﷺ:**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة**[٦].

ومن موازينه قوله ﷺ:**إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان فتقول اتق الله فينا فإنما نحن بك فإذا استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا**[٧].

ومن موازينه قوله ﷺ:**ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم - ويل له - ويل له**[٨].

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني ١٣٩٢ ص.ج.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه أحمد في مسنده وحسنه الألباني ١٨٥٠ ص.ج.
(٥) رواه الترمذي والحاكم وصححه الألباني ١٦١٨ ص.ج.
(٦) رواه الترمذي والنسائي وصححه الألباني ١٦١٧ ص.ج.
(٧) رواه الترمذي وحسنه الألباني ٣٥١ ص.ج.
(٨) رواه الترمذي وأبو داود وحسنه الألباني ٧١٣٦ ص.ج.

ومن موازينه قوله ﷺ:**ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله عز وجل** [١].

ومن موازينه قوله ﷺ:**وهل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم** [٢].

ومن موازينه قوله ﷺ:**إنك لن تزال سالماً ما سكت فإذا تكلمت كتب لك أو عليك** [٣].

ومن موازينه قوله ﷺ:**من يضمن لي بما بين لحييه ورجليه أتكفل له بالجنة** [٤].

إلي غير ذلك من الموازين الشرعية التي إذا ما حاد عنها اللسان فإنه لاشك فاسد أو إلي فساد.

والوجه كذلك خلق له موازين تحكمه وتبين صلاحه في كل زمان وفي كل مكان:

ومن موازينه قوله تعالى:{وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: ١٤٨].

ومن موازينه قوله تعالى:{وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ} [لقمان: ١٨].

ومن موازينه قول الرسول ﷺ:**من شرار الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه** [٥].

ومن موازينه قوله ﷺ:**من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار** [٦].

(١) رواه الطبراني والبيهقي عن معاذ.
(٢) رواه الترمذي وصححه الألباني ٥١٣٦ ص.ج.
(٣) رواه الطبراني.
(٤) رواه البخاري.
(٥) متفق عليه.
(٦) رواه أبو داود وصححه الألباني ٦٤٩٦ ص.ج.

إلي غير ذلك من الموازين الشرعية التي إذا ما حاد عنها الوجه فإنه لاشك فاسد أو إلي فساد.

أما القلب: فلأن عليه مدار الحب الذي هو حديثنا فكلامنا عنه يطول بعض الشيء وذلك لأنه بصلاحه يصلح الجسد كله وبفساده يفسد الجسد كله فقد قال رسول الله ﷺ:**ألا إن في الجسد مضغة إذا فسدت فسد الجسد كله وإذا صلحت صلح الجسد كله ألا وهي القلبـــ** [(١)].

ومدار فساد القلب على خمسة أشياء في الغالب:

المفسد الأول: التعلق بغير الله تعالى:

وهذا أعظم مفسداته على الإطلاق وذلك أن العبد إذا تعلق بغير الله وكله الله إلى ما تعلق به، وخذله من حيث كان يرجو النصر وأغمه وأهمه من حيث كان يرجو السعادة وأهلكه وأرداه من حيث كان يرجو النجاة وذلك أن الإنسان إذا قدم على حب الله حباً كان إلهه هذا الذي قدم، فانظر في قلبك وفي نفسك واعلم أنه:{ لَوْكَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا} [الأنبياء: ٢٢].

فمن تعلق بغير الله تعالى وقدم أي حب على حبه تعالى فهو الشقي

وما في الأرض أشقى من محب ::: وإن وجد الهوى حلو المذاق

تراه باكيا في كل حين ::: مخافة فرقة أو لاشتياق

فيبكي إن نأوا شوقاً إليهم ::: ويبكي إن دنوا خوف الفراق

فتسخن عينه عند الفراق ::: وتسخن عينه عند التلاق

أما علم الذي هذا حاله أن من وجد الله تعالى فقد وجد كل شيء وأن من فاته الله فقد فاته كل شيء والله أولى أن يكون أحب إليه من كل شيء.

المفسد الثاني: كثرة الخلطة بالناس:

(١) متفق عليه.

إن الأُنس ببني آدم وحشة والفرح بهم هم وغم والركون إليهم خيبة وخذلان إلا من رحم الله.

فكم جلبت خلطة من نقمة وكم دفعت من نعمة.

وكم أحلت من رزية وكم أوقعت من بلية.

وهل آفة الناس إلا الناس إلا من رحم ربي.

فكم من محبة انقلبت بغضاً وكم من صداقة انقلبت عداوة.

وكم من آمال في الناس خلفت آلاماً.

وكم من صديق غدر... وكم من قريب مكر.

وكم من مبتسم إليك إذا نظر... وإذا غاب عنك عبس وبسر.

ومع هذا كله لا يُعتزل الناس بالكليه وإنما خلطة بقدر، وفى الخير، فقط، كالتعاون على البر والتقوى وكالجمعة والجماعة والحج والأعياد وكتعلم العلم ومجالس الذكر واتباع الجنازة وعيادة المريض والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.... إلى غير ذلك مما أمر به الشرع.

أما فيما دون ذلك من فضول المباحات فالاعتذار عنه أولى فإن كان المسلم لا محالة فاعلا فليكن في الناس حاضراً كالغائب قريبا منهم بعيداً عنهم. معهم بجسده لكن مع الله ﷻ بقلبه وروحه من حيث لم يحتسبوا. أما إذا ما كثر الخبث وطغى الفساد فيكون الحال كما قال النبى ﷺ:**يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتتبع بها شغف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتنـــ** [١].

ولقد سئل ﷺ عن أفضل الناس قال:**مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قيل ثم أى قال مؤمن معتزل في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شرهـــ** [٢].

(١) رواه البخاري.
(٢) متفق عليه.

ويقول سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه:**لوددت أن بينى وبين الناس باباً من الحديد لا يكلمنى أحد ولا أكلمه حتى ألحق بالله تعالى**.

ويقول ابن عباس رضي الله عنه:**لولا مخافة الوسواس لرحلت إلى بلاد لا أنيس فيها وهل يفسد الناس إلا الناس**.

ويقول أبو الدرداء رضي الله عنه:**نعم صومعة الرجل بيته يكف فيها بصره ولسانه وإياكم والسوق فإنها تلهى وتلغى**.

ويقول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه:**إذا رأيتم الرجل يطيل الصمت ويهرب من الناس فقربوا منه فإنه يلقى الحكمة**.

ويقول بشر الحافى رحمه الله:**من عامل الله بصدق استوحش من الناس**.

وعلى كلٍ فالخلطة بالناس يجب أن تكون بالقدر الذي ينفع الناس ولا يضرك بل ينفعك أيضاً، فإن كنت عالماً فقد قال رسول الله ﷺ:**والله لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم** [١]. وإن كنت ممن تقضى حوائج الناس وتسعى في مصالحهم فقد قال الرسول ﷺ:**الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار** [٢]. وقال:**لأن أمشى مع أخ في حاجة أحب إلىّ من أن أعتكف في هذا المسجد شهراً** [٣].

أما إن كنت لا هذا ولا ذاك فقد قال رسول الله ﷺ:**أملك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك** [٤]... فانظر في نفسك ماذا ترى؟

المفسد الثالث: كثرة التمني فيما لا يفيد:

(١) متفق عليه.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه الطبراني وحسنه الألباني ١٧٦ ص.ج.
(٤) رواه الترمذي وصححه الألباني ١٣٩٢ ص.ج.

من الناس من يقضي عمره كله وهمه الدنيا وكأنه لا فوت، حتى إذا أدركه الموت قال آمنت، فكل أمانيه إما في الجاه أو السلطان، أو التطاول في البنيان، أو التكاثر في الأموال والأولاد، إلى غير ذلك من متع الدنيا التي هي إلى نفاد. قال تعالي:{وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ} [النساء: ٣٢].

أما أصحاب الهمم العالية فأمانيهم كلها فيما يقربهم إلى الله ﷻ... وشتان بين أمان وأمان، فإن كنت متمنياً فلتتمن الخير الذي يبقى والذي يعود عليك نفعه في الآخرة ثم اسع إلى تحقيقه جاهداً مستعيناً بالله ﷻ فقد مدح النبي ﷺ متمنى الخير وأخبر أن له من الأجر كأجر فاعله سواءً بسوء حيث قال:**إنما الدنيا لأربعة نفر عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقاً فهذا بأفضل المنازل وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء.**

ولا تتمن شراً فتكون كفاعله فتبوء بالإثم بلا نفع في الدنيا ولا حسن عاقبة في الآخرة وذلك قول النبي ﷺ في تكملة الحديث حيث قال:**وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً فهو يتخبط في ماله بغير علم ولا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقاً فهو بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه مالاً ولا علماً فهو يقول لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فوزرهما سواء** (١).

المفسد الرابع: كثرة الطعام أو فساده:

والطعام يرجع فساده لأمرين:

إما فاسد في ذاته كالميتة والدم ولحم الخنزير.. وذلك محرم لحق الله ﷻ.

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني ٣٠٢٤ ص.ج.

وإما فاسد بحسب مصدره كالمسروق والمغصوب وما أخذ قهراً أو بسيف الحياء... وهذا محّرم لحق العباد. والطعام قد يكون حلالاً طيباً لكن الإسراف فيه يعود على المسرف بما يسوؤه قي الدنيا والآخرة.

قال تعالى:{كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} [البقرة: ٦٠].

وقال تعالى:{وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ} [الأعراف: ٣١].

فمن الناس من كل همه في الدنيا طعام وشراب

وأن يملأ جوفه بما لذ وطاب

ناسياً أو متناسياً يوم الحساب

يتمنى أن تتسع بطنه ليضع فيها المزيد

فيتفنن كيف ينّوع الطعام وكيف يجيد

حتى تأتيه سكرة الموت بغتة فيقال

هذا ما كنت منه تحيد

ساعتها فليندم ما شاء، فما من ندم يفيد

المفسد الخامس : كثرة النوم:

إن كثره النوم تثقل البدن وتضيّع الوقت وتورث الكسل وتزيد الغفلة ومن كثر نومه ساء مزاجه وضاقت نفسه. وانفع النوم ما كان عند شدة الحاجة إليه.. وأسوأ النوم ما أرُغمت النفس عليه ولذلك يقال إن النوم سلطان إذا طلبك أراحك وإذا طلبته أتعبك والإقلال من النوم عن الحد اللازم كالإكثار منه كلاهما يفسد البدن فالعدل العدل، فما قام الوجود إلا بالعدل، فابتغ بين الإقلال من النوم والإكثار منه سبيلاً.

فلا تقلل من النوم فيختل ميزانك.

ولا تكثر من النوم فيضيع منك زمانك.

فمن ابتعد عن هذه المفسدات الخمس لاشك يسلم قلبه من كل آفة.

واعلم أن القلوب أوعية وبعضها أوعى من بعض.

واعلم أن القلب لا يجتمع فيه حب النقيضين. فمن أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه، قال تعالى:{ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ } [الأحزاب: ٤].

فأحرص على سلامة قلبك ليوم لا ريب فيه، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

فإن سموت فوق هذه المفسدات فقد نجحت وأفلحت وكنت بفضل الله من الناجين، وإلا فقد ملت عن الميزان وطففت ولقد علمت ما قيل في المطففين، فعجل بتوبة من قريب فإن الله تعالى لا يرد التائبين.

*** ثانيا: فساد الإنسان فيما حوله :**

من عجيب الأمر أن المفسد مع جرم ما يفعل إلا إنه لا يدرك في كل الأحوال أنه مفسد، قال تعالى:{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

بل قد يصل الأمر إلى أن يظن نفسه مصلحاً على الرغم من فساده، قال تعالى:{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ } [البقرة: ١١].

حتى ولو كان فساده هذا ظاهراً ظهور الشمس في رابعة النهار فقد يقلب الحقائق باعتقاده الفاسد حتى ليصل الأمر لمثل فرعون عليه لعنة الله أن يظن نفسه مصلحاً وأن موسى عليه السلام إنما جاء ليفسد في الأرض -{وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ } [البقرة: ٢٢٠].

قال تعالى :{وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ } [غافر: ٢٦].

والفساد وإن كان له في الآخرة من الجزاء ما يتناسب مع جرم المفسدين إلا أن لهم في الدنيا ما لهم من الخزى وإن كان عذاب الآخرة أخزى

قال تعالى: {إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [المائدة: ٣٣].

والفساد وإن كان كله سوءاً فليس كله سواء فليس من أفسد البشر كمن ألقى في طريق الناس حجر.

لكن أكبر الفساد على الإطلاق - كما يقول ابن القيم رحمه الله - هو القول على الله تعالى بغير علم عمداً بما يمس ذاته أو صفاته أو أفعاله.

وذلك أن الذي يفعل هذا إنما يفسد على الناس عقيدتهم التي من أجلها خلقوا.

حتى أن ذلك أسوأ عاقبة من الشرك بالله تعالى وذلك على عكس ما يعتقد الكثير من الناس فإن كان الشرك ظلماً عظيماً وفساداً كبيراً إلا أن المشرك إنما يكون فساده على نفسه في الغالب.

أما القول على الله تعالى بغير علم وبغير حق فإن صاحبه فاسد في ذاته ويفسد من حوله بقوله - إلا من عصم الله - فجمع بين فساد وإفساد.

ولذلك تأمل قول الله تعالى في بيانه لما حرّم على عباده قال جل شأنه:{ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ }، ثم انتقلت الآيه إلى ماهو أعظم من ذلك حرمة فقال تعالى:{وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ }، ثم انتقلت الآيه إلى ماهو أعظم من ذلك حرمة فقال تعالى:{وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا}، ثم انتقلت الآيه إلى ماهو أعظم من ذلك حرمة فقال تعالى:{وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ } [الأعراف: ٣٣].

وذلك أن القائل على الله تعالى بغير علم إنما ينفى ما أثبته الله تعالى ويثبت ما نفاه، ويحق الباطل ويبطل الحق ويصف الله ﷻ بما لا يليق في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا} [الأنعام:٢١].

ثم يتدرج الفساد من قمته هذه إلى أن يصل إلى ذلك الذي يبول في الماء الراكد بل وأدنى من ذلك، وكل مفسد مجزى بقدر ما أفسد.

ذلك أن هذا الكون صنعة الله تعالى الذي أتقنها وزينها للناظرين لا يحب من أفسد فيه ولا يصلح عمل المفسدين، ولكي تعي هذا انظر في نفسك.

هل تحب أن يهدم أحد الذي بنيت؟ وهل تحب أن يفسد أحد الذي أصلحت؟ فإن كانت الإجابة لا فكذلك الله تعالى لا يحب فاسداً ولا مفسداً وإنما هو سبحانه جميل يحب الجمال فاحرص أن تكون صالحاً في نفسك مصلحاً فيما حولك ما استطعت إلى ذلك سبيلا ولا تفسد ولا تتبع المفسدين سواء في الدنيا أو في الدين.

قال تعالى:{وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ} [الأعراف: ١٤٢].

واعلم أن الله تعالى لا يحقق للمفسدين أملاً ولا يصلح لهم عملاً.

قال تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ} [يونس: ٨١].

واعلم أن الإصلاح مع الإيمان هما النجاة من الحزن والخوف يوم الفزع الأكبر في يوم لا أمان فيه إلا لمن أمنّه الله ﷻ.

قال تعالى:{وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [الأنعام: ٤٨].

ثم إن الإصلاح نجاة من الهلاك.

قال تعالى:{وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ} [هود: ١١٧].

وعلاوة على كل هذا فإن أجر المصلحين محفوظ بحفظ الله.

قال تعالى:{إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ } [الأعراف: ١٧٠.

{ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ } [الشعراء: ٨٣].

* * *

الله لا يحب المسرفين

قال تعالى:{يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ} [الأعراف: ٣١].

وقال تعالى:{وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ} [الأنعام: ١٤١].

وقال رسول الله ﷺ:**كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة** [(١)].

والإسراف هو مجاوزة الحد وهو مذموم على كل حال فكل الأمور لها نقطة تكون عندها أكمل ما يكون فما دونها نقص وما فوقها إسراف حتى إن النبي ﷺ لينهى عن الإسراف حتى في ماء الوضوء حتى ولو كان من نهر جار.

ومن ثم كانت أمة الإسلام أمة وسطاً ولعل ذلك ضمن أسباب خيريتها، قال تعالى:{ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ} [البقرة: ١٤٣].

فليست كاليهود ضيّعها التشدد والغلو بغير حق وليست كالنصارى ضيّعها التهاون والتفريط بغير حق كذلك فكلا طرفي الأمور ذميم.

قال تعالى:{ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا} [الفرقان: ٦٧].

ولعل الذي يقود إلي الإسراف أن يتبع الإنسان نفسه هواها في كل ما تشتهي، ذلك أن النفس دائماً تواقة للمزيد حتى وإن كان هذا المزيد فيه بؤسها وشقاؤها أو حتى هلاكها، ولذلك يروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يسير يوماً في السوق مع صاحب له فاستوقفه هذا الصاحب يشتري شيئاً ما فتوقف عمر لأجله ثم سارا وبعد قليل استوقفه صاحبه

(١) رواه النسائي وصححه الألباني ٤٥٠٥ ص.ج.

ليشتري شيئاً آخر فقال له عمر متسائلاً متعجباً:

أأنت كلما اشتهيت اشتريت؟

فقال له صاحبه: نعم مادمت أملك أن أشتري ما أشتهي فقال عمر رضي الله عنه: ما هكذا علمنا رسول الله ﷺ.

نعم فقد كان رسول الله ﷺ لا يطلب طعاماً بذاته وإنما كان إذا قدم إليه الطعام فإذا ما اشتهاه أكل منه وإلا ما عابه وما ازدراه، هذا عن نوعية طعامه أما عن قدره فلقد مات ﷺ وما شبع من خبز الشعير قط.

وكيف لا وهو القائل:**ما ملأ ابن آدم وعاء شر من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه** [١].

ولذلك يروى عن لقمان الحكيم أنه قال:**بني لا تأكل شبعاً على شبع فإنك إن تنبذه للكلب خير لك**.

ولذلك يقول الإمام الشيباني رحمه الله: الحال في الطعام على أربعة أوجه:

الأول: مقدار ما يسد به الرمق ويتقوى به على الطاعة فهو مثاب غير معاقب.

الثاني: مازاد إلى حد الشبع فهو مباح محاسب عليه حساباً يسيراً بالعرض.

الثالث: ما كان قضاء للشهوات ونيلاً للذات من الحلال فهو مرخص به محاسب عليه.

الرابع: ما زاد على الشبع فهو حرام.

(١) رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني ٥٦٧٤ ص.ج.

لكن النفس قد تشتهي ما فيه هلاكها وترغب فيما فيه فسادها، وليت عاقبة الإسراف في الطعام قاصرة على الدنيا وحسب من علل وأسقام وكرب وآلام ولكن الأمر يصل إلى الآخرة فيضر بها أيما ضرر فالنفس لكي تطيع لابد وأن تكون مهيأة لهذه الطاعة فإن لم تكن مهيأة فهي كالميتة لا تسمع ولا تجيب ولسان حالها:

لقد اسمعت لو ناديت حياً ::: ولكن لا حياة لمن تنادي

ولذلك يروي أن إبليس عليه لعنة الله عرض ليحيى بن زكريا عليهما السلام، فقال له يحيى: هل نلت مني شيئاً قط؟

قال: لا إلا أنه قدم إليك الطعام فشهيته إليك حتى شبعت فنمت عن وردك.

فقال يحيى عليه السلام : لله عليّ ألا أشبع من طعام أبداً.

فقال: إبليس ـ عليه لعنة الله ـ: وأنا لله عليّ ألا أنصح آدمياً أبداً.

ولذلك فمن اقتضت مشيئة الله أن يكون رزقه كفافاً فإنما هو في فضل من الله عظيم على أن يكون قانعاً بذلك راضياً به وتلك بشارة النبي ﷺ : **طوبى لمن هدى إلى الإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع بهـــ** (١).

ويروى عن موسى عليه السلام أنه سأل ربه تعالى، فقال: أي عبد أغنى؟ فقال الله: أقنعهم بما أعطيته.

قال: فأيهم أعدل؟ فقال الله: من انتصف من نفسه.

فطوبى لمن أيقن أن قليلاً يكفيه خير من كثير يطغيه، وما أحسن قول القائل:

العيش ساعات تمر ::: وخطوب أيام تكر

اقنع بعيشك ترضه ::: واترك هواك فأنت حر

فلرب حتف ساقه ::: ذهب وياقوت ودر

(١) رواه الترمذي والحاكم وصححه الألباني ٣٩٣١ ص.ج.

فعجباً لمن يأكل وكأنما خلق للتسمين!... ويلبس وكأنما خلق للتزيين
ويبني وكأنما خلق للخلود...
ويجمع المال وكأنما لا موت ولا قبر ولا دود
أو كأنه باق أبداً وإلى الله لا يعود.

وإنا لنرى أن من بسط يديه كل البسط في زمن لابد وأن يأتيه يوم تغل فيه يده إلى عنقه رغماً عنه.

فمن أسرف في مأكل أو مشرب لابد وأن يأتي عليه زمن يحال بينه وبين ما يشتهي سواءً لفقر أو لمرض - إلا ما شاء الله -.

ومن أسرف في لباس فقد يأتيه زمن لا يجد فيه ما يواري به سوأته - إلا ما شاء الله -

وإنا لنرى أن نصيب الإنسان من نعم الله ﷻ مقدر فمن استنفد ما قدر له في زمن دون الأولى فربما يأتي عليه زمن ولا نصيب له إلا الحسرة على ما ضيع في الأيام الخوالي.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن كل نعمة أنعم الله ﷻ بها على الإنسان إنما هي أمانة. وأداء الأمانة يستوجب أن توضع النعمة في موضعها وبالقدر الذي لا تنقلب فيه إلى نقمة وإلا حوسب صاحبها ومن حوسب عُذب.

ثم إن متع الدنيا لابد وأن تنتقص من متع الآخرة فلا يستوي الذي يأكل ما يريد وقت ما يريد مع الذي لايأكل إلا الذي يقيم به حياته.

ولا يستوي الذي يشرب ما يشتهي وقت ما يشتهي مع الذي لا يشرب إلا الذي يساق إليه كالأرض تماماً بتمام. ولا يستوي الذي يلبس ما يتمنى وقت ما يتمنى مع الذي يلبس فقط ما يحفظ آدميته.

فليخش أُناس أن ينادي عليهم يوم القيامة:{أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ

تَفۡسُقُونَ} [الأحقاف: ٢٠].

وهذا كله عن الإسراف فيما أصله مباح من طعام وشراب ولباس فما بال المسرفين في الذنوب والآثام وما بال المسرفين في الكذب والافتراء وما بال المسرفين في الغيبة والنميمة... ؟

أما سمعوا نداء الرب الرحيم:{قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ} [الزمر: ٥٣ - ٥٨].

فمن استجاب للنداء فقد فاز فوزاً عظيماً ومن أعرض واستكبر وسخر واستنكر فأمامه كذلك عواقب عظيمة، ومن هذه العواقب:

*** عدم حب الله تعالى:**

إن الفطن من الناس ليمنع نفسه مما يحب مخافة أن تكون العاقبة مما يكره فكيف والإسراف ليس عاقبته ما تكرهه أنت ولكن ما يكرهه الله ﷻ، ناهيك عن عدم حب الله للمسرفين، قال تعالي:{إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ} [الأنعام: ١٤١]، ومن حُرم حب الله فقد حرم الخير كله وباء بالشر كله.

*** عدم الهداية:**

وذلك بما ترك المسرف على نفسه، نفسه لشهواتها ونزواتها تتحكم فيه وكأنه صار لها عبداً وكأنها صارت له آلهة من دون الله، قال تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ} [غافر: ٢٨].

وقال تعالى:{كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ} [غافر: ٣٤].

*** إخوة الشياطين:**

فإن لم تكن إخوة نسب فهي إخوة شبه في الفعال والخصال.

ثم هي إخوة شبه في المرجع والمآل...

وهي إخوة سوء على كل حال. قال تعالى:{ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا } [الإسراء:٢٧].

*** الحسرة يوم الحسرة:**

وحسرة المسرف حسرتان، حسرة في الدنيا من عاقبة إسرافه وأخرى في أخراه وهي أدهى وأمر، أما التي في دنياه فقال تعالى:{ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا } [الإسراء: ٢٩].

وأما التي في آخرته فيكفيه قول النبي ﷺ:**لا تزول قدما عبد حتى يُسأل عن أربع، عن عمره فيما أفناه وعن علمه ما فعل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه**ـــ [(١)].

ومن أين للمسرفين بجواب صواب وقد قال الله تعالى:{وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ} [غافر: ٤٣].

وهذا رسول الله ﷺ يبشر:**يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك وإن تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى**ـــ [(٢)].

{رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ} [المؤمنون: ٢٩].

* * *

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني ٧٣٠٠ ص.ج.

(٢) رواه مسلم.

الله لا يحب المعتدين

قال تعالى:{ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ } [البقرة: ١٩٠].

وقال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ } [المائدة: ٨٧].

وقال تعالى:{ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ} [الأعراف: ٥٥].

وقال رسول الله ﷺ:**لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجماء من الشاه القرناء** (١).

وقال ﷺ:**يخلص المؤمنون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم بدخول الجنة** (٢).

وقال ﷺ:**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار** (٣).

وقال ﷺ:**إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدود فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها** (٤).

والعدوان نوعان: عدوان: على حدود الله، وعدوان: على عباد الله.

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه الدارقطني وقال: حديث حسن.

أما العدوان الذي على حدود الله فهو الذي قال الله تعالى فيه:{تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ} [البقرة: ٢٢٩].

كما إذا تعدى العبد ما أبيح له من الوطأ الحلال في الأزواج إلى ما حرم عليه من الزنا قال تعالى:{ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ} [المؤمنون: ٥ - ٧].

أما الاعتداء على عباد الله فهو كل اعتداء مادى أو معنوى على نفس أو ما ملكت إلا ما كان أخذاً للحق وبضوابط بينها الدين.

قال تعالى:{فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ} [البقرة: ١٩٤].

وقال تعالى:{ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ } [الشورى: ٤٠].

على أن الاعتداء بالمثل أو مقابلة السيئة بالسيئة إنما يكون مع من لا يصلحه العفو ولا ينفع معه صفح ولا صبر.

قال تعالى:{ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ } [الشورى: ٤٣].

وقال تعالى:{فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ} [الشورى: ٤٠].

وقال تعالى:{وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [التغابن: ١٤].

ولأن الجزاء من جنس العمل فإن العفو عن العباد والصفح عنهم يفتح باب عفو الله جل وعلا وذلك مع كونك ضعيفاً عاجزاً ومع كون الله قوياً قديراً. قال تعالى:{إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا } [النساء: ١٤٩].

أما أن يبتدئ المسلم معتدياً فهذا ليس من شيم المسلمين ولا من أخلاقهم ولا هى من طبيعة الإسلام وهو خلق لا يحل لمسلم بأى حال فقد

قال رسول الله ﷺ: **لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً** [١].

وقال ﷺ: **لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس** [٢].

وقال ﷺ: **لا تسبن أحداً** [٣].

وقال ﷺ: **لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره. التقوى ههنا - وأشار ثلاثاً إلى صدره - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم علي المسلم حرام دمه وماله وعرضه** [٤].

وقال ﷺ: **كف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك** [٥].

وقال ﷺ: **لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق** [٦].

وقال ﷺ: **إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك** [٧].

وتأمل كيف أن مجرد سوء الظن هو إيذاء واعتداء بل إن الأمر ليصل إلى المكان الذي تجلس فيه فإن كان يؤذى غيرك فلا تجلس فيه.

قال رسول الله ﷺ: **إياكم والجلوس على الطرقات فإن أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقها، غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر** [٨].

---

(١) رواه أبو داود وصححه الألباني ٧٦٥٨ ص.ج.
(٢) رواه أبو داود وصححه الألباني ٧٦٦٢ ص.ج.
(٣) رواه أبو داود وصححه الألباني ٧٣٠٩ ص.ج.
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه مسلم.
(٦) رواه ابن ماجه وصححه الألباني ٥٠٧٨ ص.ج.
(٧) متفق عليه.
(٨) متفق عليه.

ثم يجمع النبى ﷺ ذلك كله في حديث جامع يقول فيه: **إياك وكل أمر يُعتذر منه** [١].

وإن أردت مثلاً وقدوة حسنة في الصفح والعفو فمن لك إلا النبى ﷺ.

فقد لاقى من الاعتداء والإيذاء ما لم يتحمله أحد غيره فقد قال ﷺ: **لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد وأخفت في الله وما يخاف أحد** [٢].

ولما أمكنه الله جل وعلا من المعتدين ما كان منه إلا أن قال لهم: **لا تثريب عليكم اذهبوا فأنتم الطلقاء** [٣].

ولم لا وقد أمره ربه تبارك وتعالى بذلك قائلاً: {وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ} [الحجر: ٨٥].

فصفح وعفا ودعى ربه قائلاً: **اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفو عني** [٤].

وإن سألت عن أصحابه ﷺ فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما أراد أن يأخذ ببعض حقه ممن رمى ابنته الصديقة - رضي الله عنها - بالبهتان كذباً وزوراً وافتراء بأن يمنعه عطاء كان يعطيه إياه تفضلاً وكرماً. فأنزل الله جل وعلا قرآناً يعاتبه ويبشره أن العفو جزاؤه العفو والصفح جزاؤه الصفح وشتان بين عفو عبد عن عبد مثله وعفو مالك الملك وخالق الخلق جل وعلا.

قال تعالى: {وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [النور: ٢٢].

(١) صحيح الجامع ٢٦٧١ وحسنه الألباني.
(٢) رواه الترمذي وصححه الألباني ٥١٢٥ ص.ج.
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه الحاكم وابن ماجه.

فلما سمع الصديق رضي الله عنه الآية بكى وقال بلى أحب أن يغفر الله لى، وعاد إلى ما كان عليه من عطاء وصفح عن المعتدى، وقد ذهب غيظه وهدأت نفسه واطمأن قلبه ولبى أمر ربه ولم يجب نفسه إلى هواها بالانتقام ممن اعتدى عليه. كل ذلك راجياً عفو ربه وصفحه بما عفا وصفح{فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ} [الشورى:٤٠].

ولقد روى عن على بن الحسين بن علىّ رضي الله عنهم أنه قال: إذا كان يوم القيامة نادي مناد..أيكم أهل الفضل؟ فيقوم ناس من الناس، فيقال: انطلقوا إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكه، فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة، قالوا: قبل الحساب؟! قالوا: نعم، قالوا: من أنتم؟ قالوا: أهل الفضل، قالوا: وما كان فضلكم؟ قالوا: كنا إذا جُهل علينا حلمنا وإذا ظُلمنا صبرنا وإذا أُسيء إلينا عفونا، قالوا: ادخلوا الجنه فنعم أجر العاملين.

فما بال الذين يتجبرون على الناس.

ويتسلطون عليهم بعافية وهبها رب الناس.

يؤذون هذا ويضربون هذا ويعتدون على الناس.

يتباهون بعارية مستردة..

أما يعلمون أن هناك عودة؟

أما يعلمون أنه آتيهم يوم تسلب منهم العافيه.

يوم تسلب فيه أرواحهم كما تسلب من الصوف الشوكة العاصيه.

ثم يلّقون في القبر وبعد أيام هم عظام بالية.

ثم يقومون للعرض على الديان الذي لا يترك قاصية ولا دانية.

ولا صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها كما هى.

ساعتها ينادى: ياليتنى لم أوت كتابيه

ساعتها ينادى: ما أغنى عنى ماليه

ساعتها ينادى: هلك عنى سلطانيه

ساعتها لو يصير تراباً فتلك غاية غاليه

فلا يجاب إلا أن يوفى بما كان منه في الأيام الخالية.

بالجزاء الأوفى في الدار الباقية

فالحذر كل الحذر فحقوق العباد حائل بين الجنة وبين المعتدى إلا أن يوفى

فإذا ما غرتك قوتك وغرك جاهك

فتفكر بعد حين من الزمان كيف مآلك

فعش ما شئت فإنك لا محالة هالك

ثم اسأل أهل القبور.... وما قد عراهم ياترى

وهل بعد ما كانوا في أهل ومال وعافيه

هل آثروا الوحدة وافتراش الثرى؟

لو أخبروك بحالهم ومآلهم

أبكاك دهرك وما عليهم قد جرى

فقد أفناهم من ليس يفنى ملكه

ذو البطشة الكبرى إذا أخذ القرى

{رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ} [الأعراف: ٨٩].

* * *

الله لا يحب الظالمين

قال تعالى:{ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ } [آل عمران: ٥٧].

وقال تعالى:{إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} [آل عمران: ١٤٠].

وقال تعالى:{ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} [الشورى: ٤٠].

ويقول رسول الله ﷺ فيما يرويه عن رب العزة سبحانه:**ياعبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا** [١].

وقال ﷺ:**من أعان على خصومة بظلم لم يزل في سخط الله حتى ينزع** [٢]، والظلم ليس محرماً بين المسلمين وبعضهم البعض فقط وإنما محرم على إطلاقه بل لو كان هذا الظلم في حق فاجر أو حتى في حق كافر فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال:**دعوة المظلوم مستجابه وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه** [٣].

وقال ﷺ:**إياكم ودعوة المظلوم وإن كانت من كافر فإنه ليس لها حجاب دون الله عز وجل** [٤].

بل إن الأمر أبعد من ذلك فقد حرّم الله ظلم الحيوان سواء كان ذلك بتجويعه أو بتحميله ما لا يطيق من العمل فلقد شكى جمل إلى رسول الله ﷺ فقال لصاحب الجمل:**ألا تتقى الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها**

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه ابن ماجه وصححه الألباني ٦٠٤٩ ص.ج.
(٣) رواه الطيالسي وحسنه الألباني ٣٣٨٢ ص.ج.
(٤) رواه أحمد وحسنه الألباني ١١٩ ص.ج.

فإنه قد شكاك إلىّ وزعم أنك تجيعه وتدئبه [١].

وأخبر ﷺ عن امرأه:**دخلت النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت** [٢].

فالظلم كله محرم كبيره وصغيره وفى حق أى كائن كان ومن ثم كانت دعوة المظلوم لها عند الله شأن.

قال رسول الله ﷺ:**اتقوا دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب يرفعها الله فوق الغمام ويقول لها: وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين** [٣].

وقال ﷺ:**اتق دعوة المظلوم فإنها تصعد إلي السماء كأنها شرارة** [٤].

وحق المظلوم لن يضيع ولو حسبه الظالم شيئاً يسيراً فقد قال رسول الله ﷺ:**من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة فقال: رجل وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ فقال: وإن كان قضيباً من أراك**[٥].

وحق المظلوم لن يضيع ولو حكم القاضى للظالم فلن يُعفى من العقاب فقد قال رسول الله ﷺ:**إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلىّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له بنحو ماأسمع فما قضيت له بحق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار** [٦].

---

(١) رواه أحمد في مسنده.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه الطبراني وصححه الألباني ١١٧ ص.ج.
(٤) رواه الحاكم وصححه الألباني ١١٨ ص.ج.
(٥) رواه مسلم.
(٦) متفق عليه.

والظلم ثلاثه أنواع يبينها رسول الله ﷺ قائلاً:**الظلم ثلاثة فظلم لا يغفره الله وظلم يغفره وظلم لا يتركه فأما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك، قال الله: {إن الشرك لظلم عظيم} ، وأما الظلم الذي يغفره فظلم العباد أنفسهم فيما بينهم وبين ربهم وأما الظلم الذي لا يتركه فظلم العباد بعضهم بعضاً حتى يدبر لبعضهم من بعض** (١).

وفي النوع الآخير يقول رسول الله ﷺ:**من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه** (٢).

فالأمر ليس هيناً فهذا رسول الله وهو من هو يقول:**إني لأرجو أن أفارقكم ولا يطلبني أحد منكم بمظلمة ظلمته** (٣).

فما بال الذين يحملون مظالم تئن من حملها الجبال الرواسي في يوم دعوى الرسل فيه يارب سلم سلم، فقد قال رسول الله ﷺ:**من أخذ من الأرض شيئاً ظلماً جاء يوم القيامة يحمل ترابها إلى المحشر** (٤).

وقس على ذلك كل ما يؤخذ ظلماً من حقوق الناس قل أو كثر.

صور الظلم:

ليس في الإمكان حصر صور الظلم فهي أكثر من أن تحصى متدرجة ما بين الشرك بالله وهو الظلم العظيم إلى أن تصل إلى الإسراف في ماء الوضوء حيث قال النبي ﷺ:**من زاد على ثلاث فقد ظلم** (٥)، وقد يصل الظلم إلى أقل من ذلك بكثير.

(١) رواه الطيالسي وحسنه الألباني ٣٩٦١ ص.ج.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه ابن ماجه وصححه الألباني ٢٤٨٠ ص.ج.
(٤) رواه أحمد وصححه الألباني ٥٩٨٤ ص.ج.
(٥) رواه النسائي وحسنه الألباني ٧٠١٥ ص.ج.

- ومن صور الظلم أن تطلب التعظيم والتوقير لنفسك من الناس وأنت لست أهلاً له وفي ذات الوقت قلبك خالي من تعظيم الله تعالى وتوقيره بما هو أهله.

- **ومن الظلم:** أن تسمع من يفتري على الله تعالى ما لا يليق بجلاله وكماله فلا تنكر ذلك بكل ما تستطيع وعدم الإنكار إقرار والمقر والمفتري على الله الكذب سواء بسواء وقد قال الله تعالى:{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ } [العنكبوت: ٦٨].

- **ومن الظلم:** أن تعلم الحق كوضح النهار وتميل عنه إلى سواه لأجل غاية في النفس يأباها الله أو خشية للناس والله أحق أن تخشاه، قال تعالى: {وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ } [النمل: ١٤].

- **ومن الظلم:** السكوت على الظالم وترك المظلوم دون عون ولا نصرة، قال الله تعالى في الحديث القدسي:**لأنتقمن من الظالم في عاجله وآجله ولأنتقمن ممن رأى مظلوماً فقدر أن ينصره ولم ينصره** (١).

- **ومن الظلم:** عون الظالم على ظلمه، قال رسول الله ﷺ:**من أعان ظالماً ليدحض بباطله حقاً فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله** (٢).

- **ومن الظلم:** كتمان شهادة الحق ومن ثم تضيع الحقوق وتنقلب الموازين، قال تعالى:{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [البقرة: ١٤٠].

- **ومن الظلم:** أن يُؤخر حق عن صاحبه من قادر على أدائه حتى ولو أداه بعد حين فقد قال رسول الله ﷺ:**مطل الغنى ظلم** (٣)، فما بال الذي ينكر بعض الحق فذلك أظلم ثم ما بال الذي ينكر الحق كله فذلك

(١) رواه ابن حبان.
(٢) رواه الحاكم.
(٣) متفق عليه.

أظلم وأظلم.

- **ومن الظلم:** أن يضيّع الراعي رعيته وأن يخون فيهم أمانته قال رسول الله ﷺ:**صنفان من أمتي لا تنالهم شفاعتي إمام ظلوم غشوم وكل عال مارق**[١]. إلى غير ذلك من صور الظلم التي لا تحصى.

عواقب الظلم:

لاشك أن الظالمين هم الأخسرون يوم القيامة غير أن جزاءهم ليس قاصراً على الآخرة فحسب بل في الدنيا كذلك بما تقتضي حكمة الله البالغة وحتى لا يغتر الظالمون بحلم الله تعالى فالله أقسم لينتقمن من الظالم في عاجله وفي آجله. فالظالمون لا يحول بينهم وبين عقاب الله حائل، قال تعالى: {وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ} [الحج: ٤٨].

وقال رسول الله ﷺ:**إن الله تعالي ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**[٢].

فقد يكون من بعض عقاب الظالمين أن يولي الله عليهم أمثالهم ليذيقيهم بعض الذي عملوا، قال تعالى:{وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الأنعام: ١٢٩].

وذلك حتى يُسقى الظالم من الكأس الذي طالما كان للناس يسيقه ويُرمي بالسهم الذي طالما كان بالناس يرميه.

وقد يكون من بعض عقاب الظالمين خراباً يحل عليهم من كل مكان فإن كان العدل أساس الملك فالظلم سبيل خرابه وفنائه، قال تعالى:{ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ} [الحج: ٤٥].

(١) رواه الطبراني وحسنه الألباني ٣٧٩٨ ص.ج.
(٢) متفق عليه.

وقــــال تعـــــالى:{وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا } [الكهف: ٥٩].

وقــال تعــالى:{فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } [النمل: ٥٢].

وقد يكون من بعض عقاب الظالمين ما يلاقون عند الموت من شدة وسوء خاتمة وكرب دونه كل الكروب، قال تعالى:{وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ } [الأنعام: ٩٣].

ثم العقاب الأوفى يوم القيامة، يومها لا تنفع معذرة، قال تعالى:{ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ} [غافر: ٥٢].

يومها لا تقبل لهم ولا منهم شفاعة، قال تعالى:{مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ } [غافر: ١٨].

يومها ليس لهم إلا الخيبة والخذلان، قال تعالى:{وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا } [طه: ١١١].

يومها ليس لهم إلا الحسرة والندم، قال تعالى:{ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا} [الفرقان: ٢٧ - ٢٨].

نعم ليس لهم يومها إلا الحسرة والندم والذل، قال تعالى:{وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ } [الشورى: ٤٤ - ٤٥]، بل إن العاقبة قد تصل إلى من رضى بظلم الظالمين وإلى من رأى مظلوماً ولم ينصره وهو علي ذلك قادر وإلى من أقام في أرض ظلم وهو راض هادئ البال مطمئن النفس.

قال تعالى:{ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ } [الأنفال: ٢٥].

وقال تعالى:{ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ } [هود:١١٣].

وقال الله في الحديث القدسي:**لأنتقمن ممن رأى مظلوماً فقدر أن ينصره ولم ينصره** [(١)]، هذا لمن رأى ورضى فما بال الظالم؟

فلا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً ::: فالظلم ترجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه ::: يدعو عليك وعين الله لم تنم

فلقد طغى الظلم وأهله حتى أصبح العدل غريباً كالدين تماماً فأصبحنا بين غربتين غربة الدين وغربة العدل.

وإني لأتساءل:

إلى متى لا نرى عدلاً نُسر به ::: ولا نرى لولاة الحق أعوانا
مستمسكين بحق قائمين به ::: إذا تلون أهل الظلم ألوانا

أما وقد صرنا في زمن نرى فيه كل يوم ألف حجاج فهذه حكاية عنه لأولي الألباب فإن الخاسر من لم يتعظ بغيره.

يحكى أن الحجاج بن يوسف الثقفي - وكان مشتهراً بالظلم - حبس رجلاً في محبسه ظلماً فكتب إليه السجين رقعة قال فيها.

قد مضى من بؤسنا أيام ومن نعيمك أيام والموعد القيامة والسجن جهنم والحاكم يومئذ لا يحتاج إلى بينة.

ثم كتب في آخرها:

أما والله إن الظلم لؤم ::: وما زال الظلوم هو الملوم
ستعلم يا نؤوم إذا التقينا ::: غداً عند الإله من الظلوم
سينقطع التلذذ عن أناس ::: أداموه وينقطع النعيم

---

(١) رواه بن حبان.

إلــى الــديان يــوم الــدين نمضــي ::: وعنـــد الله تجتمـــع الخصـــوم

نعم إن للظالمين يوماً تنكس فيه رؤوسهم وتشخص فيه أبصارهم ولا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم يومئذ هواء.

نعم إن للظالمين يوماً توفى فيه الحقوق وتقضي فيه الديون وهم يومئذ لا يملكون ديناراً ولا درهماً ولا نقيراً ولا قطميراً.

نعم إن للظالمين يوماً يعضون فيه على أيديهم نادمين حين لا ينفع ندم معتذرين حين لاتقبل معذرة.

يوماً لا يظلم فيه الظالمون على الرغم من ظلمهم،{وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف: ٤٩]، وإنما ينالهم قسط الله وعدله، قال تعالى:{وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [يونس: ٥٤]، فسبحان من عامل المحسنين بفضله وعامل الظالمين بعدله.

وختاماً قال رسول الله ﷺ:**إن الله لا يقدس أمة لا يأخذ الضعيف فيها حقه من القوى غير متعتع**[(١)].

{رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ} [يونس: ٨٥].

* * *

(١) رواه البيهقي في سننه وصححه الألباني ١٨٥٧ ص.ج.

الله لا يحب الخائنين

قال تعالى:{وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا } [النساء: ١٠٧].

وقال تعالى:{ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ} [الأنفال: ٥٨].

وقال تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ } [الحج: ٣٨].

وقال رسول الله ﷺ:**المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه** [١].

وقال ﷺ:**يطبع المؤمن علي كل شيء إلا الخيانة والكذب** [٢].

وقال ﷺ:**المكر والخديعة والخيانة في النار** [٣].

وقال ﷺ:**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان** [٤].

إن من أسوأ الصفات التي يمكن أن يتصف بها إنسان صفة الخيانة بما فيها من نقض للعهد وإخلاف للوعد وخداع ومكر وتلون وغدر، وأسوأها على الإطلاق ما كان في حق الله ورسوله.

قال تعالى:{ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } [الأنفال: ٧١].

فإذا ما قال الله تعالى:{فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ} [البقرة: ٢٨٣].

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني ٦٧٠٦ ص.ج.
(٢) رواه البيهقي.
(٣) رواه أبو داود وحسنه الألباني ٦٧٢٦ ص.ج.
(٤) متفق عليه.

ليس هذا في حق الناس وحسب بل في حق الله ورسوله أولى، وإذا ما قال الله تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا} [النساء: ٥٨].

ليس هذا أيضاً في حق الناس وحسب ولكن في حق الله ورسوله أولى، وأمانة الله التي ائتمنك عليها هي كل ما وهبك من نعم في الدين والنفس والعقل والنسل والمال سواءً ما كان لك أو للآخرين، وأمانة النبي ﷺ هي سنته من عبادات ومعاملات أقوالاً وأفعالاً ظاهراً وباطناً.

ومن خان الرسول فقد خان الله لأنها أمانة واحدة وهي التي قال الله تعالى عنها:{ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } [الأحزاب: ٧٢].

فمن قام بالأمانة ظاهراً وخان باطناً فأولئك المنافقون، ومن ترك الأمانة ظاهراً وباطناً هم فأولئك المشركون، ومن قام بالأمانة ظاهراً وباطناً فأولئك هم المؤمنون.

ولذلك يعقب الله تعالى على آية الأمانة بقوله تعالى:{ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا } [الأحزاب: ٧٣].

أما خيانة الناس فتكون بنقض عهدهم وخلف وعدهم والغدر بهم من حيث آمنوا وتضييع ودائعهم وإفشاء أسرارهم، فقد قال رسول الله ﷺ:**إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهي أمانة** [(١)].

ومن أشار على صاحبه بغير الصواب فقد خانه، فقد قال رسول الله ﷺ: **من أفتى بغير علم كان إثمه على من أفتاه ومن أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خانه** [(٢)]، وقال ﷺ:**المستشار مؤتمن** [(٣)].

(١) رواه أبو داود والترمذي وحسنه الألباني ٤٨٦ ص.ج.
(٢) رواه أبو داود والحاكم وحسنه الألباني ٦٠٦٨ ص.ج.
(٣) رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني ٦٧٠٠ ص.ج.

وليس أشد خيانة للناس وغدراً من رجل يلي أمرهم فلا يؤدي الذي عليه، فقد قال رسول الله ﷺ:**من ولى من أمر المسلمين شيئاً فاحتجب دون خلتهم وحاجتهم وفقرهم وفاقتهم احتجب الله عنه يوم القيامة دون خلته وحاجته وفاقته وفقره** [(١)].

وقال ﷺ:**ما من إمام أو وال يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخلة والمسكنة إلا أغلق الله أبواب السماء دون خلته وحاجته ومسكنته** [(٢)]، فالجزاء من جنس العمل.

فاحتجاب دون ما يرجو في الآخرة وإغلاق لأبواب السماء دون ما يرجو في الدنيا ويأتي يوم القيامة في حال دون حال الناس يداه مغلولة إلى عنقه نادماً أسفاً.

فقد قال رسول الله ﷺ:**ما من أمير عشرة إلا وهو يُؤتى به يوم القيامة مغلولاً يفكه العدل أو يوبقه الجور** [(٣)].

وقال ﷺ:**ما من رجل يلي أمر عشرة فما فوق إلا أتى الله مغلولاً يده إلى عنقه فكه بره أو أوثقه إثمه أولها ملامة وأوسطها ندامة وآخرها خزي يوم القيامة** [(٤)].

فما بال الذي يلي أمر أمة ويموت يوم يموت وهو غاش خائن لهم فإن الله قد حرم عليه الجنة وينصب له يوم القيامة لواء غدر يعرف به.

قال رسول الله ﷺ:**لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر غدرته ألا ولا غادر أعظم غدراً من أمير عامة** [(٥)].

(١) رواه ابن ماجه والحاكم وصححه الألباني ٦٥٩٥ ص.ج.
(٢) رواه الترمذي وصححه الألباني ٥٦٨٥ ص.ج.
(٣) رواه البيهقي في سننه وصححه الألباني ٦٥٩٦ ص.ج.
(٤) رواه أحمد في مسنده وحسنه الألباني ٥٧١٨ ص.ج.
(٥) رواه مسلم.

فإذا كانت الخيانة مذمومة من رجل لرجل فما بال الذي يخون أمة من الناس في دينهم ودنياهم، إن له يوم القيامة لشأناً قال ﷺ:**ما من عبد يسترعيه الله على رعيته فيموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة**ـــ(١).

وقال ﷺ:**من ولى من أمر المسلمين شيئاً فأمّر أحداً محاباة فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم**ـــ(٢).

*** متى تباح الخيانة؟**

إنّا لنجد في كثير مما نهى الشرع عنه عذراً أو أعذاراً لإتيانه عند الضرورة التي تقّدر بقدرها، فأما الكذب مثلاً فقد قال رسول الله ﷺ:**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ويقول خيراً وينمي خيراً**ـــ(٣).

وقال ﷺ:**لا أعده كاذباً: الرجل يصلح بين الناس يقول القول لا يريد به إلا الإصلاح والرجل يقول في الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها**ـــ(٤).

وأما أكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به حال الاضطرار فيقول عنها ﷻ:{فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ} [النحل: ١١٥].

وأما الاعتداء على المعتدي فقال تعالى:{فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ} [البقرة: ١٩٤].

حتى النطق بكلمة الكفر تحت الإكراه يقول عنها ربنا ﷻ:{ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن

(١) متفق عليه.
(٢) رواه أحمد والحاكم.
(٣) متفق عليه.
(٤) رواه أبو داود وصححه الألباني ٧١٧٠ ص.ج.

شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [النحل: ١٠٦].

أما الخيانة فلا نجد لها عذراً ولا مبرراً حتى في أظهر ما يظن وجود العذر والمبرر وهو أن يخونك خائن، وفي ذلك يقول النبي ﷺ:**أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك** (١).

سبحان الله... حتى من يخونك لا يحل لك خيانته، إلى هذه الدرجة الخيانة خلق ذميم تأباه النفوس السوية فلا يوجد عذراً ولا مبرراً لإتيانه حتى مع أهله من الخائنين.

وليس أعجب مما يرويه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول: ما منعني أن أشهد بدراً إلا أني خرجت أنا وأبو حسيل فأخذنا كفار قريش وقالوا: إنكم تريدون محمداً فقلنا ما نريده ما نريد إلا المدينة فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر فقال:**انصرفا نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم** (٢).

فأي خلق أعظم من هذا الخلق وأي دين أتم وأكمل من هذا الدين؟ يأبى رسول الله ﷺ إلا أن يفي أصحابه بعهودهم ومواثيقهم حتى مع قوم كافرين. فلك الحمد ربنا أن جعلتنا مسلمين ومن أمة هذا النبي الأمين.

وإن كان عجيب ما أسلفنا فإن ما يرويه رسول الله ﷺ عن رجل من الأمم السابقة لعجيب أيضاً حيث قال:**اشترى رجل من رجل عقاراً له فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب فقال الذي اشترى العقار خذ ذهبك مني إنما اشتريت منك الأرض ولم أبتع الذهب وقال الذي له الأرض إنما بعتك الأرض بما فيها... فتحاكما إلى رجل فقال الذي تحاكما إليه: ألكما ولد؟ قال أحدهما: لي غلام وقال الآخر: لي جارية قال: انكحوا الغلام الجارية وأنفقوا على أنفسكما منه وتصدقوا**

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه مسلم.

[(١)]. واعجباه.

أين هذا مما عليه الناس الآن؟ بل أين هذا مما نحن عليه الآن؟

إن الأمانة والإيمان متلازمان كما أن العهد والدين متلازمان فإذا ذهبت الأولى فالثانية على إثرها.

فقد قال رسول الله ﷺ:**لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له**[(٢)].

فما أقبح وما أسوأ أن تطمئن إلى إنسان فيغدر بك ويخونك ولذلك يقول رسول الله ﷺ:**لأن يزني الرجل بعشر نسوة خير له من أن يزني بامرأة جاره ولأن يسرق من عشرة أبيات أيسر له من أن يسرق من بيت جاره** [(٣)].

ولكن لماذا كل هذا الفارق فإنما هو زنى وزنى وسرقة وسرقة؟

والجواب، لأن الجار مؤتمن من جاره على عرضه وماله، فلما خانه باء بالخسران المبين وتلك عاقبة الخائنين.

والأمانة هي شطر ما يحتاجه الناس من الناس في الدنيا لقضاء حوائجهم وأعمالهم، قال تعالى:{قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ} [القصص: ٢٦].

وقال تعالى:{قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ} [النمل: ٣٩].

وذلك أن القوي الخائن أو الضعيف الأمين كلاهما لا يقوم الأمر به ولا يستقيم فلا تغني قوة خائن ولا تنفع أمانة ضعيف ولسنا نعني بالقوة قوة البنيان ولكنها عزيمة في القلب وعلو في الهمة وإصرار على بلوغ

(١) متفق عليه.
(٢) رواه أحمد وابن حبان وصححه الألباني ٧١٧٩ ص.ج.
(٣) رواه البخاري.

الهدف وقدرة على أداء ما يوكل إلى المرء من أعمال.

والأمانة أحد أربع خصال أخبر الرسول ﷺ أنها خير من الدنيا وما فيها فقد قال ﷺ:**أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة وصدق حديث وحسن خليقة وعفة في طعمة** (١).

وإذا ما تحدثنا عن الأمانة فلتعلم أن الأمانة لم تجد لها موطناً وملاذاً، كما وجدت ذلك في رسول الله ﷺ، فالصادق الأمين لقبه الذي يصاحبه في غدوه ورواحه، فإنّا لم نعلم عن أحد على الإطلاق يأتمنه أعداؤه وكارهوه على أغلى ما يملكون، حتى بعدما عقدوا النية على قتله إلا رسول الله ﷺ فهم على يقين أن محمداً لا يخون، وإن خان كل الناس، ولا يغدر وإن غدر كل الناس، فما عهدوه إلا صادقاً، وما عرفوه إلا أميناً، لا يغير من عظيم أخلاقه سوء أخلاقهم ولا يبدل من جميل طباعه قبيح طباعهم. هذا هو الحق الذي شهدوا به والحق ما شهدت به الأعداء وأحسن من قال:

وإذا أخذت العهد أو أعطيته ::: فجميع عهدك ذمة ووفاء

حتى أنه ﷺ لو غمز لأصحابه بعينه على رجل كافر طالما سبه وأذاه وهجاه لقتلوه ولكنه لم يفعل ذلك معللاً بقوله:**ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين**.

ولم لا وهو الذي قال عن نفسه:**أما والله إني لأمين في السماء وأمين في الأرض** (٢).

أما وقد تبدل الحال وضيّعت الأمانة عند الكثيرين في أفعالهم وأقوالهم في بيعهم وشرائهم في وعدهم وعهدهم إلا منَ رحم الله وَصار الحال كما قال رسول الله ﷺ:**يصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة فيقال**

(١) رواه الحاكم والطبراني وصححه الألباني ٨٧٣ ص.ج.
(٢) رواه الطبراني وصححه الألباني ١٣٣٧ ص.ج.

إن في بني فلان رجل أمين [١].

سبحان الله إلى هذا الحد يأتي على الناس زمان قد بدت أوائله ودلائله تُفقد فيه الأمانة حتى يتحاكى الناس عن الرجل الأمين وساعة تضيع الأمانة فالساعة يومئذ قريب، قال رسول الله ﷺ:**إذا ضيعت الأمانة فانتظروا الساعة** [٢].

وإذا ضيعت الأمانة فإن ذلك نذير هلاك لا محالة فقد قال رسول الله ﷺ: **إن الله إذا أراد أن يهلك عبداً نزع منه الحياء فلا تلقاه إلا مقيتاً ممقتاً فإذا لم تلقه إلا مقيتاً ممقتاً نزعت منه الأمانة فلا تلقاه إلا خائناً مخوناً فإذا لم تلقه إلا خائناً مخوناً نزعت منه الرحمة فلا تلقاه إلا رجيماً ملعناً فإذا لم تلقه إلا رجيماً ملعناً نزعت منه ربقة الإسلام** [٣].

وإذا ضيعت الأمانة فبمن يثق الناس ومن يأمنوا على أمر دينهم ودنياهم؟... ساعتها:

بمن يثق الإنسان فيما ينوبه ::: ومن أين للحر الكريم صحاب
وقد صار كل الناس إلا أقلهم ::: ذئاب على أجسادهن ثياب

فأسأل نفسك أين أنت من الأمانة؟ وأين الأمانة منك؟

هل خنت عهداً أو أخلفت وعداً؟ وهل ضيعت وديعة بمكر وخديعة؟

وهل أفشيت سراً أو كشفت ستراً؟ وهل غدرت ولو حتى بغادر؟

فإن كنت قد فعلت وللخيانة قد أتيت

فبنفسك عن حب الإله قد نأيت

فإن الله لا يحب الخائنين ولا يهدي لهم كيداً ولا يفلح لهم قصد

فعد إلى الله وكن أميناً ولو قيل عن الأمين سفيه

(١) متفق عليه.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه ابن ماجه من حديث ابن عمر.

ولا تخن أبداً حتى ولو قيل الخيانة تنجيه

أما تخشى يوماً ينصب فيه لكل غادر لواء

ويقال هذه غدرة فلان فيا لشماتة الأعداء

فلا يدفعنك حب الأموال والأولاد إلى الخيانة

ومن أجل دنيا فانية تضيع الأمانة

قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ } [الأنفال: ٢٧، ٢٨].

وقال رسول الله ﷺ:**اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة اصدقوا إذا حدثتم وأوفوا إذا وعدتم وأدوا إذا اؤتمنتم واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم** [(١)].

وقال ﷺ: " **من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من قطيعة الرحم والخيانة والكذب** [(٢)].

{ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ } [آل عمران: ٨].

* * *

(١) رواه الحاكم وحسنه الألباني ١٠١٨ ص.ج.
(٢) رواه الترمذي وصححه الألباني ٥٧٠٤ ص.ج.

الله لا يحب المختالين

قال تعالى:{وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا } [النساء: ٣٦].

وقال تعالى:{ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ} [لقمان: ١٨].

وقال تعالى:{مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ} [الحديد: ٢٢ - ٢٣].

وقال رسول الله ﷺ:**بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل جمته إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة**(١)، وقال ﷺ:**كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب لينتهين قوم يفتخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان**(٢)، وقال ﷺ:**من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**(٣).

والذي يختال على الناس ويفتخر عليهم إنما يكون ذلك بنسيان أمرين:

أما الأول: فنسيان ما كان من أمره.

وأما الثاني: فنسيان ما سيصير إليه أمره.

- فأما ما كان من أمره فقد كان عدماً ثم صار بأمر الله تعالى ماءً مهيناً ثم نطفة في قرار مكين ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم كسى الله

(١) متفق عليه.
(٢) رواه البزار، وصححه الألباني ٤٥٦٨ ص.ج.
(٣) متفق عليه.

العظام لحماً ثم أنشأه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين.

ثم يخرج إلى الدنيا ولا علم له بأي شيء على الإطلاق ولا يميز بين الأشياء فالشيء ونقيضه عنده سواء بسواء، قال تعالى:{وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [النحل: ٧٨]، فلما صار ذا سمع وذا بصر نسى أنه لم يكن شيئاً مذكوراً ونسى أن ما هو فيه من نعم إنما هي محض فضل من الله ﷻ.

- وأما ما سيصير إليه أمره أنه موقوف غداً بين يدي الله ﷻ وقد سلب ما كان يفتخر به ويختال في الدنيا بل وقد سلب الدنيا بأجمعها.

فعجباً لمن يختال على من هو مثله في الخلق تماماً بتمام... الكل من تراب وطين وماء مهين.

وعجباً من مختال يعلم أنه مهما كانت هيئته.

ومهما زادت هيبته.

ومهما عظم بين الناس أمره.

ومهما ارتفع بين الناس قدره.

قد تنتنه عرقة فيعافه أقرب الأقربين حتى أمه وأباه.

وقد تميته شرقة فلا يملك أهل الأرض له نجاه.

وإني والله:

عجبت من معجب بصورته ::: وكان بالأمس نطفة مذرة

وفي غد بعد حسن هيئته ::: يصير في القبر جيفة قذرة

وما أدراك ما القبر؟.. هناك الجسم ممدود.. ليستأكله الدود.. إلى أن ينخر العود.. ويمسى العظم قد رم.

- وبأي شيء يفتخر الإنسان ويختال؟ وما من نعمة فيه أو معه إلا وهي محض فضل من الله ﷻ، قال تعالى:{ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ} [النحل: ٥٣]، والذي وهب قادر على أن يسلب ما

وهب ولا يحول بينه وبين ذلك أحد.

- والذي يفتخر ويختال أبملك وسلطان؟

أما له في فرعون من عبرة وآية؟ هذا الذي أماته الله بالماء الذي هو مصدر الحياة، وأهلكه الله من حيث جعل لغيره النجاة.

- والذي يفتخر ويختال أبمال وحرث وثمر؟ أما له في قارون عبرة وآية؟ وقد خسف الله تعالى به الأرض التي تحمل كل بر وفاجر فما أغنى عنه ماله إذا تردى فإن لم يعتبر بهذا أما له في صاحب الجنتين عبرة وآية أما يخشى حسباناً من السماء فتصبح جنته صعيداً زلقاً أو يصبح ماؤها غوراً فلا يستطيع له طلبا أو يحاط بثمره فتصبح خاوية على عروشها كأن لم تغن بالأمس.

- والذي يفتخر ويختال أبآباء وأبناء؟

أما يعلم أن الناس تحاسب فرادى وأن كل امرئ بما كسب رهين وأنه لا تغني نفس عن نفس شيئا، قال تعالى: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ} [فاطر: ١٨].

- والذي يفتخر ويختال أبعقل وعلم؟!

فعسى الله أن يرده إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئاً.

ولا يحسبن العلم ينفع وحده ::: إذا لم يتوج ربه بخلاق

وليعلم أن من كان لله أعرف... كان من الله أخوف... فإن قوماً كان معهم العلم أنهاراً... فلم ينفعهم فصاروا كالحمار يحمل أسفاراً.

- والذي يفتخر ويختال أبقوة وشدة خلق؟

فعسى الله أن يسلبه تلك القوة ما بين طرفة عين وانتباهتها أو يبقيه حتى ينكسه في الخلق فيصير إلى ضعف بعد قوة وإلى ذل بعد عز، قال تعالى:{ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ} [الروم: ٥٤].

- والذي يفتخر ويختال أبطاعات وقربات؟

فمن يدريه أن عمله مقبول وقد قال الله تعالى:{إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ} [المائدة: ٢٧]..

ومن يدريه أنه تقي وقد قال الله تعالى:{فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ} [النجم:٣٢]..

وهل يدري كيف تكون الخاتمة وقد قال رسول الله ﷺ:**إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له بعمل أهل الجنة** [(١)].

أما يخشى أن يكون من أهل قوله تعالى:{ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا} [الفرقان: ٢٣].

وليس كل التحدث بالنعمة فخراً وخيلاء فإن نسبة النعمة إلى المنعم سبحانه وأداء حقها بالذي أمر وبالذي نهى فذلك أمر محمود، أما اتخاذ النعمة سبيلاً للفخر والخيلاء بين الناس فتنقسم القلوب فيك ما بين حاقدة عليك، كارهة للخير للذي بين يديك، وبين متملقة إليك، تود بأي وسيلة لو صار لها مقام لديك، فذلك أمر مذموم.

فإن شئت أن تفتخر فبالإسلام الذي ارتضاه لك الله ديناً وادعه ﷻ أن يحفظك بالإسلام وافتده بالنفس والنفيس. وإن شئت أن تفتخر فبأنك من خير أمة أخرجت للناس وكن لذلك أهلاً بأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر إيماناً بالله وإياك أن تفتخر وتختال بعرض زائل فتكون ممن كرهه الله.

{رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ} [المؤمنون: ١١٨].

* * *

(١) رواه مسلم.

الله لا يحب المستكبرين

قال تعالى:{ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ } [النحل: ٢٣].

وقال رسول الله ﷺ:**قال الله تعالي: الكبرياء ردائي والعز إزاري فمن نازعني في شيء منهما عذبته** [١].

وقال ﷺ:**ثلاثة لا تسأل عنهم رجل ينازع الله إزاره ورجل ينازع الله رداءه فإن رداءه الكبرياء وإزاره العز ورجل شك في أمر الله والقنوط من رحمة الله**[٢].

وقال ﷺ:**يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر** قالوا: يا رسول الله إن المرء يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً فقال ﷺ: **إن الله جميل يحب الجمال إنما الكبر بطر الحق وغمط الناس** [٣].

وقال ﷺ:**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال** [٤].

وقال ﷺ:**ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر** [٥].

وقال ﷺ:**إن من أبغضكم إليّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون** قالوا: يا رسول الله ما المتفيهقون؟ قال:**المتكبرون**[٦].

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه الترمذي وصححه الألباني ٨٠٤٠ ص.ج.
(٥) متفق عليه.
(٦) رواه الترمذي وصححه الألباني ٢٢٠١ ص.ج.

وإني عجبت لعبد يستكبر في ملك مولاه وسيده وينسى أنه مملوك لا يملك، أما يخشى يوماً تتكشف فيه الأوهام وتزل فيه الأقدام.

وعجبت لعبد يتأسي بإبليس في تكبره أما يخشى أن يكون مصيره كمصيره إذ قال الله تعالى له:{فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا} [الأعراف: ١٣].

وعجبت لعبد يستكبر وهو كل يوم يجهز غادياً إلى الله ﷻ وهو إلى مثل ذلك غاد طال العمر به أو قصر.

فحقيق بالتواضع من يموت ::: وحسب المرأ من دنياه قوت
فيا هذا سترحل عن قريب ::: إلى قوم كلامهم السكوت

وعجبت لعبد مستكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين ويحمل في جوفه أقذاراً يغدو بها ويروح وقد سترها الله عن الناس رحمة منه وفضلاً... ولكن {وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعًا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ} [الزمر: ٦٧].

فلو علم هذا المستكبر كم هو صغير وأنه لا يزن عند الله أي مثقال وأن ربه جل وعلا هو الكبير المتعال ما استكبر، ولو علم هذا المستكبر كم هو ضعيف عندما ما يقلب غداً في النار وأن ربه جل وعلا هو الواحد القهار ما استكبر، قال تعالى:{فَأَمَّا عَادٌ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ} [فصلت: ١٥].

وإن كان الله قد أهلك عاداً بما استكبروا في الأرض فإن لكل زمن عاداً والله مهلكهم أو ممهلهم ليوم العرض، وتأمل كيف أن الله ﷻ لما أراد أن يمتدح الملائكة ما امتدحهم بصفة بمثل ما امتدحهم بعدم استكبارهم.

قـــال تعـــالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩ } [الأعراف: ٢٠٦].

وقـال تعـالى:{ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ۩ } [فصلت: ٣٨].

وقـال تعـالى:{ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ } [النحل: ٤٩ - ٥٠].

وهذا رسول الله ﷺ ما استكبر يوماً على أحد بل كان أشد الناس تواضعاً وأحسن الناس أدباً وأعظم الناس خلقاً، فإذا ما هابه رجل لما علم أنه رسول الله قال له:**هون عليك فإني لست بملك فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد** [١]. وإن عظّمه رجال بغير الذي يُرضي الله ﷻ قال لهم:**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله** [٢]. وإن نسبوا إليه ما ليس له وقالوا ما شاء الله وما شاء محمد قال لهم:**قولوا ما شاء الله ثم شئت** [٣].

وتأتيه امرأة وتقول له إن لي إليك حاجة فيقول لها:**اجلسي في أي طريق المدينة شئت أجلس إليك**.

وإذا ما جاءه رجال وقالوا له يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا قال لهم:**أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان أنا محمد عبد الله ورسوله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله ﷻ** [٤].

وإن تمكن ممن آذوه السنين الطوال... ودخل مكة يحيطه عشرة آلاف من الرجال... لو همت أسيافهم ترجو القتال... لجعلت من قريش آية في النكال وسوء المآل.

(١) رواه الحاكم وصححه الألباني ٢٣٨٣ ص.ج.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه أحمد وصححه الألباني ٤٤٢٠ ص.ج.
(٤) رواه أبو داود.

لكنه دخل وقد طأطأ رأسه الشريف حتى تكاد تصل إلى عنق بعيره من شدة التواضع في هذا الموضع الذي يزهو فيه الناس على الناس ويعلو بعضهم على بعض ولكنه محمد ﷺ الذي قال:**إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد** [١]. وهو الذي قال ﷺ: **ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله** [٢]. هذا رسول الله سيد ولد آدم ولا فخر متواضع أشد ما يكون التواضع.

فما بال أناس لم ولن يبلغوا منه مبلغ الثرى من الثريا ولم ولن يبلغوا منه مبلغ الذرة من المجرة... ولو اجتمعوا له، يستكبرون ويتعالون على الناس بغير الحق.

فليردوا نعم الله إلى الله فإذا ما بقى لهم شيء يستكبرون به على خلق الله فليستكبروا ولكن في ملك غير ملك مالكهم.

عواقب المستكبرين:

لو علم المستكبرون حالهم عند الموت وحالهم في القبر وما هم ملاقوه يوم القيامة ما استكبروا وكفى ببغض الله ﷻ لهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى:{إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ} [النحل: ٢٣].

فهل يستطيع أحد على ذلك صبراً؟

وعلاوة على ذلك:

- الحرمان من الجنة:

قال رسول الله ﷺ:**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر** [٣].

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم.

وقال ﷺ:**احتجّت الجنة والنار فقالت الجنة يدخلني الضعفاء والمساكين وقالت النار يدخلني الجبارون والمتكبرون فقال الله للنار أنت عذابي أنتقم بك ممن شئت وقال للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من شئت ولكل واحدة منكما ملؤها** (١).

- الجزاء من جنس العمل:

قال رسول الله ﷺ:**إن المستكبرين يحشرون أمثال الذر يوم القيامة يطؤهم الناس بأقدامهم لتكبرهم** (٢).

وقال ﷺ:**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال** (٣).

وفي الأثر:**أن المتكبرين تصغر لهم أجسامهم في المحشر حتى يضرهم صغرها وتعظم لهم في النار حتى يضرهم عظمها**.

فتواضع لله يرفع شأنك ويعل قدرك فإن التواضع خاصة المؤمنين، قال تعالى:{ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ } [السجدة: ١٥].

ولا تستكبر فإن الاستكبار يعمي البصر والبصيرة فترى العين ولا تبصر ويعلم القلب وينكر، قال تعالى:{ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ } [الأعراف: ١٤٦].

- فلا تتكبر عن قبول الحق أياً كان قائله وأياً كان فاعله.

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البزار.

(٣) رواه الترمذي وصححه الألباني ٨٠٤٠ ص.ج.

- ولا تتكبر أن تعترف بخطئك مهما علا قدرك فذلك أزكى لك وأطهر.

- ولا تتكبر أن تدعو ربك وترجوه وتتوسل إليه في أمرك كله صغيره وكبيره فلا قوة لك إلا بقوته ولا قدرة لك إلا بقدرته فأظهر فقرك ومسكنتك بين يدي مولاك يتصدق عليك بعظيم فضله وجميل عفوه فهو القائل:{إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ} [التوبة: ٦٠].

فإن لم تسأله وترجه وتدعه فقد تكبرت عليه فاحذر، فقد قال الله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر: ٦٠].

ولا تتكبر على خلق الله فتبوء بسخط الله وغضبه فقد كان الحسن بن علي رضي الله عنهما، يجلس إلى المساكين يؤاكلهم ويشاربهم ويسأل عن ذلك فيقول:{إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ} [النحل: ٢٣]، وقال رسول الله ﷺ: **ما من آدمي إلا في رأسه حكمة بيد ملك فإذا تواضع قيل للملك ارفع حكمته وإذا تكبر قيل للملك دع حكمته** (١).

{رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ} [الشعراء: ٨٣].

* * *

(١) رواه الطبراني وحسنه الألباني ٥٦٧٥ ص.ج.

الله لا يحب المجاهرين

قال تعالى:{لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا} [النساء: ١٤٨].

وقال رسول الله ﷺ:**كل أمتي معافى إلا المجاهرين وإن من الجهار أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله تعالى فيقول عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه**(١).

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال عظني وأوجز فقال:**إذا قمت في صلاتك فصل صلاة مودع ولا تتكلم بكلام تعتذر منه غداً**(٢). وقال رسول الله ﷺ: **إن الله يبغض الفاحش المتفحش**(٣).

إن الله ﷻ لما أباح للمظلوم أن يجهر بالسوء أي بالدعاء علي ظالمه جعل لذلك حدوداً منها ألا يكذب عليه ولا يزيد على مظلمته ولا يتعدى إلى غير ظالمه وإلا أصبح ظالماً هو الآخر ومع ذلك فالعفو أولى، ولذلك أعقب الله ﷻ الآية السابقة بقوله تعالى:{إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا} [النساء:١٤٩].

فلو تعلم فإن الصوت المرتفع بغير حاجة كحرب أو استغاثة أو تعبير عن ألم لا يقره الإسلام بحال من الأحوال، قال تعالى:{ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ} [لقمان: ١٩].

حتى إن الصلاة التي هي عماد الدين قال تعالى في شأنها:{وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا} [الإسراء: ١١٠].

ولقد مر رسول الله ﷺ بأبي بكر الصديق ﷺ وهو يصلي بصوت خفيض فلما فرغ سأله عن سبب ذلك الصوت الخفيض فقال يارسول الله

(١) متفق عليه.
(٢) رواه ابن ماجه وصححه الألباني ٧٤٢ ص.ج.
(٣) رواه أحمد وصححه الألباني ١٨٧٧ ص.ج.

قد أسمعت من أناجي فأمره أن يرفع صوته قليلاً.

ومر ﷺ بعمر بن الخطاب ﷺ وهو يصلي بصوت مرتفع فلما فرغ سأله عن سبب ذلك الصوت المرتفع فقال: يارسول الله أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان فأمره أن يخفض صوته قليلاً.

والدعاء الذي هو العبادة أو ضعيف العبادة قال تعالى عنه:{وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ} [الأعراف: ٢٠٥].

ولذلك سئل النبي ﷺ أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله ﷻ قوله: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ} [البقرة: ١٨٦].

حتى إن أقواماً رفعوا أصواتهم بالدعاء في بعض الأسفار فقال لهم النبي ﷺ:**يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم**ـــ (١).

هذا عن الصلاة والدعاء.

والجهر بالدعاء على الظالم فلا يكون إلا بحدود قد بيّناها منها: ألا يكذب المظلوم ولا يفتري ولا يتعدى ولا يزيد وقد دعى رسول الله ﷺ على أناس بما ظلموا فقال: **للهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف**ـــ. وقال في حق آخرين:**اللهم عليك بفلان وفلان وسماهم بأسمائهم**ـــ. وقال:**اللهم انصرني على من ظلمني حتى تريني فيه ثأري**ـــ.

ولكن مع دعائه هذا لم يتعد قط ولم يبغ على أحد ولم يسب ولم يزد على أن فوض الأمر لصاحب الأمر بل لقد كان دعاؤه علي من دعى عليهم بياناً لأمته لجواز الدعاء على الظالم وإلا فقد كان ﷺ سمحاً سهلاً

(١) متفق عليه.

لين القلب حسن الطبع ليس بفاحش ولا بذيء ولا فظ ولا غليظ يعفو عمن ظلمه ويحلم على من جهل عليه ولا يقابل السيئة بالسيئة وإنما بالعفو والإحسان.

كلامه كله خير وصدق وبر، أشد حياءً من العذراء في خدرها يلمح وقت لا ينفع التصريح ويصرح وقت لا ينفع التلميح. فما بال أناس يجهرون بالفاحش من القول ليل نهار فلا يبالي أحدهم بأي كلام يتكلم... يسب هذا ويلعن هذا ويقذف هذا ويغتاب هذا أما يعلم أن الله لا يحب الفاحش البذيء؟

- أما يعلم أن سباب المسلم فسوق؟

- أما يعلم أن من صفات المنافق أنه إذا خاصم فجر وإذا حدث كذب؟

- أما يعلم أن الجوارح باللسان فإذا ما استقام استقامت وإذا ما اعوج اعوجت فيملك عليه لسانه؟

- أما يعلم صاحب اللسان الفاحش أن للنار ألسنة؟

- أما يخشى يوماً يختم فيه على لسانه فلا يتكلم بطيب أو قبيح؟

قال تعالى:{ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ } [يس: ٦٥].

- أما يخشى يوماً يخشع فيه كل شيء حتى الأصوات، قال تعالى:{وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا} [طه: ١٠٨].

أما يعلم قول نبيه ﷺ:**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت** (١).

أليس له في النبي ﷺ قدوة حسنة فقد كان ﷺ لا يضحك إلا تبسماً وإذا سلم على قوم سلم سلاماً لا يوقظ نائماً لكنه يسمع مستيقظاً... ولم يكن ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً في الأسواق.

(١) متفق عليه.

- أما يعلم أن شر الناس منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه؟

نعم مثل هذا الفاحش السفيه تجنبه أولى ومجانبته خير، فقد قال الله تعالى واصفاً عباد الرحمن:{وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰمًا} [الفرقان: ٦٣].

نعم:

متاركة اللئيم بلا جواب ::: أشد على اللئيم من السباب

فالبعد عن المجاهر بالفحش أولى وعدم مجاراته أسلم.

فإذا نطق السفيه فلا تجبه ::: فخير من إجابته السكوت

فإن كلمته فرجت عنه ::: وإن خليته كمداً يموت

فكل بئر ينضح بما فيه فكن كما قال القائل:

يخاطبني السفيه بكل قبح ::: فأكره أن أكون له مجيبا

يزيد سفاهة فأزيد حلماً ::: كعود زاده الإحراق طيبا

عاقبة المجاهر بالسوء:

- المجاهر بالسوء والمفاخر بالذنوب لا حياء له من الله ولا حياء له من الناس والحياء كله خير وقد حرم كل الخير وليس بمعافى مما هو فيه، وكيف برجل يكشف ستر الله عنه؟ وكيف برجل لا يتكلم إلا فحشاً ولا ينطق إلا بذاءة وهو يعلم أن الله يسمع ويرى، وهو يعلم أنه لا يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم؟ إذن فحرى به ألا يحبه الله.

- ثم العقاب العاجل في الدنيا قبل الآخرة قال ﷺ:**خمس بخمس: ما نقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدهم وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ولا طففوا المكيال إلا مُنعوا النبات وأُخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا حُبس عنهم**

القطر[١].

- ثم إن الجهر بالفاحشة دعوة لأن تشيع تلك الفاحشة ومن ثم فالعذاب أليم في الدنيا والآخرة، قال تعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ } [النور:١٩].

- ثم إن المجاهر بالسوء أياً كان هذا السوء قد سن في الناس سُنة سيئة وقال ﷺ:**ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**[٢].

فتأدب أدب عبد في حضرة مولاه... على قدر ما يحبه يخافه ويخشاه

{رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي} [طه: ٢٥ - ٢٨].

* * *

(١) رواه الطبراني وحسنه الألباني ٣٢٤٠ ص.ج.
(٢) رواه مسلم.

الله لا يحب الفرحين

قال تعالى:{إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ} [القصص: ٧٦].

وقال رسول الله ﷺ:**من جعل الهموم هماً واحداً هم المعاد كفاه الله سائر همومه ومن تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك** (١).

والفرح قسمان قسم ممدوح وآخر مذموم:

* أما الفرح الممدوح والذي يحبه الله ﷻ هو ما كان فرحا بخير أو بحق ودون تجاوز أو إفراط، قال تعالى:{قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} [يونس: ٥٨].

وفضل الله ورحمته فسرها عمر بن الخطاب ؓ بالقرآن وذلك لما زادت حصيلة الزكاة في عهده قال أحد المسلمين هذا من فضل الله ورحمته فقال ابن الخطاب: لا إنما ذلك القرآن أما هذا المال فمما يجمعون.

* وأما الفرح المذموم والذي لا يحبه الله ﷻ ولا يحب أهله فهو ما كان بِشر أو بباطل وهو ما كان بغرور وتعالٍ وتكبر.

قال تعالى مخاطباً الكافرين:{ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ} [غافر: ٧٥، ٧٦].

ومن ثم فلا ضير أن يفرح الناس بما يحبه الله ورسوله فإنه فرح لا لوم فيه بل فيه أجر من الله تعالى وحسن ثواب.

---

(١) رواه الحاكم وحسنه الألباني ٦١٨٩ ص.ج.

ولـم لا.. وقـد أثنــى الله تبـارك وتعـالى علــى أصـحاب نبيـه بفـرحهم واستبشــارهم بــالقرآن الكــريم، قــال تعــالى:{وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ} [التوبة:١٢٤].

كما أقر جل وعلا فرح المؤمنين بنصـر أهل الكتـاب من الـروم علـى عبدة النيران والأوثان في فارس، قال تعـالى:{غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾} [الروم: ٢ - ٥].

وأثنــى جـل وعـلا علـى مـن آمـن مـن أهـل الكتـاب بفـرحهم بـالقرآن، قال تعالى:{ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ} [الرعد: ٣٦].

ليس هذا فحسب بل إن النبي ﷺ فرح بكل خير وبكل حق وبكل نصر وبكـل مـا يرضـي رب العـالمين ويعلـي مـن شـأن هذا الـدين ويأخـذ بأيـدي المسلمين.

ومن ذلك ما كان يوم بدر:

لما أتاه خبر مسير قريش ليمنعوا عيرهم فاستشار الناس فقام أبـو بكـر فقال وأحسن... ثـم قـام عمـر فقـال وأحسـن ثـم قـام المقداد بـن عمـرو فقـال يارسول الله امض لما أمرك الله به فنحن معك... والله لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إن ههنـا قاعـدون ولكـن نقـول اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكمـا مقـاتلون فوالـذي بعثـك بـالحق لـو سـرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه.

فقال رسول الله ﷺ خيراً ودعا له ثم قال رسول الله ﷺ :**أشيروا علـيّ أيها النـاســـ** فوقف سعد بن معاذ وقال: والله لكأنك تعنينـا يـا رسـول الله؟ قال:**أجلـــ**، فقال سعد: فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن مـا جئـت بـه هـو الحـق وأعطينـاك علـى ذلـك عهودنـا ومواثيقنـا فـامض يـا رسـول الله لمـا

أردت ونحن معك فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا أحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً... إنّا لصبر في الحرب صدق عند اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح النبي ﷺ لقول سعد فرحاً كبيراً ثم قال:

سيروا وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم.

ذلك مثل لما أفرح النبي ﷺ وإلا فالأمثلة كثيرة.

ليس هذا وحسب بل إن الله ﷻ يفرح بتوبة عبده فقد قال رسول الله ﷺ: **لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم إذا سقط عليه بعيره قد أضله بأرض فلاة** [١]. وقال ﷺ: **لله أفرح بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا وجدها** [٢].

وقال ﷺ: **لله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلاً وبه مهلكه ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده عليها زاده طعامه وشرابه فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده** [٣].

ومن ثم فالفرح على الإطلاق مباح لا شيء فيه ولكن بم تفرح؟ ولم تفرح؟ وكيف تفرح؟ تلك الأسئلة هي التي تحدد ما إذا كان الفرح محموداً أو مذموماً.

- فمن الناس من يفرح بما آتاه الله فرح بطر لظنهم أن ما أدركوه من الخير أو ما أدركهم إنما هو بحولهم وقوتهم وما علموا أن ذلك أمر قد

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه الترمذي وصححه الألباني ٥٠٣٢ ص.ج.
(٣) متفق عليه.

جرى به قضاء الله قبل أن يكونوا.

قال تعالى:{مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [الحديد: ٢٢، ٢٣].

- ومن الناس من يفرح برزق يأتيه ولا يحمل للآخرة هماً ولا يقيم للقيامة وزناً وكأن الدنيا دائمة أبداً لا تزول، قال تعالى:{ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ} [الرعد: ٢٦].

- ومن الناس من إذا فتحت عليه أبواب النعم نسى المنعم جاحداً وفرح بما هو فيه من النعم وما علم أن النعم في الدنيا قد تكون عقاباً أو بعض عقاب كما قد تكون ثواباً أو بعض ثواب، قال تعالى:{فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ} [الأنعام: ٤٤].

- ومن الناس من رضاه وسخطه مرتبط بالنعمة وجوداً وعدماً لا بالمنعم تسليماً وحباً، قال تعالى:{وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ} [الشورى: ٤٨].

وقال تعالى:{وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ} [هود: ٩، ١٠].

وقال تعالى:{ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ} [الروم: ٣٦].

- ومن الناس من يحزنه فرح الناس وما يصيبهم من خير ونعمة ويفرحه ما يحزن الناس وما يصيبهم من شر ونقمة، قال تعالى:{إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} [آل عمران: ١٢٠].

وقال تعالى:{إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ } [التوبة: ٥٠].

- ومن الناس من هواه وغايته وما يطمح إليه أن يخالف الجماعة فينظر أي طريق سلكوه ثم يسلك غيره وما علم أن الذئب إنما يأكل من الغنم القاصية وما علم أن يد الله مع الجماعة، قال تعالى:{وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} [المؤمنون: ٥٢، ٥٣].

وقال تعالى:{وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ } [الروم: ٣١، ٣٢].

- كل ابن آدم خطاء ولكن ما أسوأ أن يفرح المرأ بخطيئته ومعصيته ظناً منه أنه فعل الأصوب والأرشد بل ويدعو الناس لمثل صنيعه. قال تعالى: { فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ } [التوبة: ٨١].

تلك أمثلة لما لا يحبه الله ﷻ من الفرح تلك التي فيها وفي أشباهها يقال:{إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ} [القصص: ٧٦].

وعلى كلٍ فالفرح في الدنيا لا يدوم وكذلك الحزن أما الآخرة فالفرح فيها يدوم والحزن كذلك.

أما الفرح ففي الجنة:

قال تعالى:{ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ} [الأعراف: ٤٩].

وقال تعالى:{ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [آل عمران: ١٧٠].

وهذا الفرح إنما يبدأ السبيل إليه من الدنيا وذلك بفعل ما أمر الله ﷻ واجتناب ما نهى.

قال تعالى:{ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [البقرة: ١١٢].

وقال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [البقرة: ٢٧٧].

فإن حسن البدء حسن الختام.

قال تعالى حكاية عن أهل الجنة:{وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ } [فاطر: ٣٤، ٣٥].

وقال تعالى:{وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ} [هود: ١٠٨].

وأما الحزن ففي النار:

قال تعالى:{ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ} [الحج: ٢٢].

فأهل النار في الهم والغم خالدون... وهم من كل فرح أو مرح آيسون.

وكيف تفرح قلوب حيل بينها وبين رحمة الله بما كسبت؟

قلوب النار طعامها وشرابها... قلوب النار لباسها ومهادها.

بل وكيف تفرح نفوس غاية ما تتمناه الموت بعدما يئست من تخفيف العذاب ولو ليوم واحد، قال تعالى حكاية عنهم:{ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ } [غافر: ٤٩].

فكان الجواب:{قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ} [غافر: ٥٠].

ثم ينتقلون إلى المطلب الثاني وهو الموت، قال تعالى حكاية عنهم: {وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ}، فيأتيهم الجواب يحمل الحسرة والحزن واليأس

والألم: {قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ} [الزخرف: ٧٧].

وقال تعالى: {لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ} [فاطر: ٣٦].

نعم كانوا يشتهون الموت ولكن حيل بينهم وبين ما يشتهون.

فليدعوا ما شاؤوا فما من مجيب... فإن يوم عذابهم ليس له شمس تغيب.

- فاعمل ليوم فرحك فيه لا يوصف يوم ينادي عليك مناد من قبل الله ﷻ لقد سعد فلان ابن فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً.

- اعمل ليوم لا ترافق فيه الأشرار من المجرمين والفجار.

- ولكن تفرح فيه بلقاء الأخيار من الصالحين والأبرار.

- اعمل ليوم تفرح فيه بلقاء - عليّ - هذا الولي النقي.

- اعمل ليوم تفرح فيه بلقاء - عثمان - هذا الحيي السخي.

- اعمل ليوم تفرح فيه بلقاء - عمر - هذا القوي الأبي.

- اعمل ليوم تفرح فيه بلقاء - أبا بكر - هذا الوفي التقي.

ثم اعمل ليوم تفرح فيه بلقاء النبي

تؤاكله... تشاربه... تجالسه... تحاكيه

تسائله... تحاوره... تماشيه... تناجيه

تصاحبه... ترافقه... تواعده... تلاقيه

ثم اعمل ليوم تفرح فيه بلقاء مولاك

يعطيك الخير ويدنيك... ويقيك من النار وينجيك

ويدخلك الجنة برحمته... ويرضى عنك ويرضيك

تلك الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، تلك الجنة التي أودعها الله جميع أنواع الخير وطهرها من كل

عيب وضير أرضها المسك والزعفران وسقفها عرش الرحمن.

تلك الجنة التي أنهارها من ماء غير آسن، ومن لبن لم يتغير طعمه، ومن خمر لذة للشاربين، ومن عسل مصفى.

تلك الجنة التي من طعامها فاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون.

تلك الجنة لا يفنى فيها الشباب ولا تبلى فيها الثياب.

تلك الجنة التي لا خوف فيها من آت ولا حزن فيها على ما فات.

تلك الجنة التي هي حياة لا يعقبها موت، وصحة لا يعقبها سقم، وشباب لا يعقبه هرم، ونعيم لا يعقبه بؤس، كل ذلك أبداً أبداً، ثم الزيادة حين ينادي المنادي: يا أهل الجنة إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحي على زيارته فيقولون: سمعاً وطاعة وينهضون إلى الزيارة مبادرين فإذا بالنجائب قد أعدت لهم فيستوون على ظهورها مسرعين إلى الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعداً فيأمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه فينصب هناك ثم تنصب لهم منابر من نور ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة يجلس أدناهم - وحاشاهم أن يكون فيهم دني - على كثبان المسك ما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا، حتى إذا استقرت بهم مجالسهم واطمأنت بهم أماكنهم نادى المنادي: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويزحزحنا عن النار ويدخلنا الجنة؟ فبينما هم كذلك إذا سطع لهم نور أشرقت له الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا بالجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه قد أشرف عليهم من فوقهم وقال: يا أهل الجنة سلام عليكم فيقولوا: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى ويقول: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني فهذا يوم المزيد؟ فيقولون: يارب رضينا فارض عنا، فيقول يا أهل الجنة إني لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي،

هذا يوم المزيد فاسألوني فيجتمعون على كلمة واحدة قائلين ربنا: **أرنا وجهك ننظر إليك.**

فيكشف الرب جل جلاله الحجب ويتجلى لهم.

فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله تعالى قضى ألا يحترقوا لاحترقوا ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه محاضرة حتى إنه ليقول يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا...

يذكره ببعض غدراته في الدنيا.

فيقول يارب ألم تغفر لي؟

فيقول بلى بمغفرتي بلغت منزلتك هذه.

فيالذة الأسماع بتلك المحاضرة

ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجه الكريم في الدار الآخرة

ويا فرحة القلوب التي كانت في الدنيا مطمئنة بذكره وعامرة

ويا نضارة وجوه إلى ربها يوم القيامة ناظرة

ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة

ويا خيبة وجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة

" فنسألك اللهم لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة "

{رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ} [البقرة: ٢٠١].

* * *

الفصل الرابع

حاتمة ودعاء ورجاء

خاتمة ودعاء

إن ما أسلفنا من صفات مما يحبه الله تعالى أو يكرهه مما قد جاء في القرآن الكريم صراحة إنما هو على سبيل المثال وليس الحصر، وإلا فهناك من الصفات والأعمال والأقوال مما يحبه الله تعالى مالا يعد ولا يحصى ومثل ذلك مما يكره.

فعلى من علت همته، وخلصت نيته، وكانت محبة الله تعالى غايته، وأمله الذي يرجوه ويسعى إليه في هذه الدنيا أن يتدبر كل ما أحبه الله تعالى ويجتهد أن يأتيه ما استطاع إلى ذلك سبيلا، ثم يتدبر كل ما كرهه الله تعالى ويجتهد أن يجتنبه ما استطاع، فليس لأحد عن حب الله تعالى غنى وليس لأحد على تحمل كره الله طاقة.

فتأمل ما أحب فيما أمر واسلك السبيل إليه.

وتأمل ما كره فيما نهى وأغلق الأبواب دونه.

وإنا لنؤثر أن يكون حديثنا في الخاتمة قاصراً على بعض ما يحبه الله ﷻ خاصة مما ورد في سنة نبيه ﷺ مكتفين بما قد أسلفنا الحديث في بعض ما يكره راجين من المولى ﷻ أن نكون من أهل محبته، فقد جاء في السنة الصحيحة الكثير مما يحبه الله ﷻ ومنها:

*** ذكر الله تعالى والثناء عليه:**

قال رسول الله ﷺ:**ليس أحد أحب إليه المدح من الله ولا أحد أكثر معاذير من الله**(١).

فأثن على الله ﷻ بما أثنى به على ذاته وبما أثنى به عليه نبيه ﷺ فهو أعلم الخلق بالله ثم اجتهد بعد ذلك في الثناء عليه ما استطعت ولا تكن من الغافلين فإن الله تعالى قال عن المنافقين:{وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا } [النساء: ١٤٢]، وقال عن المؤمنين والمؤمنات:{وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } [الأحزاب: ٣٥].

---

(١) رواه الطبراني وصححه الألباني ٥٣٦٩ ص.ج.

وقال رسول الله ﷺ:**أحب الأعمال إلى الله أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله**ـــ [١].

*** الرفق:**

فقد قال رسول الله ﷺ:**من يحرم الرفق يحرم الخير كله**ـــ [٢].

وقال ﷺ:**إن الله رفيق يحب الرفق ويرضاه ويعين عليه ما لا يعين علي العنف**ـــ [٣].

وقال ﷺ:**اللهم من ولى من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به**ـــ [٤].

وقال ﷺ:**ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار تحرم على كل قريب هين لين سهل**ـــ [٥].

وقال ﷺ:**من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من الخير ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير**ـــ [٦].

فما بال أناس قلوبهم قاسية وباللين لا تجود.

فهي كالحجارة أو أشد أو كأنما هي جبل من تلمود.

بل هناك من قلوبهم أقسى وأقسى وكأنها قلوب يهود.

أما علموا أن الرفق شيء هين... وجه طلق وكلام لين.

أما علموا أن النبي ﷺ قال:**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه**ـــ [٧].

---

(١) رواه الطبراني وصححه الألباني ١٦٥ ص.ج.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه الطبراني وصححه الألباني ١٧٧٠ ص.ج.
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه الترمذي وصححه الألباني ٢٦٠٩ ص.ج.
(٦) رواه الترمذي وصححه الألباني ٦٠٥٥ ص.ج.
(٧) رواه مسلم.

فزينوا قلوبكم بالرفق فقد قال رسول الله ﷺ:**إن لله تعالى آنية من أهل الأرض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها ألينها وأرقها** [١].

وقال ﷺ:**إن الله تعالى رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف** [٢].

وقال ﷺ:**إن الله إذا أحب أهل بيت أدخل عليهم الرفق** [٣].

*** الزهد:**

فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس فقال:**ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس** [٤].

والزهد يعني ألا تطأ الدنيا قلبك بأقدامها وإن كانت ملك يمينك فإن سلم قلبك من الدنيا لا يضرك أن تملك الدنيا بأجمعها ومن ثم:

فالزهد لا يتنافى مع حسن المظهر وجمال الهيئة فقد قال رسول الله ﷺ: **إن الله جميل يحب الجمال** [٥].

وقال ﷺ:**إن الله تعالي يحب أن يرى أثر نعمته على عبده** [٦].

وقال ﷺ:**إذا أتاك الله مالاً فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته** [٧].

وقال ﷺ:**إذا آتاك الله مالاً فلير عليك فإن الله يحب أن يرى أثره على عبده حسناً ولا يحب البؤس والتباؤس** [٨].

*** سرور تدخله على مسلم:**

فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أي الناس أحب إلى

---

(١) رواه الطبراني وحسنه الألباني ٢١٦٣ ص.ج.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه ابن أبي الدنيا وصححه الألباني ١٧٠٤ ص.ج.
(٤) رواه الحاكم وصححه الألباني ٦٢٢ ص.ج.
(٥) رواه مسلم.
(٦) رواه الترمذي وحسنه الألباني ٧٨٨٧ ص.ج.
(٧) رواه الترمذي وصححه الألباني ٢٥٤ ص.ج.
(٨) رواه الطبراني وحسنه الألباني ٢٥٥ ص.ج.

الله؟ قال:**أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس وأحب الأعمال إلي الله ﷻ سرور تدخله على مسلم، تكشف عنه كربة أو تقضي عنه ديناً أو تطرد عنه جوعاً ولأن أمشى مع أخ في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في هذا المسجد شهراً** [١].

إلى هذه الدرجة يحب الله ﷻ عبده المسلم حتى لتكون أحب الأعمال إليه جل وعلا أن تدخل السرور على مسلم وعلى النقيض من ذلك فإن إيذاءه يستوجب إعلان الحرب من الله ﷻ على من آذاه.

قال تعالى في الحديث القدسي:**من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب** [٢].

فما بال أقوام شغلهم وشاغلهم هو إيذاء المسلمين بل ويحزنون إذا فرحوا ويفرحون إذا حزنوا، فضلاً على أنهم لم يفكروا يوماً أن يدخلوا السرور على أحد فليحذر أولئك وأمثالهم فإنهم على خطر عظيم، وليعلموا أن رسول الله ﷺ قال:**أحب العباد إلى الله تعالى أنفعهم لعياله** [٣].

وقال ﷺ:**من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله تعالى عنه كربة من كرب يوم القيامة** [٤].

وقال ﷺ:**من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة** [٥].

وقال ﷺ:**من نفس عن غريمه أو محا عنه كان في ظل العرش يوم القيامة** [٦].

وقال ﷺ:**تبسمك في وجه أخيك صدقة** [٧].

(١) رواه الطبراني وحسنه الألباني ١٧٦ ص.ج.
(٢) رواه البخاري.
(٣) مسند أبي يعلي من حديث أنس.
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه ابن ماجه وصححه الألباني ٦٦١٤ ص.ج.
(٦) رواه مسلم.
(٧) رواه البخاري.

وقال ﷺ:**من مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام**ـــ [١].

وقال ﷺ:**أحب للناس ما تحب لنفسك**ـــ [٢].

*** الأخذ بالرخص:**

فقد قال رسول الله ﷺ:**إن الله يحب أن تؤتي رخصه كما يحب أن تؤتي عزائمه**ـــ [٣].

وقال ﷺ:**إن الله يحب أن تؤتي رخصه كما يكره أن تؤتي معصيته**ـــ [٤].

إن الله تعالى رحيم بعباده فما بال بعض العباد غير رحماء بأنفسهم يرخص الله ﷻ لهم فيشددون على أنفسهم حتى وهم أصحاب أعذار أما يعلمون أنه لا أحد أحب إليه العذر من الله تعالى، فقد قال رسول الله ﷺ:**لا أحد أحب إليه العذر من الله ومن أجل ذلك أنزل الكتب وأرسل الرسل**ـــ [٥].

أما يعلمون أنه لا أحد أكثر معاذير من الله تعالى، فقد قال رسول الله ﷺ:**ليس أحد أحب إليه المدح من الله ولا أحد أكثر معاذير من الله**ـــ [٦].

فما بال أناس يتعافون وهم ضعفاء والله تعالى لذلك كاره وكأنهم كالذي يأبى رحمة الله به فليحذر غضبه.

وما بال أناس لا يقبلون من معتذر عذره وقد يكونوا غداً أصحاب أعذار فلا يقبل منهم؟ نعم فمن رد العذر فعساه أن يعتذر غداً فلا يقبل منه.

---

(١) رواه الطبراني وحسنه الألباني ١٧٦ ص.ج.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه أحمد في مسنده وصححه الألباني ١٨٨٥ ص.ج.
(٤) رواه ابن حبان وصححه الألباني ١٨٨٦ ص.ج.
(٥) متفق عليه.
(٦) رواه الطبراني وصححه الألباني ٥٣٦٩ ص.ج.

*** الحياء:**

قال رسول الله ﷺ:**الحياء خير كلهـ** [١].

وقال ﷺ:**الحياء من الإيمانـ** [٢].

وقال ﷺ:**إن الله تعالى حيي ستير يحب الحياء والستر فإذا اغتسل أحدكم فليستترـ** [٣].

وقال ﷺ:**لكل دين خلقاً وإن خلق الإسلام الحياءـ** [٤].

والحياء الأولى إنما يكون من الله تعالى، فقد قال رسول الله ﷺ:**الله أحق أن يستحيا منه من الناسـ** [٥].

أما الحياء من الناس فهو تابع للحياء من الله تعالى، والحياء من الله تعالى ليس دعاءً وإنما له دلائل وأمارات بيّنها النبي ﷺ حين قال:**استحيوا من الله تعالى حق الحياء ومن استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى وليحفظ البطن وما حوى وليذكر الموت والبلي ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيي من الله حق الحياءـ** [٦].

نعم فالحياء من الله تعالى سبيل لكل فضيلة ولذلك ما من نبي إلا ودعى قومه للحياء من الله ولذلك يقول رسول الله ﷺ:**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئتـ** [٧].

وهذا الحديث له معنيان أما الأول: أن من ليس عنده حياء من الله تعالى فلا يمنعه مانع من أي فعل دق أو عظم.

أما المعنى الثاني: إذا لم تكن تستح من هذا العمل وأنت تعلم أن الله

---

(١) رواه مسلم.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه النسائي وصححه الألباني ١٧٥٦ ص.ج.
(٤) رواه ابن ماجه وصححه الألباني ٢١٤٩ ص.ج.
(٥) رواه أبو داود.
(٦) رواه الترمذي وحسنه الألباني ٩٣٥ ص.ج.
(٧) رواه البخاري.

مطلع عليك فاعمله فإن الحياء من الله ميزان لكل سوي ولذلك قال رسول الله ﷺ:**الحياء لا يأتي إلا بخير**ــــ [١].

وأحسن من قال:

إذا لـــم تخـــش عاقبـــة الليـــالي ::: ولـــم تســـتح فاصـــنع مـــا تشـــاء
فـــلا والله مـــا فـــي العـــيش خيـــر ::: ولا الـــدنيا إذا ذهـــب الحيـــاء

فاقتد بنبيك ﷺ فقد كان أشد حياء من العذراء في خدرها.

فهو القائل:**أوصيك أن تستحي من الله تعالي كما تستحي من الرجل الصالح من قومك**ــــ [٢].

* **الإتقان:** قال رسول الله ﷺ:**إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**ــــ [٣].

* **الثبات على العمل الصالح:** قال رسول الله ﷺ:**أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل**ــــ [٤].

* **أفضلية الأعمال:** قال رسول الله ﷺ:**أحب الأعمال إلى الله الصلاة لوقتها ثم بر الوالدين ثم الجهاد في سبيل الله**ــــ [٥].

وقال ﷺ:**أحب الأعمال إلى الله إيمان بالله ثم صلة الرحم ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأبغض الأعمال إلى الله الإشراك بالله ثم قطيعة الرحم**ــــ [٦].

* **قول الحق:** قال رسول الله ﷺ:**أحب الجهاد إلى الله كلمة حق تقال لإمام جائر**ــــ [٧].

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه الطبراني وصححه الألباني ٢٥٤١ ص.ج.
(٣) رواه البيهقي وصححه الألباني ١٨٨٠ ص.ج.
(٤) متفق عليه.
(٥) متفق عليه.
(٦) مسند أبي يعلي وحسنه الألباني ١٦٦ ص.ج.
(٧) رواه الطبراني وحسنه الألباني ١٦٨ ص.ج.

* **الصدق:** قال رسول الله ﷺ:**أحب الحديث إلى الله أصدقه** [(١)].

* **حسن الخلق:** قال رسول الله ﷺ:**أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً** [(٢)].

وقال ﷺ:**إن الله تعالى يحب معالي الأخلاق وأشرافها ويكره سفسافها** [(٣)].

وقال ﷺ:**إن الله تعالى جميل يحب الجمال ويحب معالي الأخلاق** [(٤)].

وقال ﷺ:**إن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل** [(٥)].

وقال ﷺ:**إذا أحببتم أن يحبكم الله ورسوله فأدوا إذا اؤتمنتم واصدقوا إذا حدثتم وأحسنوا جوار من جاوركم** [(٦)].

* **الكرم:** قال رسول الله ﷺ:**إن الله كريم يحب الكرماء** [(٧)].

وقال ﷺ:**إن الله تعالى جواد كريم يحب الجود** [(٨)].

وقال ﷺ:**أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي** [(٩)].

* **الغيرة والخيلاء الحق:** قال رسول الله ﷺ:**إن من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يبغض الله وإن من الخيلاء ما يحب الله ومنها ما يبغض الله فأما الغيرة التي يحبها الله فالغيرة في الريبة وأما الغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير ريبة وأما الخيلاء التي يحبها الله فاختيال الرجل في القتال واختياله عند الصدقة وأما الخيلاء التي يبغض الله فاختيال الرجل**

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه الطبراني وصححه الألباني ١٧٩ ص.ج.
(٣) رواه الطبراني وصححه الألباني ١٨٩٠ ص.ج.
(٤) رواه الطبراني وصححه الألباني ١٧٤٣ ص.ج.
(٥) رواه الطبراني وحسنه الألباني ١٧٦ ص.ج.
(٦) رواه الطبراني.
(٧) رواه ابن عساكر وصححه الألباني ١٨٠٠ ص.ج.
(٨) رواه البيهقي وصححه الألباني ١٧٤٤ ص.ج.
(٩) رواه ابن حبان وحسنه الألباني ١٧١ ص.ج.

في البغي والفخرـــ [١].

* **العفو**: قال رسول الله ﷺ:**إن الله تعالى عفو يحب العفو**ـــ [٢].

وقال ﷺ:**اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**ـــ [٣].

* **السماحة**: قال رسول الله ﷺ:**إن الله تعالى يحب سمح البيع سمح الشراء سمح القضاء**ـــ [٤].

* **الرضا**: قال رسول الله ﷺ:**إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط**ـــ [٥].

* **حب لقاء الله تعالى**: قال رسول الله ﷺ:**من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله تعالى كره الله لقاءه**ـــ [٦].

* **الإخلاص لله**: قال رسول الله ﷺ:**من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان**ـــ [٧].

* **الهمم العالية**: قال رسول الله ﷺ:**إن الله تعالى يحب معالي الأمور وأشرافها ويكره سفسافها**ـــ [٨].

* ومن ذلك قوله ﷺ فيمن يحبهم الله وفيمن يشنؤهم:**ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يشنؤهم الرجل يلقى العدو في فئة فينصب لهم نحره حتى يقتل أو يفتح لأصحابه، والقوم يسافرون فيطول سراهم حتى يحبوا أن يمسوا الأرض فينزلون فيتنحى أحدهم فيصلي حتى يوقظهم لرحيلهم، والرجل يكون له الجار يؤذيه جاره فيصبر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أو طعن، والذين يشنؤهم الله التاجر الحلاف والفقير المختال والبخيل**

---

(١) رواه أبو داود وصححه الألباني ٢٢٢١ ص.ج.
(٢) رواه الحاكم وحسنه الألباني ١٧٧٩ ص.ج.
(٣) رواه الترمذي وصححه الألباني ٤٤٢٣ ص.ج.
(٤) رواه الترمذي وصححه الألباني ١٨٨٨ ص.ج.
(٥) رواه ابن ماجه من حديث أنس بن مالك.
(٦) متفق عليه.
(٧) رواه أبو داود وصححه الألباني ٥٩٦٥ ص.ج.
(٨) رواه الطبراني وصححه الألباني ١٨٩٠ ص.ج.

المنان [١].

* ومن الذين يحبهم الله ﷻ ما جاء في الحديث القدسي:

حقت محبتي للمتحابين فيّ وحقت محبتي للمتواصلين فيّ.

وحقت محبتي للمتناصحين فيّ وحقت محبتي للمتزاورين فيّ.

وحقت محبتي للمتباذلين فيّ[٢].

* ونختم بصفة يحبها الله ﷻ أيما حب وهي سؤاله ودعاؤه فقد قال رسول الله ﷺ:**سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل** [٣].

وقال ﷺ:**إنه من لم يسأل الله تعالى يغضب عليه** [٤].

وقد قال الله تعالى:{وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا } [النساء: ٣٢].

وقال تعالى:{ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } [غافر: ٦٠].

وذلك أن طلب الحاجات من الله ﷻ عبادة سواء كانت هذه الحاجات للدنيا أو للآخرة، فمن غيره يقضي الحاجات؟.... ومن غيره يجيب الدعوات؟... ومن غيره يصرف الهموم ويكشف الكربات؟

وبالدعاء يتم معنى العبودية

فلا يسأل إلا محتاج ضعيف فقير وهو حال العبد دائماً، ولا يجيب إلا قوي عليم، غني رحيم، قادر قريب، سميع مجيب، وتلك صفات الرب أبداً.

والإعراض عن سؤال الله ﷻ كفر به.

وسؤال غيره ما الله أحق أن يُسأله شرك به.

وإهمال السؤال ظناً من العبد بعدم الإجابة إنما هو يأس من روح الله وإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني ٣٠٧٤ ص.ج.
(٢) رواه الحاكم وصححه الألباني ٤٣٢١ ص.ج.
(٣) رواه الترمذي من حديث ابن مسعود.
(٤) رواه الترمذي وصححه الألباني ٢٤١٨ ص.ج.

فتعلم كيف تدعو الله فلا تتكلف قولاً ليس من قلبك ولا تقلد قولاً قد أعجبك نسقه دون أن تعرف معناه.

وادع دعاء المضطر وليس دعاء المستغني المستزيد، فقد قال الله تعالى: {أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ} [النمل: ٦٢].

واعلم أن من أكثر الطرق على الباب حرى أن يُفتح له.

وادع دعاء الموقن بالإجابة، فقد قال رسول الله ﷺ:**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاهـ**[1].

فإن ظننت أن الله تعالى مجيب لدعوتك فهو ذاك.

وإن ظننت أن الله تعالى لن يجيب دعوتك فقد خاب مسعاك.

فقد قال الله تعالى في الحديث القدسي:**أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء**[2].

فظن خيراً تجده عند الله هو خيراً وأعظم أجراً.

ولا تظن سوءاً فتكون عليك دائرة السوء بما قدمت يداك.

وتلك نفحة طيبة مباركة من خير الدعاء ولعلها تكون خير خاتمة والحمد لله رب العالمين.

{رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ} [البقرة: ١٢٧].

{رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ} [البقرة: ١٢٨].

{رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ} [البقرة: ٢٠١].

{رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ

---

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني ٢٤٥ ص.ج.

(٢) رواه الطبراني وصححه الألباني ٤٣١٦ ص.ج.

ٱلْكَٰفِرِينَ } [البقرة: ٢٥٠].

{رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ } [البقرة: ٢٨٦].

{رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ } [آل عمران: ٨].

{رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ } [آل عمران: ١٦].

{رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ } [آل عمران: ٥٣].

{رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ} [آل عمران: ١٤٧].

{ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ} [آل عمران: ١٩٣ - ١٩٤].

{رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ } [الأعراف: ٢٣].

{رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ } [يونس: ٨٥].

{رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ} [الأعراف: ٤٧].

{رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ } [الأعراف: ٨٩].

{ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ } [إبراهيم: ٤١].

{رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا } [الكهف: ١٠].

{رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ } [المؤمنون: ١٠٩].

{رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا} [الفرقان: ٦٥].

{رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا } [الفرقان: ٧٤].

{رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ} [غافر: ٧].

{رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ۚ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [غافر: ٨ - ٩].

{رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [الحشر: ١٠].

{رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الممتحنة: ٥].

{رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التحريم: ٨].

{رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ} [إبراهيم: ٤٠]

{رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي} [طه: ٢٥ - ٢٨].

{رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا} [طه: ١١٤].

{رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ} [المؤمنون: ٢٩].

{رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [المؤمنون: ٩٤].

{رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ} [المؤمنون: ٩٧ - ٩٨].

{رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ} [المؤمنون: ١١٨].

{رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} [الشعراء: ٨٣].

{رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} [النمل: ١٩].

{رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [القصص: ٢١].

{رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ} [العنكبوت: ٣٠].

{رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ} [الصافات: ١٠٠].

{رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا

تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ } [الأحقاف: ١٥].

{رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا} [نوح: ٢٨].

* * *

دعاء

* اللهم ارحمني بترك المعاصي أبداً ما أبقيتني وارحمني أن أتكلف ما لا يعنيني، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني.

* اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام والعزة التي لا ترام أسألك يارحمن بجلالك ونور وجهك أن تلزم قلبي حفظ كتابك كما علمتني وارزقني أن أتلوه على النحو الذي يرضيك عني.

* يا رحمن أنت غياثي فبك أغوث، وأنت ملاذي فبك ألوذ، وأنت عياذي فبك أعوذ، يا من ذلت له رقاب الجبابرة وخضعت له أعناق الفراعنة أعوذ بك من خزيك وكشف سترك ونسيان ذكرك والانصراف عن شكرك.

* اللهم أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى ومن العمل ما ترضى.

* اللهم إني أنزل بك حاجتي فإن قصر رأيى، وضعف عملي وافتقرت إلى رحمتك، فأسألك ياقاضي الأمور وشافي الصدور، كما تجير من في البحور أن تجيرني من عذاب السعير، ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور.

* اللهم يا من أظهر الجميل وستر القبيح، ولم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر، يا عظيم العفو والصفح وياصاحب كل نجوى، ويا منتهى كل شكوى... يا مبتدئ النعم قبل استحقاقها، يارباه ويا سيداه أسألك ألا تشوه خلقي بالنار.

* اللهم يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وخذ بيدك ناصيتي إلى طاعتك، ووفقني لما تحبه وترضاه من صالح القول والعمل.

* اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل، والقسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة، وأعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق

والشقاق والنفاق والسمعة والرياء.

* اللهم إني أعوذ بك من القيل والقال، وفحش القول وكثرة الجدال، وسوء الخاتمة وسوء المآل.

* اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

* اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها.

* اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء.

* اللهم إني أعوذ بك من يوم السوء ومن ليلة السوء ومن ساعة السوء ومن صاحب السوء ومن جار السوء في دار المقام.

* اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة علي الرشد، وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك، وأسألك قلباً سليماً ولساناً صادقاً، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم.

* اللهم اهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئ الأخلاق، لا يصرف سيئها إلا أنت.

* اللهم ألف بين قلوبنا وأصلح ذات بيننا، واهدنا سبل السلام ونجنا من الظلمات إلى النور، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا، وأزواجنا وذرياتنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها وقابليها وأتمها علينا.

* اللهم اجعلني لك شاكرا... لك ذاكرا، لك راهبا... لك مطواعاً... إليك مخبتاً، إليك أواهاً منيباً، رب تقبل توبتي واغسل حوبتي وأجب دعوتي، وثبت حجتي واهد قلبي وسدد لساني.

* اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق، أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني ما كانت الوفاة خيراً لي، وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة،

وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيماً لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة.

* اللهم زينا بزينة الإيمان... واجعلنا هداة مهتدين.

* اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا.

* اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا أبداً ما أحييتنا، واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا... ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

* اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي من كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر.

* اللهم انت خلقت نفسي وأنت توفاها، لك مماتها ومحياها، إن أحييتها فاحفظها، وإن أمتها فاغفر لها.

* اللهم إني أسألك العفة والعافية في دنياي وديني وأهلي ومالي.

* اللهم استر عوراتي وآمن روعتي واحفظني، من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي.

* اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي... وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني.

* اللهم اغفر لي خطئي وعمدي... وهزلي وجدي، وكل ذلك عندي.

* اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير.

* اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله، ما علمت منه وما لم أعلم... وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم.

* اللهم إني أسألك من خير ما سألك به عبدك ونبيك، وأعوذ بك من شر ما عاذ به عبدك ونبيك.

* اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أوعمل، وأسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لي خيرا.

* اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

* اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجأة نقمتك وجميع سخطك.

* اللهم لك أسلمت... وبك آمنت... وعليك توكلت، وإليك أنبت... وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون.

* اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين، وغلبة العدو وشماتة الأعداء.

* اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم، وأعوذ بك من الفقر والكفر وأعوذ بك من القلة والذلة، وأعوذ بك من الفسوق والشقاق والنفاق.

* اللهم أعوذ بك من شر ما عملت، ومن شر مالم أعمل.

* اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي، وتجمع بها أمري وتلم بها شعثي وتصلح بها غائبي، وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وتعصمني بها من كل سوء.

* اللهم يا ذا الحبل الشديد والأمر الرشيد، أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود، مع المقربين الشهود الركع السجود، الموفين بالعهود إنك رحيم ودود.

* اللهم أسألك عيشة هنية، وميتة سوية ومرداً غير مخز ولا فاضح.

* اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بكنفك الذي لا يرام، واغفر لي فلا أهلك وأنت رجائي.

* اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، واغنني بفضلك عمن سواك.

* اللهم انزع من قلوبنا كل خوف ليس منك، وانزع من قلوبنا كل حب ليس فيك أو لك، وانزع من قلوبنا كل رجاء ليس فيما عندك.

* رب أعني ولا تعن عليّ وانصرني ولا تنصر عليّ، وامكر لي ولا تمكر بي واهدني ويسر هداي إليّ، وانصرني على من بغى عليّ.

* رب كم من نعمة أنعمتها عليّ قل لك عندها شكري، وكم من بلية ابليتني بها قل لك عندها صبري، فيا من قل عند نعمته شكري فلم يحرمني، ويا من قل عند بليته صبري فلم يخذلني، ويا من رآني على الخطايا فلم يفضحني، يا ذا المعروف الذي لا ينقضي أبدا، ويا ذا النعماء التي لا تحصى عددا، اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني.

* رب أنت حسبي لما أهمني... وأنت حسبي لما غمني، وأنت حسبي لمن حسدني... وأنت حسبي لمن ظلمني، وأنت حسبي لمن كادني بسوء، وأنت حسبي عند الموت... وأنت حسبي عند السؤال في القبر، وأنت حسبي عند الميزان... وأنت حسبي عند الصراط، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب.

* اللهم إنك تعلم ضعفي فقويني... وتعلم زمني فنجني، وتعلم جهلي فعلمني... وتعلم خطئي فقومني، وتعلم فقري فأغنني... وتعلم مرضي

فاشفني، وتعلم عيوبي فاسترني... وتعلم أعدائي فانصرني، واكفنيهم بما شئت وكيف شئت إنك على كل شيء قدير.

* اللهم يا من يعلم ضعفي وهو القوي، ويا من يعلم فقري وهو الغني، أسألك بقوتك أن ترحم ضعفي، وأسألك بغناك أن تذهب فقري، وأسألك أن تشرح صدري وتيسر أمري.

* اللهم أسألك بحق ما أنت الحق، ألا أسأل سواك ما أنت به أحق، وأعوذ بك أن أسألك ما ليس لي بحق.

* اللهم ظننا بك قد بلغ من الحسن آخره، وسترك لنا على ما كان منّا فيه إشارة بالمغفرة، فما كنت لتسترنا في الدنيا وتفضحنا في الآخرة.

* اللهم طهر قلوبنا... وفرج كروبنا، واستر عيوبنا... واغفر ذنوبنا.

* اللهم اجعل في قلبي نوراً... وفي لساني نوراً، وفي بصري نوراً... وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً... ومن فوقي نوراً، ومن أمامي نوراً... ومن خلفي نوراً، واجعل لي في نفسي نوراً... وأعظم لي نوراً.

* اللهم احفظني بالإسلام قائماً، واحفظني بالإسلام قاعداً، واحفظني بالإسلام راقداً، ولا تشمت بي عدواً ولا حاسداً.

* اللهم إني أسألك من كل خير خزائنه بيدك، وأعوذ بك من كل شر خزائنه بيدك.

* اللهم أسألك من فضلك ورحمتك، فإنه لا يملكها إلا أنت.

* اللهم اغسل عني خطاياي بالماء والثلج والبرد، ونق قلبي من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب.

* اللهم إني أغوذ بك من شر سمعي ومن شر بصري، ومن شر لساني ومن شر قلبي ومن شر منيتي.

* اللهم إني أقسم بك عليك، وأتوسل بك إليك، أن تأخذ بيدي إليك، أخذ الكرام عليك.

* اللهم خذ بيدي في المضائق، واكشف لي وجوه الحقائق، ولا تسلب عني ستر إحسانك، واعصمني من الزلل، ووفقني لما تحب واكفني كيد الحاسد وقني مصارع السوء.

* اللهم أسألك الأمن يوم الفزع، وأسألك الري يوم العطش، وأسألك أن أكون من أهلك وخاصتك، يوم لا ينفع أهل ولا خاصة، إلا أهلك وخاصتك.

* اللهم أسألك نفساً مطمئنة ترضى بقضائك، وقلباً سليماً غايته الفوز برضائك، وخاتمة كخاتمة أصفيائك وأوليائك، ونزلاً كنزل محبيك وأحبائك.

* اللهم إني أعوذ بك أن أكون عن ذكرك من الغافلين، أو أكون من فضلك من المحرومين، أو أكون من رحمتك من اليائسين، أو عنك يوم القيامة من المحجوبين.

* اللهم أسألك حبك وإن كره الناس، وأسألك رضاك وإن سخط الناس، وأسألك الأنس بك وإن تخلى الناس، ولا تجعل حظي من الدنيا الطمع فيما عند الناس.

* اللهم أسألك الحلم على الجهلاء، والتجلد للشامتين والأعداء، وأعوذ بك من السلب بعد العطاء، وأعوذ بك من الشقاء يوم اللقاء.

* اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم.

* اللهم لا تكلنا إلى الناس، فيستأثروا بأنفسهم علينا، ولا تكلنا إلى أنفسنا، فأنت أرحم بنا منا.

* اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه.

* اللهم رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء... منزل التوراة والانجيل والقرآن، فالق الحب والنوى... أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين واغنني من الفقر.

* اللهم اهدنا واهد بنا، واجعلنا هداة مهتدين لا ضالين ولا مضلين، اللهم وأصلحنا وأصلح بنا، واجعلنا صالحين مصلحين لا فاسدين ولا مفسدين.

* اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، واجعل خير أعمالنا خواتيمها، واجعل خير أيامنا يوم لقائك، ولا تقبضنا إليك إلا وأنت راضٍ عنا.

* اللهم إني أعلم أني عاصيك، ولكني أحب من يطيعك، فاجعل اللهم حبي لمن أطاعك، شفاعة تقبل لمن عصاك.

* اللهم إن كنت كتبتني في السعداء فأثبتني فيهم، وإن كنت كتبتني في الأشقياء فامحني منهم، وأثبتني في السعداء فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب.

* اللهم اعصمني بدينك وطواعيتك وطواعية رسولك.

* اللهم اجعلني ممن يحبك وحببني إليك.

* اللهم يسرني لليسرى وجنبني العسرى، واغفر لي في الآخرة والأولى.

* اللهم إذ هديتني للإسلام برحمتك وفضلك، فلا تنزعني منه ولا تنزعه مني حتى تقبضني وأنا عليه.

* اللهم اغفر لنا مازلت به القدم، واغفر لنا ما طغى به القلم، وجد علينا بتوبة نصوحاً، قبل يوم لا ينفع فيه الندم.

* اللهم لا تجعلنا ممن استهوته الشياطين، فشغلته بالدنيا عن الدين.

* اللهم إن حسناتي من عطائك... وسيئاتي من قضائك، لا لمن أطاعك فيما أطاعك له الشكر، ولا لمن عصاك فيما عصاك له العذر، فإن أطعتك... فبتوفيقك وفضلك عليّ، وإن عصيتك فبتقصيري والحجة لك عليّ.

* اللهم ما عصيناك جحوداً ولا عناداً، وما عصيناك تجبراً ولا تكبراً، وما عصيناك لجهل بمقامك ولا يأساً من لقائك، وما عصيناك استهانة بعقابك ولا زهداً في ثوابك، ولكنّا عصيناك لضعف فينا أنت تعلمه، فإن كنت تعلم عنا ضعفنا وخطايانا، فقد أعلمتنا عنك أنك رحمن رحيم، وأعلمتنا عنك أنك عفو كريم، فاغفر اللهم ما تعلم عنا بما نعلم عنك، وتجاوز اللهم عما كان... واغفر الخطأ والزلل والنسيان، وأجرنا اللهم من عذابك يامن يجير ولا يجار عليه، ويامن يجيب المضطر إذا توسل إليه، نسألك بك ألا تردنا خائبين، وأن تجعلنا يوم الفزع من الآمنين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

* * *

رجـاء

ورجائي كله من الله ﷻ

- أن أكون وكل قارئ لهذا الكتاب من الذين أحبهم الله تعالى بفضله العظيم.

- وأن يتقبل الله هذا العمل بقبول حسن خالصاً لوجهه الكريم.

- وأن يتجاوز عما فيه من خطأ أو زلل أو نسيان إنه بالناس لرؤوف رحيم.

- وأن يهيئ الله ﷻ من المخلصين من أهل العلم من يقوم بالشرح والتحليل والتعليق على هذا الكتاب حتى يزيد النفع به لعامة المسلمين.

- وأن يبلغ هذا الكتاب ما بلغ الليل والنهار وليس ذلك على الله ببعيد.

- أن يأتي يوم ويدرس هذا الكتاب في مدارس المسلمين.

وأخيراً

صدقة جارية وعلم ينتفع به،

و{يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ} [هود: ٥١].

كتبـــه

صفوت زكي البسطويسى

دار السلام - كفر سعد- دمياط

في ٢٠١٢/٣/١٢

م: ٠١٢٢١٧٨٩٦٥٠

Safwatzaki2012@gmail.com

* * *

الفهرس

* * *